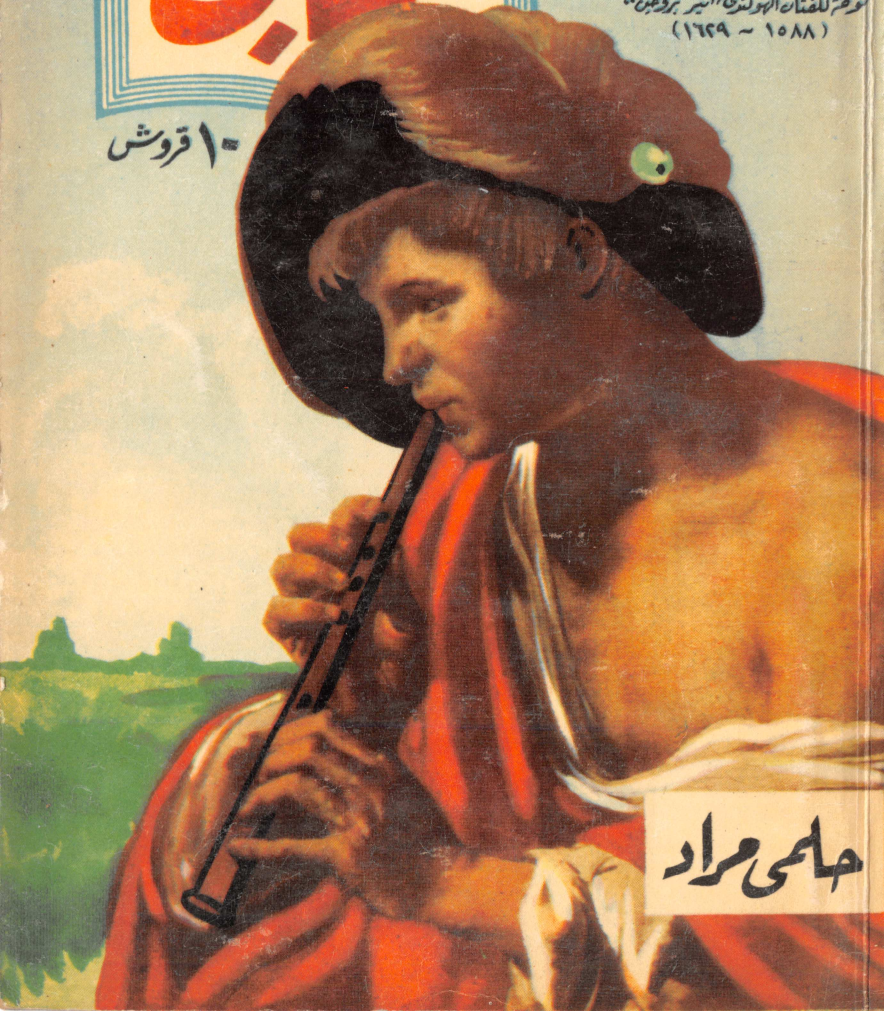
كتابي

١٠ قروش

الواعي يعزف على "الفلوت"
لوحة للفنان الهولندي "تير بروجين"
(١٥٨٨ - ١٦٢٩)



حلمي مراد



ظمأ .. وفضول !

عين فى الكوب ، وعين تتطلع .. ترى لمن ؟



الراعية ..

(للفنان لوى شارلو)

اسلوب جديد فى الفن ، يتميز بالبساطة والوضوح

كتابى

كتاب شهرى لتلخيص الكتب العالمية

يصدر أول كل شهر

صاحبه ورئيس تحريره : حلمى مراد

شعار « كتابى »

مصباح الفكر عند الاغريق

الكتاب السادس والخمسون (السنة الخامسة) : نوفمبر ١٩٥٦

الاشتراكات ومجموعة الاعداد السابقة : اقرأ التفصيلات بالداخل

الادارة : عمارة الجندول ـ ١٤ شارع ٢٦ يوليو ـ بالقاهرة

تليفون : ٥٩٥٥٦

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
افتتاحية العدد	٨
الأمومة : قصة مصرية بقلم **يوسف جوهر**	١١
« **كنت فى الجزائر** » (**فى داخل أفريقيا**) : للصحفى العالمى **جون جنتر**	٢١
اليد السوداء : الجمعية السرية التى تدين لها يوغوسلافيا بوجودها ، للمؤرخ العالمى **يوجين لينهوف**	٣٩
شذوذ : قصة رائعة للروائى الايطالى الشهير **ألبرتو مورافيا**	٥٧
أصل الانسان : النظرية التى تقرر ان أصل الانسان قرد ، للعالم الانجليزى الشهير **تشارلس داروين** ..	٩٣
جوبلز : أحدث كتاب يروى حياة وزير دعاية هتلر ، ومأساة نهايته المفجعة . للمؤرخ العالمى « **كيرت رييس**	١١٥
الرغبة الجامحة (**أو الوحم**) : قصة ساخرة للكاتب الكبير **مارسيل بريفو**	١٤٣
السلوك الجنسى : التقرير الذى كشف أسرار الحياة الجنسية فى أمريكا ، للباحث الأمريكى **الدكتور ألفريد كينزى وآخرين**	١٥٧
مذكرات كازانوفا : الكتاب الكلاسيكى الخالد فى أدب العشق والمغامرة	١٨٥
تاريخ العالم : للؤرخ العالمى « رينيه سيديللو »	١٩٦

أخيرا .. اعترفوا !

« ان انتصار الرئيس « ناصر » على سير انتونى ايدن ، لهو نقطة تحول فى هذا القرن ! »

جريدة « صنداى جرافيك » البريطانية

عزيزى القارىء ..

◆ عندما يصل هذا العدد الى يديك ، تكون الستار قد أسدلت على المرحلة « الحادة » للأزمة المفتعلة التى خلقتها دولتا الاستعمار ـ بريطانيا وفرنسا ـ على اثر تأميم شركة قناة السويس ، لمحاولة النيل من ثورة مصر .. ولم يبق الا ان تتذرع الدولتان بشىء من « المماطلة » التى تحفظ لهما ماء وجهيهما قبل ان تدخلا فى المرحلة النهائية المحتومة لتسوية المشكلة : مرحلة المفاوضات السلمية ، على أساس المبادىء الستة التى قبلتها مصر !

ولعل أبلغ اعتراف بفداحة الهزيمة التى منيت بها بريطانيا فى أزمة القناة ـ بفضل صمود مصر التاريخى فى وجه التهديد ، ومؤازرة شقيقاتها العربية لها فى وقفتها الجبارة ـ هذا المقال الذى حمله الينا البريد الجوى الأخير أثناء مثول هذه الصفحات للطبع ، وقد نشرته جريدة « صنداى جرافيك » فى عددها الأخير الصادر يوم ٢١ اكتوبر ، بقلم معقبها السياسى « ايدان كراولى » .. فقد قال الكاتب تحت عنوان « اذلال موجع لبريطانيا ! » ، ما ترجمته بالحرف الواحد :

« ان استقالة سير « والتر مونكتون » ـ وزير الدفاع البريطانى ـ تؤكد حقيقة واحدة كئيبة : هى انه رغم كل الخطب الرنانة المتسمة « بالشجاعة » ، التى ألقيت فى مؤتمر حزب المحافظين ، وفى غيره من المناسبات ، فان هذه البلاد تساق تدريجيا ـ وبصورة موجعة ـ خلال أعظم اذلال حاق بها فى تاريخها .. فلو كان قد بقى أدنى احتمال فى ان تصر بريطانيا وفرنسا على فرض الاشراف الدولى على قناة السويس ، لظل سير والتر فى منصبه كى يشرف على تنفيذ هذه العملية البالغة الدقة . أما كونه قد ترك منصبه ، بعد ان تبادل مع رئيس الوزراء تلك الخطابات ذات اللهجة الخاصة ، فهذا يدل بوضوح على ان كل تفكير فى تحقيق ذلك الاشراف الدولى قد نبذ نهائيا !

تسليمنا ! (تسليم بريطانيا)

« وحتى بغض النظر عن اســتقالة سير والتر ، فان تسليمنا قد بدا واضحا للعيان منذ تركنا الفرص السيكلوجية المناسبة لفرض مطالبنا على مصر بالقوة ، تمر - واحدة بعد الاخرى - بغير أن ننتهزها :

« فلقد كان فى وسعنا ان نتحرك على الفور بمجرد استيلاء الرئيس « ناصر » على القنــاة ٠ ومهما كان نقص القوات التى كان فى يدنا استخدامها يومئـذ ، فقد كانت لنا ميزة المفاجأة ٠٠ وتأييد الرأى العام العالمى

« ٠٠ وكان فى وسعنا ان نتحرك حين تبينت لجنة « منزيس » عدم استعداد الرئيس ناصر لقبول الشروط التى نعتبرها جوهرية !

« ٠٠ ثم كانت أمامنا فرصة واحدة أخيرة ، فبعد ان وافق رئيس الوزراء على ارضاء أنصار التهدئة بالسعى الى الحصول على « التأييد الأدبى » من جانب مجلس الامن ، كان فى وسعه ان يمضى قدما فى خطته بمجرد حصوله على ذلك التأييد فى الاسبوع الماضى ٠٠

« ولكن ، بدلا من ذلك ، شــهد الاسبوع الماضى - بالذات - عودة جنــود الاحتياطى جميعا الى انجلترا ، فى اجازة ٠٠ كأنما توكيدا للقول بأن كل حديثنا عن استعمال القوة كان ٠٠ مجرد « تهويش » !

انتصاره ! (انتصار الرئيس ناصر)

« ان كل يوم قد مر منذ نشوء أزمة السويس قد أضاف الكثير من الشوائب الى المبدأ الذى هو موضع النزاع ، وأضعف من احتمال الاصرار عليه ٠٠ حتى لم يعد أحـد يؤمن الآن - على الاطلاق - بامكان ذلك الاصرار ! بل ان اتخاذ اجراء حازم الآن ينطوى على مخاطر ما كان لها وجود من قبل ٠ وقد بات علينا اليوم ان نواجه « الأمر الواقع » ، وهذا الأمر الواقع هو ان الحكومة ستمضى فى « المفاوضــات » حتى تصل الى صيغة تنقذ ماء وجه بريطانيا وفرنســا ، لا وجه مصر !

« وهكذا ، وبمساعدة روسيا ودول آسيا ، سوف تستطيع مصر ان تتغلب - دون صــعوبة جدية - على أية عقــوبات اقتصادية قد تفرض عليها - ولو انه من المشكوك فيه انه سوف تبذل أية « محاولة » لفرض مثل هذه العقوبات !

« وهكذا لن تنقضى بضعة أشهر حتى تكون قد استتبت لمصر الادارة الفعلية

لقناة السويس ، ويكون الرئيس ناصر قد انتصر ، في نظر تسعة أعشار العالم على الأقل !٠٠ أما نتائج هذا الانتصار فقد بدأت تظهر منذ الآن للعيان : فلقد استفحل بالفعل نفوذ العناصر الموالية لناصر فى البلاد العربية الأخرى !٠٠ حتى اسرائيل لم تعد تحمل التهديدات البريطانية باستعمال القوة ، على محمل الجد !٠٠ والذين كانوا فى الماضى يعتمدون على المعونة البريطانية ، قد حولوا وجوههم الآن صوب موسكو أو واشنطون !٠٠ ومن غير المحتمل ان هذه الضربات لأرزاقنا وسمعتنا سوف يكون لها أى صدى آخر أو تأثير على كيان حكومتنا ٠٠ فان وزراءنا لم يعودوا يستقيلون الا اذا أجبرهم المرض على ذلك !

« وتبقت بعد ذلك الحقيقة الراهنة : ان انتصار الرئيس « ناصر » على سير انتونى ايدن ، لهو نقطة تحول فى هذا القرن ! »

٠٠ وقد صدقت الصحيفة الانجليزية ٠٠ ولم يبق الا ان تهتدى بريطانيا ، وفرنسا ، الى الحل الذى ينقذ ماء وجهيهما !

« قرصنة » فرنسية !

◆ ومن العجيب ان توافينا البرقيات الآن ونحن نختم هذه السطور بنبأ تورط حكومة فرنسا فى أزمة جديدة لن تلبث ان تبحث لنفسها عن مخرج منها ، بدورها ! فلقد أقدمت على عملية « قرصنة » مخزية فى شمال افريقيا فاختطفت خمسة من زعماء الجزائر البواسل وهم فى طريقهم الى تونس بالطائرة ! وهكذا تأبى حكومات فرنسا الا ان تركب رأسها كل حين ، وتتنكر لأقدس حقوق الانسان ٠٠ التى كان شعبها أول من أعلنها !

فمتى تكف حكومات الاستعمار عن حماقاتها الطائشة ؟

حلمى مراد

كتـــابى

أعداد نفدت

الكتب الستة الأولى ، والادارة مستعدة لشرائها .

كتابى السابع « **عشيقة نابليون** » ، والثامن « **مذكرات كيوبيد** » ، والتاسع «**صنم تحطم**» ، والعاشر «**حديقة الله**» ، والحادى عشر « **عندما تحقد المرأة** » والثانى عشر « **لعبة الحب والموت** » ، والثالث عشر « **توبة خاطئة** » ، والرابع عشر « **أيها الربيع ترفق** » ، والخامس عشر « **الشيطان على الارض** » ، والسادس عشر « **ليدى هاملتون** » ، والسابع عشر « **الارملة المرحة** » ،والثامن عشر « **حياة جورج صاند** » ، والتاسع عشر « **حياة سارة برنار** » ، والعشرون «**رباعيات عمر الخيام**» ، والحادى والعشرون « **حياة بيتهوفن** » ، والثانى والعشرون « **حياة موسولينى** » ، والثالث والعشرون « **كوخ العم توم** » ، والرابع والعشرون « **الزوج والعشيق** » ، والخامس والعشرون « **البوهيمية** »، والسادس العشرون « **فتاة لها ماض** » ، والسابع والعشرون «**ترويض النمرة**»، والثامن والعشرون «**فن الحب**» ، والتاسع والعشرون « **الجريمة والعقاب** » ،والثلاثون «**المنافق**» (**طرطوف**) ، والحادى والثلاثون « **أميرة مصر** » ، والثانى والثلاثون « **الامطار** » ، والثالث والثلاثون « **أفروديت** » ، والرابع والثلاثون « **أقنعة الحب السبعة** » ، والخامس والثلاثون «**سالومى**» ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٣٨ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥

◆ **وتطلب** من ادارة « **كتابى** » : ١٤ شارع ٢٦ يوليو بالقاهرة (عمارة الجندول) وثمن كل عدد (من العدد ٧ الى ٢٤) ١٠ قروش خالصا أجرة البريد (المسجل) ماعدا العددين ١٣ ، ١٦ ، وثمن كل منهما ١٢ قرشا ، والعدد العاشر وثمنه عشرون قرشا .. وابتداء من العدد ٢٥ ثمن كل نسخة بالبريد المسجل ١٢ قرشا

◆ **ملاحظة : ترسل القيمة فى مصر والسودان باذن بريد عادى ، وفى الخارج بشيك على أحد بنوك القاهرة ، أو بالطريقة المبينة فى ظهر هذه الصفحة . وتحرر الاذون والشيكات باسم صاحب المجلة شخصيا**

مطبوعات « كتابى »

صدر منها حتى الآن :

قصة مدينتين ـ ذات الثوب الابيض ـ الخالدون ـ الخاطئة ـ حياة امرأة (جزءان) ـ الخطيئة الاولى وفتاة من الاقاليم ـ أوديب ـ مدام بوفارى (جزءان) ـ عاشقات فى الخريف ـ قلوب ضالة ـ ديكاميرون (ألف ليلة وليلة الايطالية) ـ الظمأ للحب ـ جين اير (ثلاثة أجزاء) ـ فاتنات الرجال

وثمن كل من الاول والرابع والسابع ، عشرون قرشا (نظرا لوشك نفادها)، والثانى والتاسع والعاشر والحادىعشر والثالثعشر والرابععشر والخامس عشر والسادس عشر والسابع عشر والثامن عشر ١٢ قرشـــا ، والثالث والخامس والسادس ١٠ قروش ، والثانى عشر ١٤ قرشا ، خالصة أجر البريد المسجل

« كتابى » يشترى الأعداد الستة الأولى من القراء !

نظرا لالحاح الكثيرين من القراء فى طلب الاعداد الستة الاولى من « كتابى » ، ولتعذر اعادة طبعها فى الوقت الحاضر ، ولما كان لا يبعد أن يكون لدى البعض أكثر من نسخة من الاعداد المذكورة .. **فقد رأت ادارة « كتابى » أن تعلن عن استعدادها لشراء أى عدد من نسخ الاعداد الستة الاولى تمهيدا لتمكين من تنقصه الاعداد المذكورة من اقتنائها بعد ذلك من الادارة . فالرجا الاتصال بالمجلة فى هذا الشأن ، على أن يكون تسليم النسخ اليها حضوريا أو بالبريد المسجل .**

الاشتراك فى « كتابى »

◆ ترسل جميع الاعداد الى المشتركين : بالبريد المسجل ، وقيمة الاشتراك فى مصر والسودان : عن سنة (١٢ عددا) ١٢٠ قرشا ، وعن نصف سنة (٦ أعداد) : ٦٥ قرشا – فى الخارج (العراق وسوريا ولبنان والاردن والحجاز الخ ..) ترسل القيمة بشيك على أحد بنوك القاهرة أو بتحويلات عليه ، واذا تعذر ذلك ، ترسل كوبونات دولية فئة ٤٠ مليما ، على أن يتحقق المرسل من امكان صرفها فى مصر ، علما بأن الكوبونات الدولية فئة الأربعين مليما تصرف بسبعة وثلاثين مليما فى مصر . وتحتسب القيمة بما يوازى ١٤٠ قرشا (عن سنة) و ٧٥ قرشا (عن نصف سنة) . وفى الكويت وعدن وحضرموت واليمن وقبرص وانجلترا وأمريكا وفرنسا وألمانيا واستراليا الخ . قيمة الاشتراك ١٦٠ قرشا (عن سنة) و٨٥ قرشا (عن نصف سنة) خالصة أجر البريد المسجل بخلاف أجر البريد الجوى

المطبعة العالمية

١٦ ، ١٧ شارع ضريح سعد بالقاهرة

تليفون ٢٩٣١٧



الأمومة

قصة مصرية بقلم: يوسف جوهر

فى الغالب ، فى حياة كل رجل وامرأة ، يمر اليوم كالأمس ، عاديا تافها ، ولا يأتى الغد بجديد ٠٠ ويسير العمر كما يسير الماء فى مجرى النهر ، يسرع الموج خطاه ، أو يتمهل ، لكنه لا يقف بل يتجه دائما نحو خاتمته ٠٠ نحو المصب !

وأحيانا يسقط فى الماء حجر كبير ، فيصنع دوائر ، تكبر ، ثم تتلاشى ٠٠ وأحيانا تقع فى الحياة حادثة ، فتهتز صفحتها ، وترتسم عليها الحلقات التى لا تلبث أن تتسع حتى تختفى ٠ ويستأنف الموج سيره نحو خاتمته ٠٠ ويظل الحجر الكبير راقدا فى هدوء ، فى بطن النهر ، حيث سقط ٠٠ أما الموج الكتوم فيمشى الى الأمام ٠٠ الى الأمام دائما !

كذلك كانت « بهيجة » فى ذلك الصباح ٠ كانت الحياة الكبيرة تحمل حياتها الصغيرة فى طريقها المرسوم ، ثم رأته فجأة ٠ ان أمره معها هو الحجر الكبير المستقر فى أعماقها ٠٠ انه بالنسبة لها « حادثة » الماضى !

كل امرأة أو رجل لا بد أن له فى حياته أو حياتها ، رجلا أو امرأة ، تدبر بينهما المصادفة لقاء مفاجئا ، فتضطرب النفس نحو السخط أو الرضى ، ويصعد الى سطح الذاكرة زبد أبيض أو أسود !

ولما لقيت « بهيجة » الدكتور سعيد ، فى ذلك الصباح ، اضطربت ذلك الاضطراب ٠٠ و رجت الذكريات الماء السائر فى مجرى النهر ، فصعد الى سطحه زبد ، لا الى البياض ولا الى السواد ٠٠ أليس « ماضيها » مع الدكتور سعيد هو الحجر الكبير النائم فى الأعماق ؟ أليس ذلك الماضى هو قصة قلبها ؟!

★ ★ ★

كانت فى ذلك الصباح قد حملت وليدها المريض بين ذراعيها ، وخرجت قاصدة مستوصف « رعاية الطفل » ، وجلست فى

الفناء ، على المقعد الخشبى الطويل ، تنتظر مع عشرات الأمهات الأخريات دورها فى الدخول الى الطبيب ..

ان عليها أن تنتظر دون تذمر ، فانها آتيـــة لتحصل على علاج بلا أجر ! وهى موطنة النفس على أن تحتمل تجهم الطبيب واعراض الممرض .. فان الطبيب ـ ولا شك ـ كان يفضـل أن تحضر الى عيادته الخاصة ، والممرض قد مل معاملة أولئك النســوة الفقيرات اللاتى لا يعترفن بالبقشيش .. **انهما لو ملـكا لطردا هذا « الشعب » المتعب ، حتى يهرع الطبيب الى عيادته ، وحتى يفرغ الممرض الى التحدث مع الخادمة . وأغلب الظن أن سخط الطبيب والممرض لن ينتهى ، لأن الحكومة التى تنفق على المستشـفيات لن توافق على منح المرتبـات مع طرد المرضى !**

كانت فترة الانتظار كافية لأن تدير بهيجة فى رأسها هذه الخــواطر ، وخواطر أخرى .. فحينما تكون الروح متعبــة ، تطفو على سطحها التــأملات ، وتروح الهموم وتجىء كزوارق صـغيرة تائهة يلعب الماضى بأشرعتها الخفيفـة !.. ان السعال يمزق صدر صغيرها ويعصر رئتيه ، فتغرورق عيناه بالألم ، وتتخبط يداه الصغيرتان على صدر أمه ، وقد أعجزه التعبير عن شكواه ..

ليتها كانت تستطيع أن تدعه فى سريره ، وتســتدعى له الطبيب ، وتنقده أجره بسخاء ، ليعوده مرة ومرتين .. لكن هيه .. انه ابن بسيونى افندى ، الموظف الصغير بمصلحـة البريد .. ان ولدها هو طفل رجل فقير رقيق الحال !

وتنهدت .. هذه هى الأمومة ، التى حلمت بسعادتها منذ ثلاث سنين ، عند ما تزوجت !

هذا هو طفلها الأول !

ما كان أعذب صورة « الأمومة » فى خيال العذراء .. انها

صورة طفل له جمال الملائكة ، وابتسامة الزهرة للندى ، وحلاوة النسيم الحالم العابر فى الفجر !

وها هى الحقيقة تمكر بخيالها وتسخر به ، وتعطيها طفلا أفطس الأنف ، كأن وجهه مضغة من اللحم لاكتها آلهة القبح ثم قذفتها من فمها ! انه لا يكف عن البكاء ، ولا عن اراقة الماء على قماطه ، وملابسها !

ذكرتها سحنته بسحنة أبيه ! ‥ كيف تلد الملامح شبيهات لها بهذه الدقة العجيبة ؟! ليخيل لها أن ستكون له ، عند ما يكبر ، نفس الأسنان الطويلة المنفلجة ، ونفس الفم الواسع ، والبطن المتدلق ، والقامة القصيرة !

وتلفتت حولها فاذا بهواجسها قد أذهلتها عما حولها ، واذا بها الأم الوحيدة التى لم تدخل بعد الى طبيب المستوصف ‥

وأسرعت الى الداخل ‥ **ووجدت لدهشتها أن الطبيب ليس الا « الدكتور سعيد »**

وكان ذلك مفاجأة قاسية لها ، من تلك المفاجآت التى يتعرض لها الشخص بغتة ، فتضطرب نفسه بين الحزن والفرح ، والسخط والرضى

لماذا تشاء المصادفة العابثة أن يكون طبيب المستوصف هو الدكتور سعيد بالذات ؟ وأن تلقاه وهو من هو ، وهى ‥ من هى ؟!

وقال وقد هزت صوته المفاجأة : « بهيجة ! »

ومد لها يده ‥

★ ★ ★

منذ خمسة أعوام ‥

كانت بهيجة فى السابعة عشرة ‥ فى السن التى تنفث فيها الفتاة حولها سحرها ، كما تنشر الوردة عطرها ٠ كانت فى عنفوان نضارتها وصباها ‥ كل شىء كان يؤكد لها انها جميلة : ظلها الرشيق الذى يرافقها في الطريق ، وانعكاس



صورتها على المرايا ، وصدى ضحكاتها الفضية ، والنظرات من عيون الشباب ٠٠ بل وفى عيون صويحباتها أيضا ، المفعمة بالحسد !

فى ذلك الوقت لقيت «سعيد» فى حفلة عرس ٠٠

وبادرها حينما نجحت محاولته فى أن يجلس الى جانبها ، على مقعد بحديقة الدار ، فى تلك الليلة ٠٠ بادرها هامسا : « انك جميلة ٠٠ أكثر مما يجب » !

ولما رفعت نحوه عينين متسائلتين أجاب : « **نعم ٠٠ كان يكفى أن تكونى رائعة الجمال ٠٠ أما أن توهبى هذا الحسن العجيب الذى يورث الدوار ، ويذيب القلب ، فهو الأمر الذى لا تجيزه شريعة من الشرائع !** »

ونظرت فى عينيه مرة أخرى لتقابل مزاحه بضحكة ٠ ولكنها رأت الجد فى عينيه ٠٠ ورأت فيهما أيضا شيئا يلمع ، علمت فيما بعد انه ٠٠ الحب !

٠٠ فيما بعد ٠٠ فان القصة بدأت منذ تلك الليلة ٠٠ قصة كل قلب تائه فى صحراء الوحدة ، يبحث عن الأنيس ٠٠ عن الأليف ٠٠

فى الشباب دائما ينشد الفتى صبية عذبة ، وتنشد الفتاة رفيقا تعطيه حياتها ٠٠ تمنحه اياها كما تمنح تربة الحديقة ذاتها لغصن الياسمين !٠٠ انها سنة الطبيعة ، ومشيئتها فى القلوب !

كان سعيد اذ ذاك يطلب الطب ، وكانت بهيجة تتعلم التدبير فى احدى مدارس الثقافة النسوية . وتواعدا أن يلتقيا فى نهاية المرحلة الدراسية ليبدآ معا حياتهما الزوجية .. الحياة الزوجية .. انه حلم المرأة الذهبى .. انه المفتاح الى قلب كل فتاة : **لتكسب قلب الراهب حدثه عن السماء ، ولتكسب قلب الفتاة حدثها عن الزواج .. فهو المحور الذى تدور حوله كل أوهامها ، وهواجسها ، وأمانيها ، ومطامعها !**

دائما كان يؤكد لها انه يحب عروس مستقبله ، من كل قلبه . ولم تكن تجسر أن تجيبه وتصارحه بأن كل كيانها لم يعد الا اناء كبيرا مفعما حتى حافته بعاطفتها نحوه .. كانت روحها بيضاء كجناحى حمامة عاشت عمرها النقى فى أعلى الجبل .. لم تسمح قط لشفتيها بأن تعبرا عن هواها .. كانت تصمت وتدخر أحاديثها الحنون الى ما بعد !

وكالعنكبوت، نسجت حول نفسها شبكا من خيوط الأمانى، وعاشت فيها تقتات من خبز الهناء المنتظر ، والحب الموعود ، والأحلام الطائرة

★ ★ ★

ومرت الأيام ..

ولاحت فى السماء بعض السحب .. منذ ذلك اليوم الذى نال فيه دبلومه .. منذ أن دعتها أخته ـ التى عرفتها قريبا جدا ـ الى حفلة عائلية فى المنزل تقام ابتهاجا بهذه المناسبة

فى تلك الليلة ذهبت وهى جد مشوقة أن تتعرف الى من وكانت تتوقع أن يعلن سعيد ، فى موجة من موجات المرح المأثور عنه ، عزمه على الاقتران بها . وكانت تعد نفسها بتلك السعادة الكبيرة اذ يخصها بنظراته ، وابتساماته ، ورعايته

واذا بها فى وسط غريب .. الجميع من أبناء وبنات الطبقة الراقية ، أما هى فقد أحست بالعزلة ، وسمعت حديثا عجبا

.. « بابا لما كان وكيل وزارة ! » .. « لما رحنا نمضى الويك اند فى عزبتنا اللى فى المنوفية ! » .. « ماما لما سبقتنا على مدينة نيس » !

.. وأحست فى أذنيها طنين الطبول من هذه النغمة . لم تكن قد أقامت وزنا كبيرا لكون سعيد من أسرة كبيرة ، ومن طبقة خاصة .. **أما الآن فانها تعلم أين هى من هذه الجماعة .. فان « بابا » مخزنجي بالسكة الحديدية .. ولا عزبة هناك . كل أطيان الأسرة ثلاثة أفدنة وستة عشر قيراطا عليها نزاع منذ ميلادها ، ومنزل موقوف ، ريعه خمسون قرشا فى الشهر تتمزق بين أيدى سبعة مستحقين !** .. أما « نيس » الأسرة فليست الا القرية السعيدة التى تقع على ترعة الحناوية ، حيث تجلس النساء لا للتريض ، وانما لغسل أوانى البيت ، والملابس المشبعة بأوساخ تلوث ماء المحيط ، ثم يملأن بعد ذلك الجرار !

هيه .. انها لا تلقى من سعيد ذلك الحماس الذى كانت تنتظره .. انها تحاول عبثا أن تستأثر بنظراته وابتساماته واهتمامه .. ولكنه فاتر .. فاتر ! .. بل انه يطيل النظر الى فتاة أخرى ، جميلة كالدمية ..

وحينما علمت بهيجة أن هذه « الدمية » هى ابنة طبيب كبير ، هدتها غريزة المرأة الى أن الطبيب الشاب بدأ يفكر فى مستقبله ، ويوازن بين ابنة « المخزنجى » وابنة «الزميل» !

وفى خاتمة السهرة ، عرض عليها فى تراخ أن يوصلها الى منزلها ، فشكرته فى جفاء ، وكفته مؤونة ذلك . وسارت فى الطريق متمهلة ، تفكر ، وتختمر فى نفسها مرارة حارت أن تسميها غضبا ، أو غيرة ، أو استياء

وظلت تسير متمهلة ، حتى رأت سيارته مقبلة ، فمالت الى الظل ، ولما مرت ، مضت تسرع الخطى .. فقد فات من كانت

تتمهل من أجله ·· وشاهدت الى جوار سعيد تلك الفتاة التي كانت تتوقع أن تراها ·· الدمية الجميلة ، ابنة الزميل !

ولما لقيته بعد أيام ، كانت هائجة ·· كانت كاللبؤة الجريحة ·· نضحت عليه ، في جفاء ، من المرارة التي أصبحت نفسها تطفح بها ، ورمته بكل نقيصة !

وحاول أن يفسر لها ·· أن يعتذر ·· أن يعرف لم هي غاضبة ·· فقالت وهي تكيل له المطاعن ان التغابي هو الدليل الأول على سوء النية وخسة الغرض !

كان رأسها الثائر قد نمق كلمات كثيرة موجعة ·· ان لسان المرأة هو سلاحها دائما ، وخاصة حين تريد أن تثأر لكبريائها !

ولم يحتمل هو ·· وتركها في الطريق · واستأنفت سيرها على شاطيء النيل ، وجلست على المقعد الذي سمع نجواهما عاما كاملا ·· وأحست بدبيب الندم في قلبها ، وكانت تتوقع أنه لن يلبث أن يعود فترق له وتطمئن اليه من جديد · لكنه لم يعد ·· وظلت وحدها !

وفي وحدتها بكت ·· بلل الدمع وجنتيها ، وأحست أن الجرح الذي أصاب كبرياءها قد ازداد عمقا ·· فلما لقيها بعد ذلك بأيام في محطة الترام ، ومد لها يده ، تجاهلت اليد الممدودة ، وتركته فريسة للابتسامات الخبيثة والنظرات الساخرة !

ولما راجعت نفسها في الليل وهي في سريرها ، عجبت كيف حدث ذلك ·· كيف سمحت لنفسها أن تصنع ذلك ·· مع الفتى الذي أحبته أعمق الحب ؟!·· وندمت ·· وبللت وسادتها بالدموع ·· ووعدت نفسها أن تبلل يده بالقبل والدموع أول ما تلقاه !

غير أنها لم تلتق به بعد ذلك قط ·· لم يعطها قط الفرصة لأن تراه ، الا مع « الدمية » !

وازداد جرح كبريائها عمقا ··

وأمضت عاما وحيدة ..

ثم جاء بسيونى افندى ، الموظف بمصلحة البريد يخطبها من أبيها ، فبكت وأبت وتوسلت ، لكن أباها احمرت عيناه ، وانتفض شاربه الشرس فوق شفتيه .. وبدأ صوته يعلو ويصل الى آذان الجيران ، فيئست من المقاومة ، وودعت الأحلام ، واستسلمت !

وها هي ذي تحمل بين ذراعيها الطفل الذى أنجبته لبسيونى افندى !

وها هي ذي تلقى سعيدا فجأة ، وللمرة الأولى ، منذ أربعة أعوام

وقالت مجيبة على سؤاله بعد ما فرغ من فحص الطفل : « نعم تزوجت .. وأنت ؟! » .. فأجاب فى مرارة وسخرية : « كلا .. انها مضت من حياتى .. انصرفت سريعا .. انها لم تحبنى قط ، بل أحبت « سماعة الطبيب » ! .. **كثيرات منكن لا يحببن الرجل بل مهنته ، ولا يحببن لب المهنة بل زخرفها وزينتها .. يعشقن فى الضباط النجوم التى تحلى كتفيه ، وفى المحامى الروب الأسود ، وفى الطبيب السماعة ! كثيرون من الضباط والمحامين والأطباء لا يساوون فى أعين النساء الا ما تساويه ريشة القبعة .. وكانت هى منهن ، فطردتها من حياتى ! »**

وتنهد . وعبرت وجهه غيمة مثقلة بالذكريات . ثم همس : « بحثت عنك ، لكننى لم أجدك ! بحثت طويلا .. حتى يئست ! »

وابتسمت فى مرارة . ومدت له يدها مودعة ، فقال وهو يهز يدها : « تعالى الى عيادتى لأعالج الطفل فى عناية »

وآلمتها حرارة يده .. وأزعجتها النظرة الحزينة ، الحالمة ، الحائرة فى عينيه !

ولمـا عادت الى البيت ، جعلت تفـكر وهى تحدق فى وجه الصغير النـائم : أتذهب الى الصـديق القديم ـ الذى ودت كثيرا لو تلقاه ! ـ لتسمع صوته ، وترى ابتساماته ، وتطل فى عينيه ·· وتعود معه ، ولو فى الوهم ، الى أرض الأحلام ؟!

وقطع عليهـا حبل التفكير صراخ الغلام الذى استيقظ ·
وخيـــل لها ان هذه الصرخات تقـــول : « لا تذهبى ·· لا تذهبى ! »

واعتزمت أن تطيعه ! ·· لقد رجحت كفة الطفل القبيح ، الأفطس الأنف ، على الكفة الأخرى · لقد تمنت فيما مضى لو تستطيع أن تغرق وجه « سعيد » بالقبلات ·· لو تقتص للأمانى الظامئـــة ·· لجمالها الذابل فى الصـحراء المدعوة « بسيونى افندى » ·· لكن ها هى ذى لا تفكر فى الفرصـة السانحة ·· ان كل الحنان المتلاطم فى روحها يتدفق فى قبلات راضية مطمئنة على انامل طفلها !

★ ★ ★

وفى الصباح التـالى ، نشبت بينها وبين بسيونى افنـدى مشادة عنيفة ·· فقد طلب اليها أن تذهب بالطفل المريض الى المستوصف ، لـكنها أبت ، وقالت له : « عالج ولدك حيث تشاء ، أما أنا فلن أخرج ·· لن أخرج لا الى المستوصف ولا الى أى طبيب ! »

وحمل الأب طفله وهو ناقم ·· وهو يتهم زوجه بالاسراف والتبذير ·· اذ سيضطر أن ينقد الطبيب أجره !

آه لو علم ·· لوضع على فمها قبـــلة حارة بفمه الواسع وأسنانه الطويلة المنفلجة !

لكنها لم تدعه يعلم قط ·· وخرج غاضبا !

وانصرفت هى الى المطبخ ·· ووضعت المقلاة على النار ·· وأذهلتها رائحة التقلية ، وزفرات « الموقد » عن الهناء المدبر ، والحب الموعود ، والأحلام الطائرة !



فى داخل افريقيا

"كنت فى الجزائر!"

للصحفى العالمى "چون جنتر"

هذا الانتصار الرخيص

◆ كان الغدر الفرنسى الخسيس الذى تجلى فى اختطاف فرنسا لزعماء المقاومة الجزائرية ، بمثابة وقود زاد نار الكراهية اشتعالا ضد فرنسا .. فقد عز على الدولة المنهارة الذليلة أن تظفر بانتصار واحد يرفع من رأسها ، منذ داستها أقدام الألمان فى الحرب العالمية الثانية حتى اليوم ، فلجأت أخيرا الى الغدر الدنىء كى تكسب انتصارا رخيصا .. ولكنها لن تهنأ به طويلا !

و « كتابى » يقدم لك فيما يلى ـ بهذه لمناسبة ـ الفصل الذى وضعه الصحفى العالمى « جون جنتر » عن الجزائر ـ فى كتابه « فى داخل افريقيا » ـ وهو يفضح لنا أبشع ألوان الاستعمار والاستغلال ، رغم الجهود التى بذلها « جنتر » للتمويه !

هل « التعايش » بين الخير والشر معقول ؟!

◆ **لقد** غزا الرجل الأبيض يوما (افريقيا) ، التى كان يسودها الرجل الأسود .. وطالما ظل الافريقيون يعيشون فى قبائل ، فليست هناك متاعب ما ، اللهم الا تلك الناشئة عن الادارة المحلية . أما حين يخرجون على الحياة القبلية ، ويحاولون أن يدخلوا المجتمع الحضرى الأبيض ، فان وضعهم ومستقبلهم يخلقان مشكلة معقدة أليمة ! .. على أن التطور مستمر ، ولا يمكن وقفه .. **فالرجل الأسود هو الذى يغزو اليوم (افريقيا) ، التى كان يسودها الرجل الأبيض ! ومن ثم فهناك احتمالان للمستقبل : تصادم مستمر مباشر بين السود والبيض ، تحيق عواقبه المدمرة بالفريقين .. أو ظهور مجتمعين يعيشان فى وئام جنبا الى جنب ، أى « تعايش » !**

وليس من السهل التعرف بالافريقيين والتودد اليهم ، فكلما أبدى لهم الأوربى أو الأمريكى ودا ، كلما ازدادوا فيه شكا

وارتيابا .. فهم مليئون بالشعور بالنقص وعدم الطمأنينة ! (١)
ويظن كثيرون من الأوربيين أن الأفريقيين اذا أصبحوا أحرارا ، فسوف يسيئون استخدام الحرية .. ولكن هذا يحتاج الى اثبات بالتجربة . وهم يقولون كذلك ان استغلال الافريقيين للأفريقيين أنكى من استغلال الأوربيين لهم ، وأن افريقيا « الحديثة » لن تكون « ديموقراطية » ! ولكن تجربة ساحل الذهب تنقض هذا الزعم !

افريقيا بطيخة .. اقتسمها الجائعون !

• **وقد** بدأ السبق فى استعمار افريقيا جديا حوالى سنة ١٨٧٠ ، وتم هذا الاستعمار تقريبا فى سنة ١٨٩٨ . وكانت هذه الفترة – التى لم تصل الى ٣٠ عاما – كافية لتقسيم القارة !.. **وقد اتصف الغزاة الأوربيون ب : « الجشع ، والغدر ، والغش ، والوحشية ! » .. فاستولوا من الملوك الوطنيين على قطع كبيرة من الأرض بالنصب ، اذ كانوا يعطونهم فى مقابلها عقودا لا تساوى شيئا !.. وقام السباق زمنا بين : البريطانيين والفرنسيين للاستيلاء على (السودان) ، وبريطانيا والمانيا للاستيلاء على (الكميرون) . ولم تحن نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، حتى كانت القارة فى أيدى : بريطانيا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، وايطاليا ، والبرتغال ، واسبانيا ، والمانيا .. كانت افريقيا بطيخة وقد اقتسمها الجائعون شرائح !**

ولكن لماذا يحتضر الاستعمار « الأبيض » العتيق فى أفريقيا ، ان لم يكن قد مات بالفعل ؟! .. هناك أسباب من كل نوع : هناك يقظة الشعور بأن حكم أمة لأمة أخرى أمر مناف للأخلاق

---

(١) يتجاهل « جنتر » هنا – أو بالأحرى يتناسى – ان حيل الغرب وخدعه ومؤامراته هى التى ولدت فى الافريقيين هذا الشعور الذى يشكو منه ،

٠٠ وهناك تضاؤل الدخل الناتج من هذا الحكم اذ أن نفقات الحكم المفروض ظلما تفوق الدخل الذى يجنى من ورائه ، لأن القوة تتطلب مالا كثيرا! وهناك الحقيقة المتمثلة فى أن ٢٠٠ر٠٠٠ أفريقى اشتركوا فى الحرب العالمية الأولى ، و ٥٠٠ر٠٠٠ فى الحرب العالمية الثانية ٠٠ كما أن ميثاق الأمم المتحدة بعث الأمل فى نفوس الشعوب الخاضعة للاستعمار فى كل مكان ٠ وما كان لخمسة ملايين من البيض أن يظلوا يحكمون ١٩٣ مليونا من الأفريقيين على الدوام !

الاستعمار الفرنسى يقوم على ابتلاع البلاد !

◆ **ومن** أهم الحزازات الرئيسية التى توغر صدر أفريقيا ضد الحكم الاستعمارى : الجهل ، والاستغلال الاقتصادى ٠ فلقد حرص الحكام الأوربيون على أن يجيعوا أفريقيا من ناحية التعليم ٠ أما من حيث الاستغلال ، فيكفى ان نذكر أن الأوربيين ، فى جنوب أفريقيا ، يستخرجون من الأرض الأفريقية ذهبا تصل قيمته الى عدة ملايين فى العام ، فى حين أنهم لا يدفعون للعامل الأفريقى أجرا يفوق أربعة شلنات فى اليوم !

وتقوم سياسة فرنسا الاستعمارية على الادماج البطىء ٠٠ أى أن تجعل من الافريقيين فرنسيين على مر الزمن !٠٠ فهى تحاول أن تباعد بين محكوميها وبين التذمر القومى بفتح أبواب الثقافة والحضارة الفرنسية لهم ٠ **وتبلغ مساحة الأراضى التى تستعمرها فرنسا فى افريقيا ٤ر٠٢٢ر١٥٠ ميلا مربعا ، يسكنها ٤٤ر١٥٢ر٦٠٠ نسمة ٠ فهى أوسع الدول استعمارا فى القارة !**

ولكن ، هل انتهت علاقة البيض بأفريقيا ؟ ٠٠ ان أفريقيا فى حاجة الى التقدم ، والى التدرب ، ولكنهما لا يمكن أن يثمرا فى جو مسمم بالكبت السياسى ، والتوتر العنصرى ٠٠ وان ثمن بقاء الأوربى بسلام فى افريقيا لهو الاصلاح ٠٠ الاصلاح

المتمثل فى أوضاع سياسية وطيدة ! (١)

الجزائر عربية .. رغم الصبغة الفرنسية !

« أصبح الجزائريون فرنسيين ، قبل أن يكونوا جزائريين! »
الجنرال جيوم

◆ **الجزائر** جزء من فرنسا ، وان كانت منفصلة عنها جغرافيا !.. فأهلها الافريقيون رعايا فرنسيون ، وان لم يكن يشترك فى الانتخابات سوى نفر قليل من المسلمات ، قبل سنة ١٩٤٧ . والمناطق الادارية الثلاث فى شمال الجزائر - وهى الجزائر وقسطنطينة ووهران - تعتبر كأية ولاية فى فرنسا ذاتها ! ومن هذه الوجهة ، تعتبر الجزائر مثالا للسياسة الاستعمارية الفرنسية .. سياسة ابتلاع البلاد المستعمرة تدريجا . ولكن ، هل حلت هذه السياسة « المشكلة الجزائرية ؟ » .. وهل الجزائر جزء من فرنسا حقا ؟.. لا !

فمن الصحيح أن مدينة الجزائر -العاصمة- لا تكاد تختلف عن أية ميناء فى فرنسا ، وأن فيها كثيرا من معالم المدن الفرنسية - وفيها مكتبات ومطاعم، لأن الفرنسيين يؤمنون دائما بتغذية العقل والجسم معا ! - **ولكن الواقع أن الجزائر لا تزال مدينة عربية رغم القناع الفرنسى ! .. وعلى الرغم من أن عدد الذين يرتدون الزى العربى قليل الا أن الجزائريين لا يزالون فى أعماق نفوسهم عربا .. فالعروبة هى اللحم منهم ، والفرنسية مجرد جلد يغطيه !**

---

(١) هنا يخطىء « جنتر » مرة أخرى .. فان ثمن بقاء الأوربى بسلام فى افريقيا ، هو أن يتخلى عن زعمه المتبجح بأنه صاحب الدار ، ويقبل أن يكون مجرد ضيف ترحب البلاد بنشاطه ، على أساس التعاون والمصلحة المشتركة واحترام السيادة القومية !

وتبلغ مساحة الجزائر أربعة أمثال مساحة فرنسا تقريبا . ويبلغ سكانها حوالى تسعة ملايين نسمة ، منهم مليون من الأوربيين . كما أن من الوطنين مليونين من القبليين الذين ينحدرون من قبائل البربر ، وقد أفلحت بعثات التبشير فى تحويل جزء منهم الى المسيحية . وليس كل الأوربيين من الفرنسيين ، بل ان بينهم عددا لا بأس به من الاسبانيين ، وبعض الايطاليين . أما الجالية اليهودية - التى تستمتع بالرعوية الفرنسية الكاملة منذ سنة ١٨٧٠ - فتبلغ ١٣٠٫٠٠٠ نسمة . وبعض الفرنسيين ، لا سيما أثرياء المستوطنين ، يمثلون الجيل الرابع من أسرات استقرت فى فرنسا منذ أمد بعيد . ولهؤلاء تاريخ طويل فى احتقار العرب ، فلا تسمع عبارة « عربى قذر » فى أى مكان أكثر مما تسمع فى الجزائر !

فرنسا تريد تقسيم الجزائر .. طمعا فى البترول !

◆ **على** أن الأقسام الادارية الثلاثة - فى الشمال - لا تبلغ ثلثى مساحة الجزائر كلها . . وهى تشمل المنطقة المحصورة بين الساحل والتلال . أما جنوبها ، فتمتد الصحراء الجزائرية الشاسعة ، التى لا تضم أكثر من ٨١٧٫٩٩٢ نسمة ، والتى لا تشبه الولايات الشمالية .. أى أنها ليست جزءا من فرنسا ، وانما هى جزء من الجزائر ذاتها .. فهى لا تحكم من باريس كالولايات الأخرى ، وانما تحكم من الجزائر .. وهى لا ترسل نوابا يمثلونها فى الجمعية الوطنية فى باريس ، بل انها « مستعمرة » للجزائر ، وان كان يحكمها - فى الواقع - الجيش الفرنسى .. **وقد أثار هذا الوضع مشادات سياسية حامية فى الفترة الأخيرة ، بسبب اكتشاف البترول فى الصحراء ، اذ من الذى يستولى على ايراداته ؟! .. فلو استأثرت بها الجزائر لأصبحت أغنى من فرنسا ذاتها ، ولذلك تود باريس أن تدمج هذه الايرادات فى الميزانية الفرنسية ، فى حين تطالب الجزائر**

بقسط كبير منها ! ٠٠ ومن المشروعات التى وضعتها باريس، فصل الأقاليم الجنوبية عن الجزائر نهائيا ، وتحويلها الى وحدة ذات حكم ذاتى تحت سلطان فرنسامباشرة ٠ ولكن الجزائريين – لا سيما المستوطنين – عارضوا هذا المشروع بشدة !

صفعة قوبلت بظلم ، وصفعة أذلت فرنسا !

◆ **وتختلف** الجزائر – فى مجموعها – عن مراكش فى أنها أكبر منها مساحة ، وأكثر ثروة واصطباغا بالصبغة الأوربية ٠ ومن الفوارق بين الدولتين :

١ – لم تكن الجزائر يوما دولة قائمة بذاتها ، بفضل الاستعمار! ٠٠ فقد استولى عليها الاتراك فى القرن السادس عشر، ثم نهض جنود من المغامرين المحليين فأقاموا شبه حكومة فى سنة ١٧١٠ ، تحت رئاسة حاكم بلقب « الداى » ! (١)

٢ – الفرنسيون أرسخ قدما فى الجزائر منهم فى مراكش ٠٠ فقد استولوا عليها فى سنة ١٨٣٠ ، وكانت حجتهم فى ذلك أن « الداى » صفع القنصل الفرنسى ٠٠ وما أبعد غضبة الفرنسيين من هذه الصفعة عن موقفهم ازاء الصفعة التى تلقوها فى (ديان بيان فو) ، بالهند الصينية ؟! (والتعليق هنا لجونتر !)

فكأن الفرنسيين بسطوا حكمهم على الجزائر ١٢٥ عاما ٠ وقد ضموها الى الكيان الفرنسى فى سنة ١٨٤٨ ، وظلوا منذ ذلك الحين منهمكين فى صبغها بالصبغة الأوربية ٠ ولكن الثقافة العربية كانت عميقة الجذور ، فلم يسهل استئصالها !

٣ – النظام الاجتماعى فى الجزائر معقد ٠ فليس كل

---

(١) لسنا ندرى لماذا لم يشأ « جنتر » أن يعتبر عمل هؤلاء الجنود من أبناء البلاد حركة استقلالية ، ولماذا لم يشأ أن يعترف بحكمهم كدولة ٠٠ اللهم الا أن يكون قد تأثر بالدعاية الفرنسية !

الاوربيين المستوطنين مستعمرين أغنياء ، ولا كل العرب فقراء متسولين . ويهاجر كثيرون من الجزائريين الى فرنسا ، دون أن يقوى أى شىء على صدهم ما داموا رعايا فرنسيين !.. ومن المحتمل أن يكون عدد الجزائريين المقيمين فى فرنسا اليوم قد بلغ ٣٠٠٫٠٠٠ ، معظمهم من العمال غير الفنيين .

٤ ـ لا يمكن اخماد نشاط الشيوعيين وحل حزبهم فى الجزائر ـ بعكس ما يحدث فى مراكش ـ لأن الجزائر جزء من فرنسا ، والحزب الشيوعى حزب يقر القانون الفرنسى قيامه داخل فرنسا ذاتها !

والمرأة الجزائرية محافظة ، محجبة ، وان أصبحت حركة تحرير المرأة تجرى بسرعة !

وفى الجزائر واحة (بسيكره) التى ورد ذكرها فى قصة (حديقة الله) ، والتى ولد فيها الروائى الفرنسى «ألبير كامى» .. وفيها اطلال مدن تروى تاريخا طويلا من أيام الرومان. كما أن فيها منطقة (كولومبيشار) ، يستخرج منها الحديد والفحم بكميات لا بأس بها ، مما يفسر اهتمام الفرنسيين بتصنيع الصحراء . و (كولومبيشار) هى أيضا مركز التجارب الفرنسية على القذائف الموجهة . كذلك توجد فى الجزائر مدينة (سيدى أبو العباس) ، مقر قيادة الهيئة العسكرية التى اشتهرت فى العالم باسم « الفرقة الاجنبية » ، ونصف أفرادها من الألمان !

الحركات القومية والسياسية فى الجزائر

• **اندلعت** فى أوائل مايو سنة ١٩٤٥ ، نيران ثورة هوجاء فى المنطقة المحيطة بقسطنطينة ، فكانت هذه أول حركة هامة فى شمال افريقيا فى العصر الحديث ، باستثناء ثورة الريف فى مراكش . وقد بدأت القلاقل عندما حاول البوليس أن يتدخل لفض المظاهرات التى قامت احتفالا بيوم النصر فى نهاية الحرب

العالمية الثانية ٠٠ وقد اشترك فى القتال ٥٠٠٠٠ عربى ٠ ويقدر الفرنسيون أن حوالى ١٥٠٠ من هؤلاء - و ١٠ أوربى - قتلوا ٠ ولكن العرب يقولون ان مجموع خسائرهم تتراوح بين ٢٠ و ٣٠ ألفا ٠٠ وهذا الرقم أعلنته الجامعة العربية فى القاهرة ، ولكنها ولا بد كانت مبالغة فيه ! (١)

وبادر الفرنسيون بعد تلك الثورة الى اتخاذ سياسة جديدة فى الجزائر ، وأقرت الجمعية الوطنية القانون الخاص بالوضع الرسمى للجزائر فى سنة ١٩٤٧ ٠٠ وكان من جرائه أن أصبح الجزائريون يشتركون فى الحكم على النحو التالى :

١ - تنتخب الجزائر ٣٠ نائبا يمثلونها فى الجمعية الوطنية بباريس ، كما لو كانت جزءا من فرنسا ذاتها ، و ١٤ مندوبا فى مجلس الجمهورية (الشيوخ) ، و ١٨ فى جمعية الاتحاد الفرنسى فى (فرساى) ، على أن يكون نصف النواب والشيوخ والمندوبين من المسلمين ٠٠ أى من الأهالى الأصليين لا الأوربيين المتوطنين ٠ **ويلاحظ أن هذا التمثيل اسمى أكثر منه فعلى ، لأن أصوات هؤلاء المندوبين تضيع وسط الأحزاب الفرنسية ، لا سيما وان بالجمعية الوطنية ٦٢٦ عضوا ٠٠ ثم اننا لو اتبعنا التقسيم الدستورى الذى يجعل النائب ممثلا لعدد معين من السكان ، لكان من حق الجزائر أن يمثلها ١٢٥ نائبا وليس ٣٠ !**

٢ - للجزائر جمعية تشريعية خاصة تتألف من مجلسين ، أحدهما يتألف من العرب فقط ، والآخر من العرب وغيرهم ٠ ويتناوب الجزائريون والفرنسيون رياسة تلك الجمعية ، التى

---

(١) يجزم الصحفى الذى اشتهر يوما بأنه محقق مدقق ٠٠ يجزم بأن هذا الرقم مبالغ فيه ، دون أن يجشم نفسه عناء اثباته أو حتى التحرى عن مدى حقيقته ! ترى ماذا يقول اليوم ، وأمام الأمم المتحدة شكوى مدعمة بالأدلة عن جهود فرنسا لابادة العنصر العربى فى الجزائر ؟!

تناقش الميزانية المحلية وشئون الحكم الداخلى . ولم يكن انشاؤها مجرد ترضية للعرب وحدهم ، بل كان صدوعا أيضا لرغبة الفرنسيين المتوطنين الذين لم يشاءوا أن يكون لباريس السلطان المطلق على مالية الجزائر ! .. والمفروض أن تكون الانتخابات سرية وعلى درجة واحدة ، ولكن الادارة الفرنسية تتدخل بشكل جعل المسألة مجرد مهزلة ، وذلك لتضمن أن يكون معظم الاعضاء من الأذناب الذين يسميهم الفرنسيون « بنى نعم » ! .. أو « بنى موافقين » !

المساواة الفرنسية .. حبر على ورق !

◆ **ويمتلك** الفرنسيون المتوطنون ثلثى الأراضى الصالحة للزراعة فى الجزائر ، ويسيطرون على انتاج الكروم – وهى تؤلف المحصول الرئيسى للبلاد – وتنتج الجزائر حوالى ١٫٣٠٠٫٠٠٠ طن من النبيذ فى العام ، يذهب معظمه الى فرنسا . ويستأثر سبعون من كبار الملاك بما لا يقل عن ٥٠٠٫٠٠٠ فدان . كما يسيطر أصحاب الأموال الفرنسيون على المصارف وشركات الملاحة والتصدير ، والمناجم ، والمواصلات الداخلية ، وانتاج الغلال . واستئثار المتوطنين الفرنسيين بكل هذا النفوذ الاقتصادى – رغم أنهم يمثلون عشر السكان – من أسباب السخط الذى يعتمل فى نفوس الوطنيين ، لاسيما وان أغلب العرب هناك يرزحون تحت وطأة الفقر ، حتى أن ٦٠ فى المائة من أهل الريف يعتبرون رسميا من « المعدمين » !

وعلى العموم ، فالجزائريون مواطنون فرنسيون ، ولكن المساواة مجرد « حبر على ورق » ، فليست العبرة بالقانون ، وانما العبرة بالتنفيذ والعقلية المنفذة ! . . والفرنسيون المتوطنون لا يرون فى الوطنيين زملاء يدعونهم الى دورهم ، وانما مجرد عمال غير فنيين ولا متعلمين ، ينقدونهم أزهد

الأجور ! ولقد مكث الفرنسيون فى الجزائر ١٢٥ سنة ، ولكن حكومة باريس لم تخصص مليما واحدا لتعليم الجزائريين قبل سنة ١٩٥٢ ! .. ولا ينعم بالتعليم اليوم أكثـر من سدس الأطفال الذين هم فى سن التعليم .. وهو موقف معيب ، مخز !

وقبيل الحرب العالميـة الثانية ، انشأ مختلف الزعماء الجزائريين أحزابا قومية لم تلبث أن أخذت تنقسم على نفسها وتختفى ، ثم تعود ثانية . يؤازرها الشيوعيون أحيانا !

أربعة أحزاب تتحد فى جبهة واحدة !

◆ **وفى** الجزائر الآن أربعة أحزاب قومية هى :

١ ـ **الاتحاد الديموقراطى للبيـان الجزائرى** ـ ويرأسه فرحات عباس ـ وهو حزب محافظ معتدل ، يريد الاستقلال مع استعداد لتكوين جمهورية تدخل مع فرنسا فى اتحاد . ولكنه يرفض سياسة الابتلاع الفرنسية .. أى الانضمام لفرنسا تحت حكومة باريس !.. وهو يقبل أن يكون لفرنسا الرأى فى السياسة الخارجيـة والدفاع . وعباس متزوج من سيدة فرنسـية ، واشترك فى الجيش الفرنسى فى الحرب الماضـية . وقد سجن لفترة قصيرة عقب ثورة مايو سنة ١٩٤٥ .

٢ ـ **حركة الانتصار للحريات الديموقراطية** ، وهى « حركة عنيفة » يرأسـها زعيم نشيط هو « مسالى الحـاج » . وهو شيوعى سابق ، ويتهمـه الفرنسيون المتوطنون بأنه المحرض على ثورة سنة ١٩٤٥ . وقد نفى مرتين الى افريقيا الاستوائية لمدتين طويلتين، ثم اعتقل فى مدينة فرنسية تدعى « ليه سابل دولون » . ويطالب حـزبه بالاسـتقلال فورا . ولا يحجم الفرنسيون عن اتخاذ كل اجراء لاقصاء أعضاء هذا الحزب عن انتخابات الجمعية الوطنية في باريس ، أو الجمعية التشريعية في الجزائر .

٣ ـ هيئة العلماء ، وأعضاؤها من المسلمين المتعصبين ، الذين يطالبون بالاصلاح الدينى • ويرأسها الشيخ بشير الابراهيمى • وهو يبدى عناية خاصة بالتعليم • وقد أسس ورأس منظمة تعمل لتنسيق الحركات القومية فى مراكش والجزائر وتونس •

٤ ـ الشيوعيون ، ولهم نفوذ كبير •• وقد اتحدت معهم الهيئات الوطنية الثلاث الأخرى فيما يعرف باسم « الجبهة الجزائرية » • ومن الموارد التى يستمد الحزب الشيوعى نفوذه منها « الاتحاد العام للعمال » • وله صحيفة رائجة تسمى «الجمهورية الجزائرية» •• ولعلها الصحيفة الشيوعية الوحيدة فى العالم التى لها من غير الشيوعيين قراء يفوقون قراءها الشيوعيين ! •• ولعل السبب فى ذلك يرجع الى أن الصحف الجزائرية الأخرى ملك للمتوطنين الفرنسيين ، فهى رجعية •• ويطالب هذا الحزب الشيوعى بالاستقلال التام •

والعامل الرئيسى الذى يضع العراقيل فى طريق الفرنسيين فى الجزائر ، هو ارتفاع معدل المواليد بين العرب ، اذ يزداد عدد السكان سنويا بحوالى ٢٥٠٠٠٠ نسمة • ومن ثم فلن يتسنى للفرنسيين أن يستوعبوا هذا الشعب السريع الازدياد فى نطاق الكيان الفرنسى !

ثورة نوفمبر سنة ١٩٥٤

◆ **وفى** نوفمبر سنة ١٩٥٤ ، قامت ثورة صغيرة ـ ولكنها مسلحة وخطيرة ـ ضد السلطات الفرنسية فى شرق الجزائر ، فى الوقت الذى كانت فرنسا تعانى الأمرين فى مراكش وتونس • ومع أن الفرنسيين يعزون أنفسهم دائما بأن مثل هذه الحركة مجرد « تنفيس عن الكبت » ، لان « الجزائر جزء من فرنسا ، فلا يعقل أن تثور على نفسها ! » ، الا أنهم فى الفترة الأخيرة بدأوا يفقدون ثقتهم السالفة • **ومن أدلة ذلك ، أنهم**

لم يدعوا للخـدمة العســكرية ممن بلغوا سن التجنيد من الجزائريين سوى ٣ في المائة فقط ، فى الأعوام الأخيرة ! ٠٠ وحجتهم فى ذلك أن الـ ٩٧ فى المائة الباقين ليسوا ممن يمكن الاعتماد عليهم !

ولقد كانت ثورة نوفمبر ١٩٥٤ مفاجأة قاسية لفرنسا ، فى الوقت الذى كان رئيس وزرائها يعمل فيه جاهدا للوصول الى اتفاق مع تونس ومراكش ٠ وانطلقت عصابات مسلحة منظمة من الوطنيين ـ وقد بدا جليا أن أفرادها كانوا مدربين ويعملون وفقا لخطة وضعت بدقة وعناية ! ـ فقتلت ٨ من الفرنسيين ، وقطعت الاتصال بين الحاميات ، وهاجمت المراكز الفرنسية على الحـدود ٠٠ وبدا أن أفراد تلك العصـابات كانوا يأملون أن يقيموا مركزا دائما للمقـاومة فى تلال (أوريه) ٠ وأسرع الفرنســيون الى ارسال تعزيزات لمراكزهم ٠ وما لبثوا أن أخمدوا الحركة التى زعموا أن مثـيريها من « الارهـابيين ! »

كذلك يلقى الفرنســيون اللوم على الاذاعة المصرية التى تحرض المتمردين ٠ ولكن ثمة احتمالا ينبغى ان لا يغفل ، وهو أن الحركة ربما نظمت فى الأراضى الفرنسية ذاتها ، وانبعثت من مدن المناجم بوجه خاص مثل (ليل) ، حيث توجد جاليات كبيرة من العمال الجزائريين ! ٠٠ ولقد قام البوليس الفرنسى بمراقبة هؤلاء العمـال وتفتيشهم ، كمـا عمدت السلطات الفرنسية فى الجزائر الى حل حزب « حركة الانتصار للحريات الديموقراطية » ، واضطهاد أعضائه ! (١)

---

(١) لم تفلح كل الاجراءات التى اتخذتها فرنسا فى اخماد الروح القومية فى الجزائر ، فراحت حركة التحرر تشتد وتقوى ، حتى أقدمت فرنسا على عملية غدر خسيسة ، فاعتقلت ـ أخيرا ـ خمسة من زعماء الحركة الوطنية الجزائرية ٠٠ واذا نار القومية العربية تتأجج من الخليج الفارسى حتى المحيط الأطلنطى ، منذرة المستعمرين بنهاية أجلهم فى القارة « البكر » ٠٠ افريقيا !

قبيل مثول هذا العدد للطبع

قررت « مطبوعات كتابي » ابدال القصة التى كان مقررا صدورها فى منتصف نوفمبر الحالى – والتى يرى القارىء اعلانا عنها على الغلاف الخلفى لهذا العدد – بكتاب آخر من أروع ما أخرجت المطابع .. انه كتاب :

رجال .. ونساء



أعظم مجموعة من القصص الانسانية التى تنفذ الى أغوار القلوب ، للأديب الروسى الجبار :

مكسيم جوركى

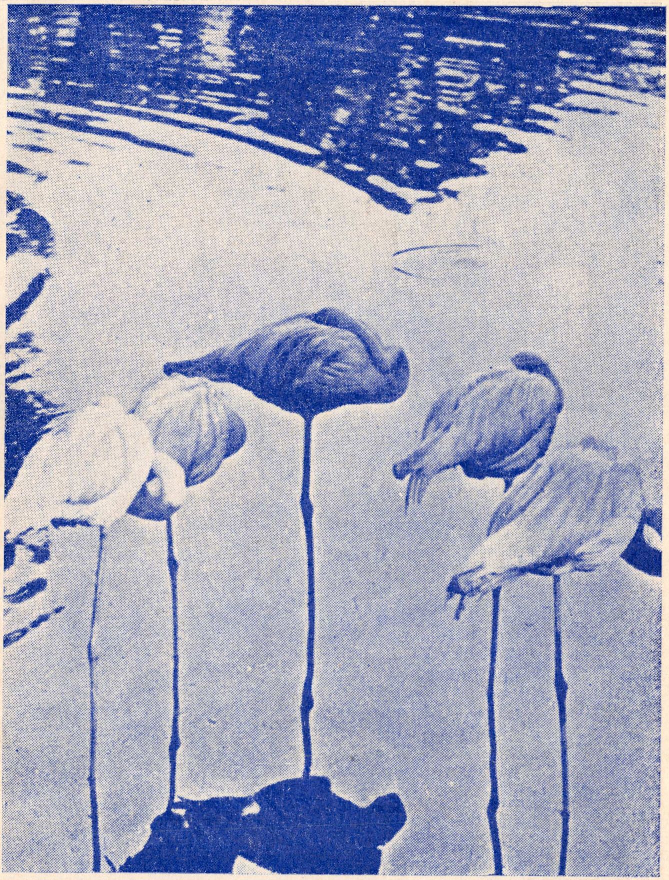
انه كتاب يحملك على جناحيه الى بقاع فاتنة تحلم بزيارتها ، ولا قبل لك بارتيادها .. يحملك الى : مخيمات الغجر ، وضفاف نهر « الفولجا » .. والقوقاز .. وسيبيريا .. والقرم .. واوكرانيا .. الخ .. الخ .

٢٠٠ صفحة من الأدب الانسانى الرفيع لم تقرأ مثيلا لها بالعربية من قبل – تصدر فى منتصف نوفمبر – احجز نسختك من الآن



حمام الحريم !

(للفنان انجر)



.. وحمام البجع !

(للفنان الأعظم : الطبيعة !)


LA MAIN
NOIRE
PAR
EUGENE
LENNHOFF
اليد السوداء!
الجمعية السرية التى تدين لها يوغوسلافيا بوجودها!
للمؤرخ العالمى "يوجين لينهوف".

انتصار جيشين !

◆ ان الدور الذى تقوم به يوغوسلافيا اليوم ـ بالتعاون مع مصر ـ فى سبيل حربه الشعوب وتوطيد السلام ومحاربة المطامع الاستعمارية الجشعة ، خليق بأن يذكرنا بالكفاح الطويل الذى خاضته هذه الدولة منذ أوائل القرن الحالى .. كفاح يشبه فى كثير من مراحله ، كفاحنا نحن المصريين ضد الملكية الفاسدة ، وضد الاستغلال السياسى الداخلى ، وضد الاستعمار الأجنبى ! .. وكما قدر لمصر أن يضطلع جيشها بعبء تخليصها من الفساد السياسى ومن الاستعمار ، فكذلك كان جيش يوغوسلافيا هو العنصر الأساسى فى الكفاح ، وهو الذى أنشأ الجمعية التى بثت الذعر فى قلوب الملوك الطغاة ، والساسة المنافقين ، ثم وحدت العناصر السلافية فى دولة واحدة تقوم اليوم بدور رئيسى فى السياسة العالمية لا السياسة الأوربية وحدها !

أما هذه الجمعية التى قدر لأبطالها أن يخلدوا اسمها وأسماءهم فى التاريخ ، فهى : « اليد السوداء » .. التى نقدم اليك قصتها فيما يلى :

ملك فاسد .. وشعب وجيش يتحفزان !

◆ **كان** الجو يوحى بالرهبة والخطورة .. وكان الغموض يلف القاعة الفسيحة التى ضمت ثمانين شخصا فى ثياب عسكرية ، وقد تجلت على أساريرهم علامات التحفز والغضب ..

كانت تفور فى صدر كل منهم انفعالات تعكس ما كانت تعانيه طبقات الشعب الصربى اذ ذاك من غليان .. فقد كانت البلاد ناقمة على حكم ملك فاسد راح يتأرجح على عرش واه ! .. وكأنما سول له غباؤه أن يجلس معه فوق العرش زميلا ، عسى أن يثبت الثقل ارتكاز الكرسى .. **ولكن غروره وشهواته حادت به عن اختيار الرفيق الطيب ، فلم يجد من يجلسه الى جواره سوى امرأة ساقطة قرر أن يتخذ منها زوجة ، وأن ينصبها على الشعب ملكة !**

وفاضت كأس الشعب بالهموم ، وعجـز عن أن يمضى فى تحمل مباذل الملك . واحتجت الأحزاب والطوائف والهيئات، الا انها أحجمت عن أى عمل ايجابى ازاء الارهاب الذى فرضه الملك . بيد ان الجيش لم يحجم ، فقد كان السخط والنقمـة يتأججان فى صدور أفراده الذين ظلوا يكظمون غيظمهم اشفاقا على الشعب من حدة الاصطدام ، فلما وجدوا ان الطغيان جرف مصالح الشعب ، قرروا أن لا مفر لهم من العمل .

وفى ذلك الجو المحـوط بالرهبة والغموض ، ولدت جماعة « اليد السوداء » !

ولكن ، لنبدأ القصة من أولها !

ملك يعادى شعبه .. من أجل غانية !

◆ **كان** ذلك فى أوائل القرن الحالى .. فى عام ١٩٠٣ على وجه التحديد .

وكان الشعب قد أمسك أعصابه عـلى مضض وهو يشهد مباذل الملك اسكندر الشاب تستفحل مذ نزل له أبوه «ميلان» عن العرش ، وقنع أهل الصرب ـ فى البداية ـ بأن يتفرجوا على مهزلة غرام الملك ! فقد تدله « اسكندر » فى حب غانيـة كانت وصيفة شرف للملكة الوالدة ، وتمادى فى هـواه حتى اتخـــذها « عشيقة رسمية » له . **واحتمل الشعب صامتا ، ولكنه حين رأى الملك يمعن فى الغواية ، فيحاول أن يتخذ من الغانية زوجة ينصبها ملكة على الصرب ، بدأ يرفع صـوته متذمرا ! .. فقد كان ماضى «دراجا ماشان» ـ عشيقة الملك ـ محوطا بالشبهات والفضائح..ومع ان أباها كان يوما صاحب منصب حكومى رفيع ، الا أنه فقد عقله ومات مجنونا وهو فى أوج رجولته ، كما ان أمهـا كانت سكيرة !** .. وكانت كل الشواهد تدل على أن « دراجا » كانت واسعة المطامع ، فقد استغلت عطف الملكة الوالدة عليها لتغوى الملك الطائش ، حتى

تردى فى شباك فتنتها ٠٠ ولكن أطماعها لم تقف بها عند منصب « عشيقة الملك » ٠٠ بل ان هذا المنصب لم يكن بالنسبة اليها غاية ، وانما كان مجرد وسيلة لمنصب أرفع ، وأعظم سلطانا ، وأرسخ مقاما ٠٠ منصب الملكة !

وحشدت « دراجا » كل دهائها ومكرها ، فصدت الملك ، وراحت تذكى لوعته وتؤجج هيامه ٠ وأخذ الشعب يشهد المهزلة ٠٠ يشهد الملك القاسى ، المستبد ، يتحول تحت وطأة الهجر الى ألعوبة ذليلة ، مهينة ، حتى لقد نسى كرامة الملك ووقار التاج ، فكان يقف تحت نافذة « دراجا » ساعات طويلة وهو يستعطفها ـ على مرأى ومسمع من الضابط الذى كان يرافقه ـ لتأذن له بلقائها ، ولكنها لم تكن تكترث له ، امعانا فى اذلاله !

وضربت الغانية عصفورين بحجر واحد : أذلت كبرياء اسكندر وأذكت وقدة هواه حتى لم يعد يطيق صبرا ٠٠ وأطلعت الشعب على مدى ضعة الملك ، ليعرف كل معارض ان لها السلطان الأول ! ٠٠ وما كانت مغالية فى ذلك أو واهمة ، اذ لم يلبث الملك ـ وقد انتابته حمى الرغبة فى الظفر بدراجا ـ أن دعا رئيس وزرائه « توكاسين بتروفتش » وأبلغه عزمه على الزواج من تلك الغانية ٠٠

يقتل أباه لأنه عارض زواجه !

• **وتسربت** « الرغبة السامية ! » الى الشعب ، فلم يشأ أن يسكت عليها كما سكت على الأخطاء التى ارتكبها « اسكندر » من قبل بنزقه وغروره ٠ وبادر رجال الدولة ينصحون الملك، فلم يتلقاهم بغير الصلف والتعالى ٠ وتوسل اليه المخلصون للأسرة المالكة ، والأوفياء من رجال الحاشية ، ولكنه جازاهم عن اشفاقهم عليه أسوأ جزاء !

حتى أبوه «ميلان» ، الملك السابق الذى نزل له عن العرش

وأولاه هذا السلطان ٠٠ لم يستطع أن يزحزحه عن غوايته ، ولم يسلم من جحوده ! اذ كان « ميلان » قد استبقى لنفسه – بعد نزوله عن العرش – قيادة الجيش ، فأقدم حين اشتدت الأزمة المزرية على الاستقالة من آخر منصب رسمى له ، قائلا : « ان أصغر ضابط فى جيشى يأبى على نفسه أن يقترن بسيدة كهذه ! »

وما لبث الملك الأب أن اغتيل برصاصات غادرة ٠ ومع ان التحقيق سجل ان القتلة « مجهولون » ، الا ان الشائعات سرت فى الدولة تؤكد ان الملك هو الذى أوعز باغتيال أبيه !

الملك يؤلف « وزارة زواج » !

◆ **ولكن** الجيش لم يقنع بالانسحاب السلبى الذى قنع به قائده – الملك السابق – والوزراء ٠ فعمد جميع الضباط الى رفع التماس الى الملك يناشدونه فيه العدول عن الزواج الذى أوشك أن يجلب الفرقة على الأمة ٠ وكان جواب الملك السادر فى غوايته ، انه لا يقبل تدخلا من ضباط ليس لهم سوى أن يدينوا لقائدهم الأعلى بالطاعة العمياء !

وحاول خاله – الكولونيل « كونستا نتينوفيتش » ، قائد الفرقة الثانية من الفرسان – أن يثنيه عن رعونته ، حتى اذا أعيته الحيل ، أقسم ليقتلن « المرأة التعسة » بيديه ٠ وذهب فى هياجه الى درجة أن انتزع الشارات العسكرية عن كتفيه وصدره وألقى بها عند قدمى الملك مستقيلا بذلك من خدمته !

ولم يفلح أحد من زعماء (بلغراد) فى اقناع الملك بأن عناده لن يجديه خيرا ، وفى انذاره بأنه سيدفع الثمن غاليا ٠ وفكر البعض فى حبس الملك فى قصر « كوناك » ، ثم اختطاف « دراجا » على مرأى منه ونقلها الى ما وراء الحدود ! وقضى رئيس الوزراء ساعات في محاولة اقناع الملك بالرجوع عن

اصراره ، فلما أعيته الحيل ، قدم اليـــه استقالة جماعية من الوزراء . غير أن الملك مزق الاستقالة اربا ، وأمر الرئيس بأن يذهب الى « دراجا » فيهنئها باســـم الحكومة ! .. ولكن « بتروفيتش » قال له : « لتقطع قدماى قبل أن تخطوا خطوة فى مهمة كهذه . فكف يا صاحب الجلالة عن هذا المزاح الخطير، وتقبل استقالتنا ! »

وتشكلت « وزارة زواج » لم يشترك فيها أحـــد من كبار الساسة . وكان قيصر روســيا يرقب المـــوقف عن كثب ، فأرسل تهانئه للملك ورجاءه فى أن يدعوه ليكون بين شهود الزواج ، أملا منه فى أن يؤدى هذا الى اقناع الشعب بأن الزواج المزمع لن يسىء الى البلاد فى ميدان السياسة الدولية . وأقصى اسكندر رئيس الحـــرس ، ورجال اليـاوران ، وكبار أفراد الحاشية ، فى اجازة طويلة . ولكن شيئا من هـــذه الاجراءات لم يخفف من غليان العواطف فى دوائر الجيش .. ولا زحزح الملك عن اصراره النزق ، اذ تزوج من فاتنته كما أراد !

وكان جواب الشعب أن امتنع عن تهنئته !

نشيد ولى العهد .. فى الحانات !

• **وكانت** الأحداث التى تلت الزواج سببا فى اذكاء نقمة الشعب .. فقد عمدت « دراجا » الى ما أطلق عليـه التاريخ اسم « مهزلة الحمل » . اذ شـــاءت أن تغيظ خصومها ، وأن تشد الملك اليها برباط أقوى ، فزعمت انها حامل – رغم ان الأطباء أكدوا لها انها لن تحمل لطول ما أسرفت فى العبث ! – وأخذت تحشو ثيابها شهرا بعد شهر ، ليبدو بطنها منتفخا ، الى أن افتضح الأمر ، فلم تعد تملك أن تتمادى فى التمثيل !

وزاد من تطور الموقف ، أن فرضت على الشعب «اكتتابات» اجبارية لشراء خيول لتأليف فرقة من الفرسان تحمل اسم « الملكة دراجا » ، وشراء يخت لها .. فاعتبر أهل (بلغراد)

هذا الاجبار بمثابه امعان من الغانية والملك الغافل فى اذلالهم . ولكن « دراجا » ومجنونها لم يرعويا ، بل أخذت الغانية ـ وقد خالت ان الأمر استتب لها ـ تمعن فى التدخل فى شئون الحكم ، فمكنت أذنابها من أن يحكموا من وراء الستار ، وأقصت عن القصر كل أمين ، وأوعزت بنفى كل حر جرىء عن البلاد ..

وفى أبريل سنة ١٩٠٣ ، حدث انقلاب دستورى خطير ، اذ عدل قانون الانتخاب ، وحل المجلس التشريعى ، وأصدر الملك قرارا بتعيين أحد شقيقى « دراجا » ـ وكان يدعى « نيكوديم لونيفيكا » ـ وليا للعهد ! .. وكأنما عز على الغانية الداهية أن لا يكون للعرش وريث من نسلها ، فرأت أن تضمنه لفرد من أسرتها ! .. وكانت هذه الخطوة أكثر مما يطيق الشعب ، وخاصة أن « نيكوديم » كان سكيرا لا يفارق الحانات . وثار ضباط الجيش حين رأوه يأمر بعزف « سلام ولى العهد » كلما دخل حانة ، وحين أصبح الواحد منهم يتعرض للاهانة اذا لم يقف احتراما للسكير الماجن !

مولد « اليد السوداء » !

◆ **وبدأ** الضباط يتآمرون فيما بينهم على الأوضاع التى كانت قائمة .. ثم اتصلوا ببعض الساسة ، وما لبثوا أن عقدوا اجتماعا فى دار وزير العدل السابق ، واتخذوا قرارا بانهاء حكم أسرة «أوبرينوفيتش» ودعوة أسرة «كراجورجفيتش» للحكم .. ووقعوا قرارا جاء فيه :

« يأسف الموقعون على هذا للانهيار المحقق السائد فى البلاد ، والذى لابد أن ينتهى بالبلاد الى كارثة أكيدة ، ويرون ان الملك اسكندر هو المسئول الأول عما حدث . ومن ثم قرروا أن يأخذوا على عاتقهم انقاذ الوطن ومعاقبة الجناة بالموت اذا اقتضى الأمر . وسيدعى الملك بطرس كراجورجفيتش

ليعتلى عرش الصرب بدلا من الملك اسكندر »

ولكن الوزير - صاحب الدار - وعددا من الضباط العقلاء، رأوا أن يظل القرار فى طى الكتمان ، الى أن تتهيأ الظروف للثورة .. ومع ذلك فقد نمى الأمر الى الملك الذى تلقاه ساخرا ! .. وعاد الضباط يجتمعون - وقد ازدادوا سخطا - فقرروا أن يخطفوا الملكة الفاسدة ، وأن يغرقوها فى (الدانوب) .. ولكنهم لم يلبثوا أن عدلوا عن القضاء عليها ، وقرروا أن يقصوها عن البلاد . بيد ان هذا التراجع فت فى عضد ضعاف النفوس منهم ، فبدأوا يخافون ويتخاذلون :

وهنا فقط ، ظهرت جمعية « اليد السوداء » التى قامت بدور خطير فى تاريخ الصرب . فقد هال الضباط الأحرار مارأوه من تخاذل بعض الهيابين ، ومن وجود خونة كانوا يحملون أنباء اجتماعاتهم الى الملك ، فقام الكولونيل « اسكندر ماشان » - وكان أخا غير شقيق للملكة ! - والليفتنانت كولونيل « بيير مشيتش » باختيار نفر ممن كانوا أهلا للثقة، فى تكتم تام ، حتى ان أحدا من أعضاء الجماعة لم يكن يعرف زميله ..

عملية عسكرية .. بعد منتصف الليل !

• **وهكذا** عقد الاجتماع الذى وصفناه فى البداية ، وتلته اجتماعات . ونمى الى الملك ان الضباط الأحرار يبيتون له أمرا ، فقال ساخرا : « الضباط ؟! .. بوسعى أن أشترى أكبر عدد منهم .. الضابط بعشرة جنيهات ذهبية ! » .. وقالت الملكة فى قحة : « انهم جبناء ، ولن يجرؤ واحد منهم على أن يتحرك من مكانه ! » .. ولكن الضباط كانوا ماضين نحو غايتهم قدما . ففى مساء ١٠ يونيو سنة ١٩٠٣ ، تلقى الضباط الأحرار الأمر السرى التالى من الكولونيل «ماشان» :

« أخطركم بأننى سأذهب حوالى منتصف هذه الليلة الى

الثكنة السابعة ، فأرجو انتظارى هناك ٠٠ يجب أن لا يعرف أحد شيئا عن هذا اللقاء ، وبمجرد وصولى سيكون الجنود على أهبة الاستعداد ٠ ولن يدعى الضباط الذين يكونون فى المدينة ، كما يجب أن لا يعودوا الى الثكنات حتى تتم عملية قصر «كوناك» ٠ وعليهم بعد ذلك أن يطيعوا رؤساءهم الجدد ، وأن يخضعوا للقانون ٠ احفظوا كلمة السر : « زفير » ، وكلمة الاجتماع داخل الثكنة : « زلاتيبور » ٠٠ والى اللقاء » !

وكان أكثر « المتآمرين » فى الانتظار فى مقهى كبير ٠ فلما انتصف الليل ، بادروا الى الاجتماع فى مقصف الضباط بثكنة (كالمجدان) ، حتى اذا صدر الأمر بالتحرك ، اخطروا الفصائل التى كانت تحت امرتهم ، زاعمين أن الملك أراد أن يطلق « دراجا » التى استعانت بأنصارها على حبسه فى القصر ، وانهم ذاهبون لانقاذه ٠ وفى الساعة الثانية صباحا ، تحركت القوات زاحفة على القصر ، حيث يسر قائد الحرس — وكان من الضباط الأحرار — السبيل لفريق من الضباط ليتسللوا الى الفناء ، بينما حاصرت بقية القوات القصر معززة ببعض المدافع الخفيفة ٠

ولم يزد عدد الذين دخلوا القصر « للتنفيذ » على أربعين ضابطا ٠٠ وحاول ضابطان من الحرس أن يقاوما فقتلوهما ٠ ووجدوا الأبواب موصدة فحطموها بالبلطات ٠٠ وأطلق ضابط من الحرس كان صهرا لرئيس « وزارة الزواج » النار ، فأردى أحد الضباط الزاحفين ، ولكن ضابطا آخر ألقى عليه قنبلة يدوية قتلته فى الحال ، وقتلت ضابطا من المتآمرين — لسوء الطالع — وأسقطت الثريا الكبرى التى كانت فى ردهة القصر فتحطمت ٠٠

ومضى المتآمرون يهشمون الأبواب واحدا بعد الآخر ٠ حتى وصلوا الى مخدع الجنرال « لازار بتروفيتش » — كبير الياوران — فأيقظوه من نومه ، وأمروه بأن يدلهم على جناح

الملك والملكة . فجعل يطـوف بهم فى أرجاء القصر الفسيح ويتنقل بهم في الأجنحة الخالية ليضللهم ، عسى أن يتيح «لصاحبى الجلالة» الفرصة للفرار . ثم قطع التيار الكهربائى، فجعلوا يتخبطون فى الظلام !

مصرع الملك .. وزوجته !

◆ **وهبط** بهم « بينروفيتش » سلما فى الظلام .. وكانت قطع الأثاث تنقلب فى طريقهم ، والصوانات تقع محدثة دويا عنيفا . وعندما تأكدوا ان الرجل كان يضللهم ، أردوه قتيلا. وعلموا فى تلك الأثناء ان زملاءهم اعتقلوا رئيس الوزراء ، ووزير الحربية ، وشقيقى « دراجا » وقضوا عليهم ، فشجعهم ذلك على مواصلة البحث فى أرجاء القصر ، على ضوء الشموع. وما لبثوا أن وصلوا الى المخدع الملكى ، ولكنهم ألفوه خاليا . وعبثـا نقبـوا فى كل ركن من أركانه . ولكنهم ما كادوا يبارحونه ، حتى سمعوا صرخة خافتة .. صرخة امرأة ! .. وعادوا الى المخدع من جديد يفتشونه ، دون طائل .. وفجأة، فطنوا الى باب زجاجى كان متواريا فى العتمة ، فحطموه ، واذا هو يفضى الى غرفة صـغيرة ضيقة .. **وكان الملك والملكة منكمشين فى أقصاها ، بثياب النوم ! وكان « مشيتش » ـ قائد الحركة ـ هو الذى عثر عليهما ، فصاح : « ها هو ذا التعس وعاهرته ! » .. وعبثا حاول الاثنان أن يستعطفا الثوار ، فقد شهروا سيوفهم واشتركوا جميعا فى قتلهما!..** ثم ألقوا بالجثتين من النافذة ، فبقيتا فترة فى فنـاء القصر ،



حتى أعادوهما الى الداخل ، فألقوهما على مائدة للبلياردو
وبعد ذلك بأربعة أيام ، أعلن بطرس كراجورجفيتش ملكا
٠٠ وكان منفيا ، فوصل يوم ٢٠ يونيو الى (بلغراد)

« اليد السوداء » ٠٠ فى الميدان الدولى

◆ **وتوالت** الحوادث ، فقتل أعوان الملك الأرعن وزوجته الفاسدة ٠٠ وكانت جمعية الاتحاد والترقى قد بدأت بدورها تكافح طغيان الملكية الاستبدادية فى تركيا — فى تلك الاثناء — فأرغم أنور باشا ومدحت باشا وزملاؤهما السلطان عبدالحميد على أن يمنح البلاد حكما نيابيا

وانتشرت الحركات التحريرية ، ونهضت الشعوب المغلوبة على أمرها تقاوم طغيان الملوك السادرين فى غيهم ٠ وبدلا من أن يلتمس ملوك الشعوب المهادنة عبرة من هذه الحال ، أصبحوا فى خوف من شعوبهم ، فراحوا يضيقون عليها الخناق ٠٠ وانزلق ملك الصرب الجديد الى هذا المسلك ، وكأنما نسى أن الشعب هو الذى رفعه الى العرش ، بل نسى مأساة سلفه ، فاذا به يجنح الى الظلم ٠ **واذ ذاك نهض بطل من أبناء الصرب يدعى الميجر « فويا تانكوسيتش » ، فأيقظ جماعة « اليد السوداء » من سباتها ٠ وكانت فى هذه المرة جماعة سرية بكل ما في الكلمة من معني ، فشرعت فى سنة ١٩١١ في توحيد صفوف الشعب ، متخذة شعارها : « الاتحاد أو الموت !٠٠ وبلغ من وفائها لهذا الشعار أن أصبح اسما لها ٠ واتسع نطاقها حتي انها كانت فى سنة ١٩١٤ تضم ٢٠٢٠من كبار الضباط الممثلين لكل فرق الجيش ، يساندهم صف ثان يتألف من ١٥٠ ألفا من العسكريين الاحرار !**

على ان هذا الاتساع لم يقتصر على عدد الاعضاء ، بل امتد أيضا الى نطاق نشاط الحركة ، فخرج هذا النشاط من حدوده المحلية الى المجال الدولى ، اذ تولت الجماعة — خلال الحرب

العالمية الأولى - الدفاع عن حقوق العناصر السلافية فى أوربا الوسطى والبلقان ، ولم تعد دعوة « الاتحاد أو الموت » شعارا محليا ، وانما غدت صرخة لجميع السلافيين

واستغل « الحلفاء » هذا الموقف عندما تحرجت أوضاعهم فى البلقان فى أواخر تلك الحـــرب ، وبعـد أن تمكنت القوات الألمانية والنمسوية من أن تصمد أمام قوات انجلترا وفرنسا وروسيا ، رغم ما كان يعانيه الألمان من ارهاق ، وما كان يدب فى صفوف القوات النمسوية من فرقة اذ كانت تضم خليطا من أبناء شعوب كانت ساخطة على السيادة النمسوية ! ٠٠ **ومن ثم اتصل رجال المخابرات الروسية - فى شـمال البلقان - وأعـــوان المخابرات الفرنسية والانجليزية ، فى جنـوبها ، بجماعة « اليد السوداء » ، مؤكدين لها استعداد الحلفاء لضمان حرية الصرب ووحدة العناصر السلافية اذا ما عاونت هــذه العناصر الحلفاء فى جولتهم الأخيرة ضد الألمان !**

مولد الدولة السلافية (يوغوسلافيا)

◆ **وتسلل** أعضاء « اليد السوداء » - أو بالأحرى « الاتحاد أو الموت » - الى المناطق السلافية التى كانت خاضعة للنمسا والمجر ، فراحـوا ينادون بالتحرر من نير الحـكم النمسوى ، لتكوين دولة سلافية مستقلة فى وسط البلقان وغربها ٠ وسرعان ما دبت نار الثورة بين تلك الشـعوب الساخطة على الامبراطورية النمسوية ٠٠

واذ نضجت الحـركة ، بدأت سفن شراعية تتسلل فى جنح الظلام - فى الليـالى الداكنة - الى ساحل الادرياتيك الشرقى وبعض مناطق من سـواحل البلقان ، تحمل أسلحة ومدربين من بريطانيا وفرنسـا وايطاليا ٠٠ فكان مندوبو « الاتحاد أو الموت » يتلقونها فى تحمس وشوق ، وقد أخذوا يحولون جماعتهم السرية الى فرق نظاميـــة تؤلف جيش التحـرير ٠ وكانت

الأسلحة الروسية تتدفق من الجانب الآخر ٠٠ من الشرق ومن البحر الأسود ، الى العصابات التى نشطت فى رومانيا لدحر بلغاريا ، احدى دول الحلف الألمانى

وهكذا قام جيش التحرير بقيادة أبطال « اليد السوداء » ، فكان له دور كبير فى وضع نهاية لمقاومة الألمان فى البلقان ٠ وما ان وضعت الحرب أوزارها واعلنت الهدنة ، حتى اجتمعت فرق التحرير فى (بلغراد) لتعلن مولد الدولة السلافية الجديدة : يوغوسلافيا !

دماء جديدة ٠٠ ونظم ثورية !

◆ **وأصبح** ملوك الصرب ملوكا ليوغوسلافيا ، يبسطون سيادتهم على العناصر السلافية فى أوربا الوسطى ٠٠ ولكن الملكية لم تحمد لجيش التحرير أفضاله عليها ، بل وجهت اولى بوادر طغيانها اليه ، اذ عمدت الى حل فرق التحرير واضطهاد أبطال الاستقلال ٠٠ ولكن « اليد السوداء » قاومت الطغيان الملكى فى قوة واستبسال ، لاسيما وان حركة الوحدة السلافية جعلتها تفسح صفوفها لبعض السياسيين المتطرفين ، وفى مقدمتهم أعضاء حزب العمال الاشتراكى ، الذين تلقوا التعاليم الاشتراكية فى ألمانيا وروسيا

ولقد جلبت هذه الدماء الجديدة معها ـ من ألمانيا وروسيا ـ أساليب جديدة فى المقاومة والحرب الخفية وتنظيم الحركات الثورية ٠٠ وكان من أنشط عناصر هذه الدماء ، الميجر « دراجوتان ديميتريفيتش » الذى رأى ان اتساع الحركة مكن لأعدائها من ان يبثوا جواسيسهم بين صفوفها ، فعمد الى وضع نظم سرية محكمة ٠ وأصبح لكل عضو اسم غير اسمه الحقيقى ـ على نمط ما كان متبعا لدى الثوار البلاشفة فى روسيا ـ وكان الاسم الذى اختاره «ديميتريفيتش» لنفسه هو «آبى» ٠ ومضى « آبى » يقود الجماعة خلال الحرب والمحن التى تلتها فى بسالة وجرأة

صليب ومسدس .. ويمين فى الظلام !

◆ **وعندما** اشتد الصراع بين «اليد السوداء» والملكية،أحكمت قيود السرية والتكتم أكثر من ذى قبل ، حتى ان الأعضاء لم يعودوا يتعارفون بغير أرقام خاصة تغيرت مرارا حتى لم يعد يسهل على أى عضو ان يعرف صاحبه أو حامل الرقم الذى يجلس الى جواره فى الاجتماعات . **وكانت هذه الاجتماعات تعقد فى قاعة خفية مظلمة ، يلجها الأفراد وهم ملثمون بحيث لا يبدو من وجوههم ما ينم عن شخصياتهم . وفى صدر القاعة ، كانت ثمة منضدة مكسوة بعلم أسود يتوسطه رسم بالأحمر لصليب ومسدس ، سلط عليهما ضوء المصباح الوحيد فى القاعة ..**

وكان العضو الجديد يسأل فى مقر قيادة الجماعة فى (بلغراد) عما اذا كان مصرا على الالتحاق بالجماعة ، رغم الأخطار التى قد يتعرض لها ، ورغم المتاعب التى قد يعانيها .. فاذا أعلن اصراره طلب اليه ان ينسى شخصيته ، ثم تقدم اليه نسخة من قانون الجماعة ليستوعبها ، ويلفت نظره بصفة خاصة الى بند جاء فيه : « اذا أصدرت اللجنة المركزية فى بلغراد أمرا بمهمة تنطوى على موت ، فالمهم هو تنفيذ هذه المهمة .. لا وسيلته لتنفيذها » !

واذا أبدى المتقدم استعداده ، تأهب لأداء القسم . فتطفأ الأنوار ، ويفتح باب لينفذ منه شخص ملثم ، وقد غطى رأسه بقلنسوة سوداء ، وأسبغ على جسمه عباءة سوداء طويلة .. ذلك هو مندوب الهيئة التنفيذية ! .. ولا ينبس هذا القادم بكلمة ، بينما يتلو العضو الجديد اليمين : « **أقسم ـ أمام الله ـ بالشمس التى تدفئنى ، وبالأرض التى تغذينى ، وبدم آبائى ، وبشرفى وحياتى ، ان أكون ـ منذ اللحظة وحتى مماتى ـ وثيق الولاء لقوانين هذه الهيئة ، وعلى استعداد لأية تضحية ترى**

فرضها على ٠٠ وأقسم أمام الله بشرفى وحياتى ، ان أطيع كل الأوامر والتعليمات دون جدال ٠٠ وأقسم أمام الله بشرفى وحياتى ، ان أحمل معى أسرار هذه الهيئة الى قبرى ٠٠ ولينزل الله ورفاقى أعضاء هذه الهيئة قضاءهم بى اذا أنا انتهكت هذا القسم أو خرجت عليه » !

واذ ذاك يصافحه الشبح الأسود ويقبله ، ثم يبرح الغرفة دون ان ينبس ببنت شفة ٠ وتضاء الغرفة من جديد ، فيرى العضو نفسه فى صحبة الذين كانوا يرافقونه فى البداية !٠٠ وبعد ان يوقع باسمه على القسم ، يتسلم الرقم الذى يعرف به بعد ذلك ، ويتلقى كلمة السر ، ويغدو متأهبا للعمل بمجرد صدور أى أمر اليه !

ضربة قاصمة للجماعة !

◆ **على** ان هذه التدبيرات لم تغن الجماعة شيئا ، اذ كان القدر يدبر لها ضربة قاصمة أنزلها بها فى ١١ سبتمبر سنة ١٩١٦ ٠ ففى صباح ذلك اليوم من أيام الربيع ، كان الأمير اسكندر ـ ولى عهد يوغوسلافيا ـ عائدا من (أوستروفو) اليونانية الى (فلادوفو) حين أصابت عربته رصاصتان لم ينجم عنهما أى ضرر ٠ وسارعت السلطات الى كبح جماح الضجة التى أثارها الحادث ، وكأنما كان يهمها اسدال ستار الكتمان عليه ٠ **ولكن الضجة عادت الى الظهور مرة أخرى فى ١٥ ديسمبر من العام ذاته ، اذ توصلت السلطات الى مقر قيادة «اليد السوداء» ـ أو «الاتحاد أو الموت» ، وهو الاسم الذى ظل غالبا عليها فى تلك الحقبة من تاريخها ـ فدهمته ، وألقت القبض على « آبى » ، الذى كانت الشبهات قد اتجهت الى انه المحرض على الحادث ٠ ووجهت اليه تهمة تدبير خطة لاغتيال رئيس الوزراء ، وقلب نظام الحكم ٠** وكأنما لم تقنع السلطات بأن هذين الاتهامين كانا كافيين لاعدامه ، فأضافت اليهما

تهمتى الخيانة العظمى ، والتجسس لحساب الأعداء !

وكان « آبى » هو آخر من بقى من الزعمـــاء الرئيسيين القدامى للجمعية ، وكان قد تظاهر بالاخلاد الى حياة السكون والدعة ٠٠ ولـكن الدماء الوطنية التى كانت تجرى فى عروقه لم تكن تعرف سكونا ولا دعة ٠ واذا كانت جماعة « الاتحاد أو الموت » قد بدت فى مظهر المستسلم لاغفاءة ـ فى تلك الفترة ـ الا انها كانت فى الواقع اغفاءة محمومة ، لن تلبث ان تفيق منها لتعاود صراعها مع الملـكية الفاسدة المستهترة ٠ وقد حسبت السلطات لهـذا حسابه ، فأرادت ان تقضى قضـاء مبرما على الجمعية ، ومن ثم صحبت اعتقال « آبى » موجة من الاعتقالات ، شملت جنرالا وستة ضباط برتبة كولونيل ، وضابطين برتبة ليفتنانت ـ كولونيل ، هم فى الحقيقة الرؤوس التى كانت تتولى فى ذلك الحين اعادة تنظيم الجمعية

وكان من سخريات القدر ، ان الذى رأس المحكمة العسكرية التى تولت محاكمة « آبى » وزملائه ، هو الجنرال « مشيتش » الذى كان فى طليعة الأبطال الذين أنشأوا « اليد السوداء » ، والذى قام بدور رئيسى فى أحداث سنة ١٩٠٣ ٠ ولم يكن من السهل على « مشيتش » ان يحكم على زملائه القدامى ، لولا ان السلطات كانت قد ساقت من القرائن والأدلة ما لا يدع مجالا أمام القاضى للمراوغة ٠٠ ومن ثم قضى على « آبى » وثمانية من زملائه بالاعدام رميا بالرصـاص ، بينما حكم على الآخـرين بالسجن لخمس عشرة سنة

تحية أخيرة ٠٠ بالرصاص !

◆ **وقبيل** تنفيـذ حكم الاعدام بيومين ، طلب « آبى » ورقا وقلما ، وكتب بيد ثابتة :

« على الرغم من ان محكمتين قررتا ادانتى ، ومن اننى حرمت من العفو الملكى ، فاننى أموت بريئا ، وان كنت مقتنعا بأن ثمة

أسبابا أجهلها ، تجعل موتى ضرورة فى مصلحة الصرب ٠٠ وهذا الاعتقاد هو الذى يساعدنى على ان أواجه آخر ساعات عمرى بجنان ثابت ! ٠٠ **ان الألم الذى يداخلنى كلما فكرت فى اننى سألقى حتفى برصاصة صربية ، ليختلط بالاطمئنان الذى يتملكنى اذ أعتقد ان السلاح لن يصوب الى صدرى الا كتحية ختامية من وطنى وقومى ٠٠ تحية ختامية هى الغاية الوحيدة لحياتى كلها !**

« قد أكون ارتكبت أخطاء فى تحقيق مسعاى ، ولعلنى ضللت عن المصالح الحقيقية لبلادى ٠٠ فاذا كان هذا قد حدث ، فهو لم يكن متعمدا على الاطلاق ، وانما كنت أصدر دائما فى جهودى عن اقتناع بأننى أعمل لمصلحة وطنى ٠ فلعل أخطائى تلقى تسامحا ، ولعل الصربيين ـ على الأقل ـ يغفرون لى ٠٠ ولم يبق الا ان أسأل الله ان يمنحنى عفوه الذى لا حدود له ! »

وفى الساعة الواحدة من صباح ٢٦ يونيو سنة ١٩١٧ ، اقتيد المذنبون الى ساحة الاعدام ٠ **وكان « آبى » يسير الى حتفه فى هدوء ورباطة جأش ٠٠ وفى اللحظة التى صوبت فيهاالبنادق الى صدره ، قال متفكها : « أما كان من المستحسن اختيارمكان غير هذا للاعدام ٠٠مكانمرتفع مثلا ، يمكن للمرء منه أن يرى البحر ؟ ٠٠ ان هذه البلاد لا تنقصها المناظر الجميلة ! »**



وعندما صوبت البنادق الى صدر زميل له يدعى «دابيتش» لمح هذا كوبماء فى يدالقاضى الذى حضر تنفيذالحكم ، فتريث

ريثما تناول القاضى جرعة من الماء ، ثم طلب جرعة مثلها ٠٠ ومد القاضى الكوب اليه ، فرفعها الى فمه ، ثم أبدى ترددا ، وقال للقاضى فى سخرية مقذعة : « أرجو ان لا تكون مصابا بالزهرى ! »

وانفرط عقد « اليد السوداء » بعد هذه الضربة ٠٠ ولكنها لم تمت ، بل ظلت ماثلة فى الجهود التى كان يبذلها من بقى على قيد الحياة – وخارج السجون والمعتقلات – من أعضائها ٠ وعندما غزا الألمان يوغوسلافيا – فى الحرب العالمية الثانية – هبت العناصر السياسية على تباين مشاربها لتحرير الوطن السلافى ، وكان لا بد من وحدة تلتف حولها ، فتقدم الأعضاء القدامى فى « اليد السوداء » يوحدون الصفوف ، وينسقون الجهود ٠ واذا كان من المسلم ان هذه الجمعية التى لعبت دورا كبيرا فى تاريخ الصرب والسلافيين لم تبعث اذ ذاك بالشكل الذى عرفت به فى الأيام السالفة ، الا ان روحها كانت تعمر كل قلب من قلوب الأبطال الذين حرروا يوغوسلافيا وصانوا كيانها !



شذوذ!

للروائى الإيطالى الشهير "البرتو مورافيا"



تلخيص : محمد بدر الدين خليل

هذا الكاتب .. طبيب وجراح !

◆ قد يرتكب الطفل ذنبا تافها ، فيصور له الندم انه قد فقد براءته ، وانه لذلك انسان شاذ ، لا يشبه سواه من البشر .. ومالم يجد من يقظة والديه ورعايتهما ما يسرى عنه هذا الشعور ، فانه يقضى عمره محاولا التخلص من الشذوذ الموهوم بالتردى فى شذوذ آخر !

هذا هو الدرس الذى يقدمه للآباء فى هذه القصة كاتب يتهمه الجهلة بالاباحية ، لأنه يعالج المشكلات كما يشرح الجراح الجثة ، اذ لا يعنى باسدال ما يستر عوراتها .. ذلك هو الروائى الايطالى المعاصر « ألبرتو مورافيا » ، الذى قدم « كتابى » و « مطبوعات كتابى » لقراء العربية عددا من روائع قصصه فى اعدادهما السابقة .. تلك القصص التى كانت تحدث دويا هائلا عندما ينشر احداها على الناس !

◆ **شغف** « مارسيللو » منذ حداثته بتملك الأشياء الطريفة . ولعل مبعث ذلك أن والديه لم يفكرا قط فى اشباع غريزة التملك فى نفسه ، لا عن تقتير ، وانما عن عدم اكتراث .. أو لعله كان راجعا الى أن غرائز أخرى ـ أعمق من التملك ـ كانت تعتمل فى نفسه تحت ستار الطمع ، دون أن يدرى كنهها ، ومن ثم كان يتطلع دائما ، وفى شوق مشبوب ، الى الأشياء المتباينة : الى قلم رصاص ذى ممحاة ، أو كتاب مصور ، أو مقلاع (نبلة) .. أى شىء بسيط كان كافيا لأن يثير ذهنه الى درجة كبيرة ، ولأن يبعث فى نفسه شوقا جنونيا الى تملكه ، فاذا ما استحوذ عليه ، تولته نشوة مذهولة ، مفتونة ، لا تعرف الشبع ! .. وكان يحتفظ بهذه الأشياء فى أدراج مغلقة فى الحجرة التى كانت مخصصة لنومه واستذكاره ـ فى البيت ـ وكأنها مقدسات ، أو آثار ذات

حرمة . والواقع أنها لم تكن مجرد مواد فى نظـــره ، وانما كانت قطعا من تجارب خاضها ، أو يوشك أن يخوضها ..فهى آثار مثقلة بالعاطفة والغموض ! .. وكان يدرك ـ فى حدود فهمه ـ ما للتملك من ميزة فريدة فى نوعهـــا . وبينما كان يستمد من الشيء الذى يتملكه غبطة لا تفتر ، كان يعـــانى بسببه ما يعانيه المرء ازاء ذنب لا يفتأ يتكرر دون أن يتخلل تكرره وقت يتسع للندم !

وكانت الأسلحة ـ دون كافة الأشياء ـ تستهوى لبه . ولعل ذلك راجع الى أنها كانت محرمة عليه . على أنه ما كان يتطلع الى تلك الأسلحة الصغيرة التى يلعب بها الأطفال ، وانما الى تلك التى يشع الخطر من ذؤاباتها ، ويكمن المـوت فى ثناياها ! .. ولقد أتيح له ـ فى مناسبات مختلفة ـ أن يمسك ببندقية أبيه ، وبالمسدس الذى كان الأب يحتفظ به فى أحد أدراجه ، فكان فى كل مرة يشعر برعشة عندما يمس السلاح ، وكأنه كان يجد فيه غايته الطبيعية ! .. **وما لبث أن أدرك أن لشغفه بالأسلحة بواعث غامضة أعمق من مجرد الاغراء العادى ، اذ كان ، حين يشترك مع الصغار فى لعبة الجنود والحرب ، لا يشعر بمجرد المتعة المسلية ، وانمـا كان يحس أن فى جوفه قسوة ضارية تبحث عن متنفس .. فاذا لم يمارس هذه اللعبة ، بحث عن تسلية أخرى ترضى نزعتـه الى التدمير والموت !**

كان « مارسيللو » فى تلك الفترة من عمره قاسيا لا يتورع عن التصرفات القاسية ولا يندم عليها ، ولكنه كان فى نزعته هذه يصدر عن ميل طبيعى محض ، اذ كان يجد فيها متعـة ليست بالتافهة ولا الخالية من الطرافة والعمل . كان يخرج الى الحديقة ـ مثلا ـ فى أشد الأوقات قيظا ، فيجوس خلال أشجارها المتشابكة ، المهملة ، وقد تسلح بعصا رفيعة مرنة اقتطعها من منفضة قديمة .. وكان يستشعر فى ذلك غبطة

مشوبة بالتحفز والعدوان ٠٠ سعادة قاسية تتـوق الى أن تقيس نفسها بشقوة الغير ! فاذا رأى مجموعة من الأزهـار وسط أحد الأحواض ، طوح بها فى الهواء بضربة واحدة من عصاه ، وكأنه يحمل سيفا ! ٠٠ وكان يشعر اذ ذاك بقـوة مضاعفة ، وبنوع لذيذ من الرضى ، المنبعث عن التخفف من طاقة طال عهده باحتباسها ! ٠٠ كان يحس بنوع غير واضح المعالم من الشعور بالقوة والعدالة ، وكأنما كانت الزهـور مجرما أوقع عليه العقاب ، لأن من سلطته أن يوقع مثل هذا العقاب ! ٠٠ على أنه لم يكن يغفل تماما ما لهذه التسلية من طابع محرم ومستهجن ، اذ كان – بين آن وآخر – يلقى على الرغم منه نظرات موجسة نحو « الفيلا » ، خشية أن تكون أمه أو الطاهية تراقبه ! ٠٠ وكان يحس – دون أن يدرى تعليلا لشعوره – بأنه لم يكن موجسا خشية التأنيب ، وانما كان يكره أن يرى أحد تصرفاته التى كان يدرك أنها غير عادية ، وانها كانت تتسم بنوع من الاجرام لم يكن يدرى مأتاه !

★ ★ ★

◆ **ولم** يشعر بانتقال قسوته من النبات الى المخلـوقات الحية ، لأنه كان ككل تطور طبيعى ٠٠ لم يفطن الى الـوقت الذى أحس فيه بأن فى وسعه أن يستمد نفس اللذة التى كان يستشعرها فى قسوته على النبات، من انزال عنفه بالمخلوقات الحية ٠ ولعل المصادفة وحدها هى التى شجعته على أن يتجـه هذه الوجهة ٠٠ لعلها ضربة عصا وقعت على سحلية بدلا من أن تقع على بعض الزهور ، أو لعل السأم من التكرار هو الذى حمله على أن يبحث عن مادة أخرى يعمل فيها قسوته التى لم يكن بعد قد أدرك مبعثها ومأتاها ! ٠٠ وأصبح يجد لذة فى قتل السحالى ، حتى لقد قتل سبعا منها بعصاه ذات يوم ٠٠ **ولكنه وقف اذ ذاك وهو يشعر بالخزى والندم ٠٠ بل انـه**

شعر أيضا بشيء من الفزع المبهم ، وكأنه اكتشف فى نفسه خلة شاذة كل الشذوذ .. خلة يجدر به أن يستحيى منها وأن يتكتمها حتى لا تخزيه أمام الغير ، بل حتى لا تقصيه عن صحبة أنداده .. فقد أيقن انه مختلف عن أقرانه .. بل أكثر من مختلف .. كان يغايرهم تماما ، وبطريقة لم يدر كنهها !

ولكى يزداد تأكدا من ذلك ، حاول يوما أن يغرى صديقه « روبرتو » ـ ابن الجيران ـ على أن يشاركه قتل السحالى ، ولكن الصبى رفض قائلا ان أمه علمته الرفق بالحيوان . وامتعض مارسيللو اذ أطلعه جواب صديقه على شذوذ طبيعته هو .. وعبثا حاول أن يمنى روبرتو بمكافأة مغرية ، ولكن هذا سأله : « لماذا يلذ لك صيد السحالى وقتلها ؟ »

ـ لأنها تسبب ضررا ، فقد التهمت عناقيد العنب !

ـ ولكن العنب لا ينمو هنا ...

ـ ثم انها خبيثة ! ولقد رأتنى واحدة منها ، فبدلا من أن تهرب ، وقفت تحملق فى وقد فتحت فمها . ولو لم أوقفهافى الوقت المناسب لقفزت على !

وعندما رفض روبرتو أن ينساق لاغرائه ، غلا الدم فى عروقه ، ولم يتمالك أن عرك أذن الصبى فى قسوة جعلته يصرخ .. ولم يفلته حتى قال : « أنا أرنب ! » . ولكن روبرتو لم يكد يتحرر منه ، حتى قفز عبر سياج الحديقة وهو يصيح : « لست أرنبا .. لقد غررت بك ! »

وترك هذا الحديث مارسيللو فى استياء عميق ، فان روبرتو لم يرفض معاونته فحسب ، بل انه حرمه من الشعور بأن تصرفه كان مما يمكن أن يستساغ أو أن يغتفر ! .. وبهذا رده الى الشعور بالشذوذ ، وبالعنف ، وبالكذب ! .. وأخذ يفكر فى كل هذه الأمور بمرارة وحسرة .. **وعاد بذاكرته الى قتل السحالى ، ففطن الى أنه لم يكن يسعى الى قتلها توا ،**

وانما كان يستشعر انفعالا وتهيجا وهو يطاردها . وقد تولاه هذا الانفعال بعد فرار روبرتو ، ولكنه كان يحس له بلذة ، رغم تقززه منه ! .. وكان الانفعال من القوة بحيث انه ارتاب في امكانه مقاومة اغراء قتل السحالى فى الأيام التالية .. وأفزعته هذه الفكرة ، اذ فطن الى أنه لم يكن شاذا فحسب ، وانما كان أيضا عاجزا عن أن يقمع شذوذه !

وعندما أوى الى حجرته ، ركع كما اعتـــاد أن يفعل عند الصلاة ، وهتف بصوت عال ، خيل اليه انه صادق الاخلاص: « أقسم بالله أننى لن أمس بعد اليوم زهـــرة أو نبـــاتا أو سحلية ! » .. ومع ذلك فقد ظل يشعر بالحاجة الى من يستمع الى ذنبه ، ويغفره له ! .. وجال بخاطره أن يلوذ بأمه ، رغم أن ارتباطه بها لم يكن قويا ، اذ كانت دائما فى شغل عنـه بنفسها .. ولما لم يكن فى وسعه أن يخلو اليها الا عندما تفد الى حجرته فى المساء لتحييه قبل نومه ، فقد راح يرتقب ذلك الوقت بفارغ الصبر ، ليطرح عن فؤاده ذلك العبء الذى كان يثقله ! .. ولكن أمه أبدت تعجلا حين أقبلت على غرفته فى ذلك المساء ، فما أن قبلته حتى همت بالخروج .. واستجمـع شتات نفسه وناداها ، فعادت تقول : « هيا ، قل ما تريد ، فاننى فى عجلة لأن أباك ينتظرنى ! »

وكانت يداها تعبثان بقفل قلادتها . وود أن يروى لها كل شىء عن اغتيال السحالى ، وليسألها عما اذا كان قد ارتكب ذنبا ، ولكن تعجل أمه جعله يعدل عن فكرته . ولعله رأى أن السحالى مخلوقات ضئيلة تافهة ، لا تستثير اهتمام شخص فى تسرع أمه ، لذلك عمد الى الكذب ــ دون أن يدرى لذلك مبرراً ــ فزعم لأمه انه قتل القطة ! .. وقـــالت الأم وهى لا تزال تعبث بقفل القلادة : « آه ، حقا ! » .. ثم تحولت تسأله أن يحكم قفل القلادة . وعنـدما استدارت لتمكنه من ذلك ، رأى ظهرها النحيل عاريا حتى الخصر ، أبيض كالورق ،

وقد انعكس عليه الضوء المنساب خلال باب الحجرة ٠ وداخله الأمل فى أنها لن تلبث أن تصغى اليه بعد أن يحكم قفل القلادة ٠ ولكنه لم يكد يفرغ ، حتى انحنت لتطبع على وجنته قبلة خفيفة وتوصيه بأن ينام ، ثم اختفت من أمامه دون أن تترك له فرصة للكلام !

★ ★ ★

◆ **كان** اليوم التالى حارا ٠ وما أن فرغ مارسيللومن تناول الغداء مع والديه ــ فى صمت ــ حتى أسرع الى الحديقة٠ وأخذ يصوب مقلاعه الى أشجار حديقة روبرتو المجاورة ، خلال ثغرة متوارية فى السياج ، وفى نفسه شعور بأنه فى حالة حرب مع الصبى ، فكانت هذه اللعبة وسيلة للتعبير عن عدائه ! ٠٠ وخيل اليه مرة أو اثنتين انه سمع حفيفا بين أوراق اللبلاب الكثيف الذى كان يكسو السياج ، فصوب مقلاعه نحو مصدر الصوت ، وأطلق الحصاة ، وقد فاضت فى أعماقه روح القسوة ! ٠٠ ولم يقنع بذلك ، فالتقط حجرا آخر وضعه فى المقلاع بسرعة ، وأطلقه ٠٠ واتبعه بحجر ثالث ، وقد طرح عنه كل قيود الخوف ، ولم يعد يهمه ان كان روبرتو بين الأوراق أو لم يكن ، اذ استولى عليه انفعال مهتاج مشوب بالاغتباط ! ٠٠ وما لبث ان كف وهو متهدج الانفاس ، واختلس النظر خلال قضبان السياج ، فرأى قطا كبيرا رمادى اللون ، مستلقيا على جنبه قتيلا ! ٠٠ وأمسك أنفاسه وهو يرقب الحيوان الذى فارقته الحياة ٠٠ واستبد به الجزع ، فمد عصا خلال القضبان ، وراح يخز خاصرة القط ، ولكن هذا لم يتحرك ٠٠ وبدا له ان كل شىء يحيط به قد استحال فجأة الى رمز للموت !

وشعر بنفسه فريسة لكل أنواع الفزع ، فود أن يجرى ويلتمس مخبأ فى صوان ، أو فى ركن متوار ، أو فى أى مكان

يرين عليه الظلام والكتمان ، لكى يهرب من نفسه ! ٠٠ **كان فى جزع لأنه قتل القط ، ولأنه ـ قبل كل شىء ـ كان قد أعلن هذا الاغتيال لأمه في الليلة السالفة ، فرأى فى ذلك تعمدا غريبا ، رهيبا ، لارتكاب القسوة والقتل !٠٠ وزاد من ذعره انه اذ قتل القط ، كان يرجو فى نفسه أن يقتل روبرتو ٠٠ واذن ، فقد كان هناك تدرج لا سبيل الى انكاره ٠٠ من الزهور ، الى السحالى ، الى القط ٠٠ ومن القط الى روبرتو الذى فكر فى قتله ! ومع أنه لم يحقق رغبته الا أن هـــذا التحقيق كان لا يزال ممكنا ، وقد لا يجد مفرا منه ! ٠٠ واذن فهو مخلوق شاذ ، كتب عليهأن يندفع فى طريق دموى ، بدا له ان ليس فى طاقة انسان أن يصده عنه !**

وخيل اليه فجأة ـ بايحاء سحرى ـ انه كان يرى روبرتو فى مكان القط ، ميتا ، فانتزع نفسه من مكانه وسار الى داره وهو يرتجف فرقا ، وبدأ يشعر بالخوف من أن يكتشف أمره، فيناله ثمة عقاب ٠ ولكن ، بالرغم من هذا الخوف ، أحس انه يتمنى أن يكتشف أمره وان يعاقب بالفعل ٠٠ ولو لانقاذهفى الوقت المناسب من أن يتردى الى الحضيض ! ٠٠ وهكـــذا ، أضيف الى شعوره بالاثم شعور بأنه قادر على أن يرتكب مزيدا من الجرائم ٠٠ جرائم أكثر خطورة ! وضاعف من تعاسته انه لم يدر الى من يقصد كى ينال العقـــاب ٠٠ وجهلـــه بذلك العقاب ! ٠٠ وغشيه الشعور الذى انتابه حين صارح روبرتو بقتل السحالى بغية أن يسمع منه أن الذنب بسيط ، يرتكبه أى مخلوق آخر ٠٠ وبدا له ان يعترف لأبويه ، ولكن ٠٠ أملا منه فى أن يسمعهما يستنكران عمله ويريانه جريمـــة فظيعة يجب أن يتلقى عنها عقابا يناسبها ! ٠٠ **وأدرك أنه كان يود فى الحالين ـ فى اعترافه لروبرتو ، وفى رغبتـــه فى الاعتراف لوالديه ـ ان يفر من عزلة الشذوذ الرهيبة !**

ولعله كان موشكا أن يعترف لوالديه عندما اجتمع بهمـا

حول مائدة العشاء فى تلك الليلة ، لو لم يتوهم أنهما كانا يعرفان كل شيء . اذ لم يكد يجلس الى المائدة ، حتى شعر – فى ذعر يخالطه ارتياح مضطرب ! – انهما كانا متجهمين ، وأن أعصابهما متوترة . وكان أبوه يكبر أمه بسنين عديدة ، مما كان يوحى لمارسيللو بأنه وأمه ليسا سوى طفلين لذلك الأب .. أخوين ! .. **وكان الأب نحيلا ، ذا وجه هزيل تتخلله التجاعيد ، نادرا ما تنفرج أساريره بضحكات مقتضبة خالية من مظاهر الطرب .. وكان يمتاز بظاهرتين مقترنتين: نظرة شاردة فارغة من محجرين جامدين ، واختلاجة مستمرة من عصب تحت جلد الخد ! .. وكانت حركاته دقيقة ، وكأنها مرسومة وفق نظام معين ، ولكن مارسيللو كان يعرف أن هذه الدقة المنظمة تنقلب عند الغضب الى النقيض .. الى عنف منظم يحدث أقصى الايلام بأبسط الحركات ! ..** وقد لاحظ الصبى بوادر ذلك الغضب ، اذ كان أبوه كلما رفع كأسه الى شفتيه ، تعمد أن يدق بها سطح المائدة وهو يردها . وخيل لمارسيللو – وهو مستغرق فى التفكير فى ذنبه – انه محور هذا الغضب .. ومع أن أباه لم يكن يعاقبه الا نادرا ، غير انه كان لا يرهب شيئا قدر ضربات هذا الأب فى غضبه ! .. وفجأة ، لمح مارسيللو قطا يقفز من النافذة ويجتاز قاعة الطعام ، منطلقا الى المطبخ . وداخله أمل بهيج فى أن يكون القط الذى قتله قد استرد حياته ، فلم يتمالك أن هتف : « القط ! » . ثم نهض عن مقعده ، ولكن أباه صاح محنقا : « اجلس فى مكانك ! » .. فتجرأ على أن يقول بانفعال : «ولكن القط حى ! »

على أن نظرة أبيه سمرته فى مكانه . والتفت الرجل الى زوجته قائلا : « قولى ما لديك اذن ! » .. فقالت فى ترفع وقد غضت بصرها وقلبت شفتيها فى استهجان : « ليس لدى ما أقوله ! » .. ولاحظ مارسيللو أنها كانت تشد على منديل

صغير بأصابعها النحيلة ، وانها هزت كتفيها حين كرر زوجها طلبه . وأدرك الصبى انه لم يكن موضع الغضب ، حين رأى أباه يرفع كوب النبيذ ، ثم يهوى بها على المائدة ، فاذا بها تتهشم وتجرح يده . ونهضت زوجته مرتاعة ، فأسرعت نحو الباب ، بينما كان الرجل قد رفع يده الى فمه ، وراح يمتص الدم السائل من الجرح فى تلذذ ! .. وما لبث أن صاح فى زوجته يطلب اليها البقاء ، ولكنها خـــرجت وصفقت الباب خلفها ، فانطلق فى أثرها . وتبعه مارسيللو وقد ثار انفعاله. وصعد السلم وراء أبيه ، فلما رآه يلج غرفة أمه ، خطر له أنه لن يلبث أن يقتلها ، فتسلل بخفة نحو الباب غير المغلق ، وأخذ يختلس النظر

ولم ير شيئا فى البداية ، اذ كانت الغرفة مظلمة ، وكأنما تلاشى والداه فى الفضاء الاسود .. ثم رأى ظهر أبيه منحنيا، وما لبث أن أبصر شعر أمه على الوسادة ، ويدها عند رأس السرير ، تبحث عن السياج المعدنى لتتشبث به فى لهفـــة محمومة ، بينما كان زوجها يطحن جسدها تحته ! .. **وقال مارسيللو فى نفسه : « انه يقتلها ! » .. وداخله شعور من القسوة لا عهد له به .. هياج عارم ، أوحى اليه بأن يتدخل فى الصراع . واذ هم بأن يلج الغرفة ، بهت اذ سمع أمـــه تدلل أباه بأعذب الكلمات ، ثم تطوق عنقه باليد التى كانت تبحث عن سياج السرير ، وهى تقول : « ألا دعنى ! » ..** واذ ذاك انسحب مارسيللو فهبط فى خفة الى المطبخ ، حيث كانت الطاهية والخادم تتناولان العشاء .. وهزه الفرح عندما رأى قطا ، اذ ظنه القط الذى قتله ، ولكنه ما لبث أن تبين انه قط آخر !

وسمع الطاهية والخادم تتحدثان عن شـــذوذ طبيعة أبيه وقسوته ، وتتنبآن بأنه ولا بد سيقتل زوجتـــه يوما . وحين لمح الطاهية تشير للخـــادم أن تسكت ، بعـــد أن فطنت الى

وجوده ، بادر مارسيللو قائلا : « ان أبى غير عادى بالفعل .. أفتعرفان ماذا فعل ؟ .. لقد قتل قطا ! .. قتله بمقلاعى .. لقد رأيته فى الحديقة يطارد قطا رماديا كان يسير على السياج، ثم رماه بحجر أصاب عين القط ، فوقع فى حديقة روبرتو .. وأسرعت الى القط فوجدته قد مات ! »

وكان الحماس يجرفه وهو يتكلم ، ولكنه لم يتخل عن لهجة الراوى البرىء .. فضربت الخادم كفا بكف وقالت : « قتل قطا ؟! .. كيف يقدم رجل فى سنه ، وسيد مهذب ، على أن يأخذ مقلاع ابنه ويقتل قطا ؟ » .. وقالت الطاهية : « **ان الذى يقسو على الحيوان ، لابد أن يقسو على الانسان . والذى يقتل قطا لن يلبث أن يقتل رجلا !** »

وقال مارسيللو فجأة وهو يتطلع الى الطاهية : « لماذا ؟ » ، فربتت رأسه قائلة : « هكذا يقولون ! »

★ ★ ★

◆ **لم** يلبث الخوف الذى بعثه كلام الطاهية فى نفس مارسيللو أن تضاءل حين ذهب الى المصيف . ومع انه ظل يفكر بين آن وآخر فى تلك القوة الغامضة التى كانت تدفعه الى القسوة ، الا ان خوفه كان يقل رويدا ، حتى لم يعد يرى أن تلك الظاهرة كانت تدفعه الى قدر محتوم ، وانما أصبح يراها مجرد انذار ينبهه .. ومن ثم أخذ يسعد بأيام الصيف وهى تتتابع ، وقد خامره شعور أوحى اليه بأنه انتصر - لا على نفسه ، اذ أنه لم يكن قد آمن تماما بأنه مجرم ! - وانما على تلك القوة الخارجية الغامضة ، الخبيثة ، الماكرة ، التى كانت تقترن - بطريقة لا يفهمها - بالخراب والتعاسة .. أو على الأقل ، تغلب عليها بالتظاهر بنسيانها !

وكان ذلك الصيف أسعد صيف قضاه . وإذ مر شهر ، ثم شهران ، فثلاثة ، دون أن يرتكب جرما ، خيل اليه ان الأعوام

لن تلبث أن تنقضى هكذا ، ما دام أنه يتحاشى ايقاظ الغول الذى كان يرهبه ! ٠٠ وسره – بعد عودته من المصيف – أن التحق بالمدرسة ٠٠ فقد كان يرجو أن يعيش فيها حياة عادية، طبيعية ، بعيدة عن الشذوذ !

ولم يضايقه فى المدرسة سوى أن زملاءه كانوا ينعتونه دائما بالأنوثة ، اذ انه أخذ عن أمه جدالها ، فضلا عما كان يتميز به من عادات الأنوثة ، فكان وجهه يتضرج على الفور اذا خجل ، ويبدى لطفا ورقة كلما دلله أحد ، كما كان شديد الرغبة فى ارضاء الغير ٠ واشتهر بين التلاميذ بأنه بنت فى ثياب ولد ، فأطلقوا عليه اسم « مارسيللينا » !٠٠ وفيما كان منطلقا الى البيت بعد الدراسة – ذات يوم – تبعه خمسة من زملائه ، حتى اذا بلغ شارعا يقل فيه المارة ، أمسكوا به وحاولوا أن يلبسوه «جونلة» فتاة ! ٠٠ وراح يكافح للتخلص، وقد أهاجه الحادث وجعله يشعر برغبة قلقة فى التخريب والقتل ، مثل تلك الرغبة التى كانت تداخله منذ شهور



وتزين له القضاء على الزهور والسحالى ٠ وفجأة ، سمع صوتا هادئا يتساءل فى لهجة يطغى فيها الفضول على التأنيب : «هل لى أن أسألكم عما تفعلون ؟ »

وأسرع الصبية الخمسة بالفرار، فألفى مارسيللو نفسه وحيدا ، وقد ربطت « الجونلة » الى وسطه ، وتهدلت ثيابه ٠٠ ورفع عينيه ، فاذا رجل فى ثياب رمادية داكنة وياقة

عالية ، ينظر اليه بوجه شاحب ، نحيل ، وعينين غائرتين ، وأنف كبير تحيط به تجاعيد تنم عن أسى . وانحنى الرجل يساعده على التقاط كتبه ، ثم عرض عليه أن يقله فى سيارته .. وكانت سيارة كبيرة ، سوداء ، ومن طراز عتيق . وتردد الصبى ، فقال الرجل : « هيا .. لسوف أتيح لك نزهة بديعة قبل أن أقلك الى البيت ! » .. وود مارسيللو أن يرفض ، ولكنه لم يجد وقتا ، اذ تناول الرجل كتبه وسار الى السيارة، فتبعه وهو فى دهشة من لطفه ! .. وجلس الرجل الى عجلة القيادة ، وأدار المحرك ، فانطلقت السيارة فى جلال وعظمة ! .. وسأله مارسيللو وهو مبهوت ، عما اذا كانت السيارة ملكا له ، فقال الرجل دون أن يلتفت اليه : « لا .. اننى سائقها ! » .. وأردف قائلا انهما فى طريقهما الى (مونتى ماريو) فوق التل . ثم سأله عن اسمه ، واذ أجاب مارسيللو ، قال الرجل : « ادعنى لينو ! » .. ثم تحول يسأله عما اذا كان يتلقى من والديه هدايا كثيرة ، فلما أجاب الصبى بأنه يتلقى هدايا فى عيد ميلاده ، سأله الرجل : « وأى نوع من الهدايا تفضل ؟ »

وأيقن مارسيللو ان الرجل يعتزم أن يقدم اليه هدية ، فلم يلبث أن قال : « أفضل مسدسا ! » .. ولم يدر لم قال ذلك ، ولا لماذا راح يذكر للرجل انه يرغب فى مسدس حقيقى يدافع به عن نفسه . على ان السائق فتح درجا فى لوحة القيادة ، وأخرج منه مسدسا قال انه ملك لصاحبة السيارة ، ولكنه يعده بأن يعطيه مسدسا مثله يحتفظ به فى المنزل ! .. وشعر مارسيللو بشىء من المضض والتوجس ، وكأن ثمة شرا لن يلبث أن يتكشف له . وخطر له أن « لينو » يريد شيئا ما زال غامضا بالنسبة اليه ، فى مقابل المسدس ! .. وسأله عن وجهتهما ، فقال لينو « اننا ذاهبان الى المنزل .. لنحصل على

المســـدس الذى وعدتك به ! » . ثم وضع الرجل المسدس فى جيبه

★ ★ ★

◆ **وما لبثت** السيارة أن وقفت فى طـريق ريفية ، تحف بها الأشجار ، وتمتد خلفها الحقول . وهبط « لينـو » ففتح بوابة حديدية خضراء ، ثم عاد فقاد السيارة خلال البوابة . وكانت أشعة الشمس الآفلة تنعكس على زجاج شرفة واسعة، فى ركن مبنى ذى طابقين . وقال لينو : « ها هو ذا البيت ، ولكنه خال الآن .. انه ملك لسيدة أمريكية ، وهى الآن فى فلورنسا ! » .. وكان المبنى فخما ، كبيرا . وهبط لينو ، ثم دعا مارسيللو الى الهبوط . ولم يكن الصـبى يدرى ما الذى كان الرجل يبتغيه ، ولكنه استطاع أن يحدس ، فبدأ الشك يراوده ، كشخص يخشى أن يتعرض بغتة لغـدر ما . وسأل لينو : « هل ستعطينى المسـدس ؟ » ، فأجاب الرجل بصبر نافد : « بالتأكيد ! »

وازداد فى نفس مارسيللو الشعور بأنه عرضة لخداع غادر، وهو يتبع الرجل الى الدار المهجورة . فمـــا لبث أن سأله : « الى أين نحن ذاهبان ؟ » . فأجاب لينو دون أن يلتفت اليه : « الى غرفتى ! » .. وقرر مارسيللو أن يبدى شيئا من المقاومة ليشعر الرجل بأنه يرتاب فى أمره ، فتوقف وقال : « اعطنى المسدس أولا ، والا خرجت ! » ، فاستدار اليه لينـو وقال : « ولكنه فى غرفتى ! »

- بل هو فى جيبك ، ولست تملك مسدسا آخر !

وبدا الضيق على « لينو » .. وخيل الى مارسيللو انه يرى فى عينيه ألما وضراعة يناقضان مظهر الصرامة الذى تبدى على وجهـه . وقال الرجل أخيرا : « حسـنا .. سأعطيك هــذا المسدس ، ولكن تعال ! » .. واجتازا ردهة ، ثم مرا خـلال

باب أزرق ، واذ ذاك سار الرجل الى جوار « مارسيللو » وأحاط خصره بيده ، فشعر الصبى بحيرة وارتباك . وما لبث الرجل أن قاده الى غرفة بيضاء ، ضيقة ، فى طرفها الأقصى نافذة . ولم يكن فيها سوى سرير وصوان ومنضدة ومقعدين .. ولمح مارسيللو صليبا معلقا الى الجدار فوق رأس السرير . وبعد برهة قال لينو : « اجلس على السرير ، فهو أدعى الى راحتك ! » . وود مارسيللو أن يرفض ، ولكنه جلس !

ونظر كل منهما للآخر ، فبدأ مارسيللو يفقد صبره . وسأله عن المسدس ، فقال الرجل : « ستأخذه اذا أثبت انك تستحقه ! » .. اذن ، فقد صح ظنه ، وكان لينو يرجو شيئا فى مقابل المسدس ! وقال الصبى فى حذر ، وهو موجس من الرجل الذى بدأ يتحسس يده : «ما الذى تريدنى أن أفعله ؟» .. ودفع الرجل يده ، وقال : « أعتقد ان هناك أشياء ترفض أن تفعلها ! »

واحتار مارسيللو وهو يرى وجه الرجل الشاحب . وقد دبت فيه حمرة خفيفة .. وعاد يقول له : « لماذا لا تخبرنى بما تريد ؟ » . وساد الصمت برهة .. **وأخيرا نهض الرجل فخطا بضع خطوات فى الحجرة ، ثم قال له : « أتعلم من أنا ؟ .. اننى قس طرد من كلية اللاهوت ، حيث كنت أستاذا .. وأنت — فى براءتك — لا يمكن أن تفهم ما أنشده فى مقابل المسدس الذى تصبو اليه ! » .. وتطلع الى الصليب ، ثم قال وكأنه يخاطبه : « لقد صليت لك كثيرا ، لكنك تخليت عنى .. لماذا؟! » .. ثم التفت الى مارسيللو وقال : « هيا .. تعال .. سأقلك الى دارك ! »**

وظلا صامتين طويلا ، والسيارة منطلقة بهما . ثم سأل مارسيللو الرجل عما كان يبغى منه بعد ذلك ، فأجاب : « هل تأتى معى اذا انتظرتك غدا ؟ » .. ونبهه مارسيللو الى أن اليوم التالى يوم أحد ، فصمت لينو برهة ، ثم قال فى صوت حزين :

« لا تحدثنى ثانية ٠٠ واذا انتظرتك يوم الاثنين ودعوتك فلا تحفل بى ! » ٠٠ ولكنه حين ودعه ، سأله عما اذا كان ينتظره يوم الاثنين ، فأجاب مارسيللو : « بل سأعرض عنك كما نصحتنى ! » ٠٠ وشعر بارتياح وغبطة حين بدا له أن الرجل قد استاء

★ ★ ★

◆ وكان لينو فى انتظار مارسيللو عند انصرافه من المدرسة يوم الاثنين ٠ ولكن الصبى كان قد عقد عزمه على أن يبدى تمنعا خاله كفيلا بأن ينيله المسدس ٠ ومن ثم ظل يراوغ الرجل ويرفض أن يصحبه ، حتى حصل منه على وعد صادق بأن يعطيه السلاح

وسرعان ما أقلتهما السيارة الى المنزل الفخم ٠ وما أن دخلا غرفة « لينو » ، حتى أغلق الرجل الباب بمفتاح وضعه فى جيبه ، ودفع الصبى الى السرير وقد نبدت عليه علامات الغبطة والظفر والتهيج٠وراقبه مارسيللو ــ خائفا ، مبهوتا ــ وهو يروح ويجىء فى الحجرة ، ثم ينتزع الصليب من مكانه ويضعه فى أحد الأدراج ، وكأنه يتخلص من رهبته ، ثم يتناول المسدس ويقول : « لن تناله مطلقا ٠٠ بل عليك أن تفعل ما أريد دون ما هدايا ٠٠ طوعا أو كرها ! » ٠ ودفع لينو الصبى ، فارتطم رأسه بالجدار ، واذ ذاك زايلت القسوة أسارير الرجل ، وحل محلها لطف ، وركع عند ساقى مارسيللو ، فاحتضنهما بذراع وهو يناجيه مدللا ، ثم ألقى المسدس على الفراش ، واحتضن الساقين بذراعيه ! ٠٠ **وأدرك مارسيللو ما كان الرجل يبتغيه ، فالتقط المسدس ، وتملص منه وجرى خطوات ، ثم سدد السلاح نحوه ، فهتف الرجل : « اطلق الرصاص يا مارسيللو ٠٠ اقتلنى ٠٠ اقتلنى كما تقتل كلبا ! » ٠٠ ولم ينتبه الصبى الا على صوت الطلقات يتردد فى**

الغرفة ٠٠ وانهار لينو على الأرض ، وهو يحاول أن يتشبث بالسرير ٠ ولم ينتظر مارسيللو حتي يتبين ما جرى ، بل رمى المسدس على السرير وقفز من النافذة !

★ ★ ★

◆ **بعد** سبع عشرة سنة ، جلس مارسيللو فى احدى المكتبات العامة ـ ذات يوم ـ يقلب فى صحف سنة ١٩٢٠ ، حتى عثر على بغيته ٠٠ نبأ صغير عن سائق سيارة وجد مصابا برصاصة فى صدره ، رجحت السلطات أنها أصابته عفوا وهو ينظف مسدسه ، وقد توفى عند وصوله الى المستشفى ! ٠٠ اذن ، فلم يكشف أحد حقيقة مصرع « لينو » !

وتنهد مارسيللو بارتياح ! ٠٠ كان قد أصبح فى تلك السنوات شابا عاقلا ، رزينا ٠ وما جاء الى المكتبة فى ذلك اليوم ليطمئن الى ان مصرع « لينو » لم يخلف تبعات تطارده ، وانما شاء أن يتبين أى لون من المشاعر يبعثه فى نفسه التأكد من موت لينو ! ٠٠ **لذلك كانت دهشته بالغة عندما تبين ان النبأ لم يثر أى صدى فى ذهنه ٠٠ كان كمن وضع ضمادة على جرح عميق منذ أمد طويل ، فلما قرر أخيرا أن يرفعها ، أدهشه أن وجد ان الجلد قد التأم ، وان الجرح العميق لم يخلف أتفه أثر ! ٠٠ واذن ، فقد اكتمل شفاؤه ! على انه أدرك ان شفاءه هذا لم يكن من صنع الزمن وحده ، وانما كان من صنعه هو ٠٠ من صنع العزيمة التى تملكته طوال تلك السنين ، وعاونته على التخلص من كل شذوذ يجعله يختلف عن غيره من الناس !**

وتعمد وهو منصرف من المكتبة أن ينتبه الى حركاته ، وتصرفاته ، وشعور الناس نحوه ، فلم يزدد الا تأكدا بأنه لا يختلف عن سواه ! ٠٠ وسمع باعة الصحف ينادون : « النصر ٠٠ اسبانيا » ، فابتاع نسخة ليرى فيها عنوانا كبيرا عن انتصار «فرانكو» فى الحرب التى كانت دائرة فى اسبانيا٠

وشعر بسرور يسرى فى نفسه .. كان قد تتبع هذه الحرب، وتبين انها لم تكن مجرد صراع بين الأسلحة فحسب ، وانما كانت كفاحا بين المبادىء أيضا .. وفطن الى أنه كان يساهم فيها بشعور غريب ، بعيد عن أى اعتبار سياسى أو أدبى ، يشبه التحمس الرياضى الذى يداخل المرء وهو يشهد مباراة فى كرة القدم ! .. ولقد تمنى من البداية أن ينتصر « فرانكو » ، لا لأنه كان يحبه أو يؤمن بصلاحيته ، وانما لأنه كان ينظر اليه بعين الرجل الذى يؤثث داره ، فينتقى من الأثاث كل قطعة تتناسق مع ما لديه ! .. وكانت الفاشية قد سادت ايطاليا ، ثم ألمانيا ، ومن ثم خطر لمارسيللو انها تليق لأسبانيا أيضا .. وما كان يدرى سببا معينا لهذا الرأى ، بل كان من المحتمل أن يطرأ نفس الرأى على بال أى جاهل .. أى انسان عادى ! .. **اذن ، فهو مثل غيره من الناس ، وليس ثمة ما يجعله شاذا عنهم ! .. ولم يعد يشغله سوى شعور بشىء من الانقباض والحزن ، كان ينتابه أحيانا دون أن يدرى له سببا !**

وكان على موعد فى احدى الوزارات فى ذلك اليوم ، فيمم شطرها . وعنى - وهو جالس فى غرفة الانتظار الملحقة بمكتب الوزير - بمتابعة أفكاره ، فلم يزدد الا يقينا بأنه كان كغيره من الناس ! ونبهه من أفكاره صوت ينادى : « مارسيللو كليريتشى » ، فغادر مقعده ، وسار الى باب موارب ، وأطل خلاله قبل أن يلج ، واذا به يرى امرأة منحنية على الرجل الجالس الى المكتب الفخم فى تلك الغرفة .. وشهد المرأة تقبل الرجل ، وهو يحتضنها ، فاستنكر هذا التصرف منهما فى مقر العمل ، وأغلق الباب ثم عاد الى مجلسه . وما لبث القوم أن انصرفوا تباعا ، ولم يبق سوى رجل مسن . وبعد فترة غادر الحجرة الداخلية رجل فى منتصف العمر ، نحيل ، غائر العينين ، فتقدم منه الشيخ ، وأحاط خصره بذراعه ! **وسار الاثنان وكأنهما رجل وامرأة ، ففاضت نفس مارسيللو**

اشمئزازا ! وأدهشه أن شعر بكراهية نحو الشيخ ، ثم روعه أن أحس بطبيعته الشاذة تعاوده ، بحيث رأى أنه خليق بأن يقتل الرجل لو ظل أمامه ! ٠٠ ولعل ذلك كان راجعا الى أنه شاهد على أسارير الرجل معالم تدل على أبغض شذوذ الى نفسه !

★ ★ ★

◆ **ما لبث** مارسيللو أن دعى الى غرفة سكرتير الوزير ، فما أن ولجها حتى وجد رئيسه المباشر يقول : « ها هو ذا الدكتور مارسيللو كليريتشى الذى أرشحه للمهمة » ٠٠ وراح يطنب في مدح كفاءته لأداء المهام السرية ٠ وسرعان ما علم ان الحكومة الفاشية كانت تسعى للتخلص من أستاذ جامعى يدعى «كادرى» ، كان قد هاجر الى باريس وراح يشن الحملات على الفاشية ! ٠٠ وكان « كادرى » استاذا لمارسيللو يوما ، مما بشره بسهولة مهمته ٠٠ وقال له السكرتير : « وبماذا ستبرر وجودك فى باريس ، حتى لا تستثير ريبة كادرى ؟ » ٠٠ وهم مارسيللو بأن يطلب مهلة للتفكير ، ولكنه سمع نفسه يقول : « **لسوف أتزوج بعد أسبوع ، وفى الوسع اعتبار وجودى فى باريس جزءا من شهر العسل !** »

واستقل مارسيللو « الأوتوبيس » – عند انصرافه – ميمما شطر دار خطيبته ٠ وسره أن السيارة كانت مزدحمة ، اذ كان وجوده وسط الناس يبعث الثقة فى نفسه ، ويشعره بأنه يفعل ما يفعله غيره ! ٠٠ وعجب فى نفسه للامتعاض الذى تولاه عندما خلط بين مهمته السرية وبين زواجه وشهر العسل ! ٠٠ على أنه ما لبث أن وجد نفسه فى مسكن خطيبته ، وتأملها وهى تقبل عليه ، فراقه أن وجدها مثل غيرها من الفتيات ٠ على انها لم تكد تجلس بجواره ، حتى شعر بارتباك مفاجىء يغاير ما كان يحسه من ثقة بالنفس ٠٠ والتفتت اليه الفتاة على حين غرة ، ثم طوقته بذراعيها وسألته أن يقبلها ،

فاستجاب لها . **وكانت « جيليا » فتاة عارمة الشهوة ، اذ كثيرا ما كانت تثور أحاسيسها في أمثال هذا العناق ، فتوشك أن تحول خطبتهما الى علاقة زوجية ! .. وقد تأججت مشاعرها في هذه المرة ، فراحت تقبله بشدة ، وتضع يده على ثديها الأيسر ، وتدفع لسانها في فمه !.. ولم يستطع مارسيللو أن يجاريها ، فما لبثت أن دفعت يده عنها ، قائلة : « أخال أحيانا أنك لا تحبني ! » . فقال : « بل انك لتعلمين انني مشغوف بك ! »**

وأطلعته « جيليا » على اسماء المدعوين لحفلة زفافهما ، فأخذ يغرقها بالاسئلة عن كل فرد ، وعمله ، ومعيشته ، حتى اذا لاحظ دهشتها لهذه الأسئلة الشاذة ، سألها : « هل ترينني مثل غيري من الناس ؟ » .. كان يريد مزيدا من الطمأنينة ليتأكد أنه مثل سواه .. وقالت وهي تعجب لسؤاله : « انك بالنسبة لي أفضل شخص في الوجود .. فاذا تجاوزنا عن هذا ، فانك تشبه الكثيرين ممن أعرف : فأنت حسن التربية ، رزين العقل ، ماهر .. ما أعجبك !.. ان معظم الناس يتوقون الى أن يكونوا على خلاف غيرهم ، أما أنت فعلى النقيض ، اذ يخال المرء انك تبغي أن تكون مثل أي فرد آخر ! »

وشغل بعد ذلك بما نبهته اليه جيليا من ضرورة ذهابه الى الكنيسة ليعترف للكاهن قبل الزفاف . فهو لم يمارس يوما أية طقوس دينية .. ولكنه ما لبث أن رأى ان في اعترافه للقس مجاراة لما يفعله سائر الناس !

* * *

◆ **أجل** ، لم ير مارسيللو ضيرا في الاعتراف للقس ، حتى يمارس ما يمارسه الناس ، ولكنه وجد نفسه ازاء عقبتين : مأساة صباه ، والمهمة التي تنتظره في باريس ! .. **وخيل اليه ان بين الحالين رابطة ما ، ولكنه لم يستطع أن يدري كنهها ! .. على انه كان يعلم انه لم يكن يؤمن بالمسيحية التي**

حرمت سفك الدماء ، وانما كان يؤمن بعقيدة سياسية تحل ذلك .. العقيدة الفاشية ! .. وانتهى به التفكير الى أن الاعتراف خليق بأن يسلكه فى عداد المجتمع الانسانى الذى نأى عنه منذ صباه ، فلم ير بدا من الاقدام عليه ..

وكانت الكنيسة خالية حين دخلها ، فسار الى الهيكل ، وجثا أمامه ، واذ ذاك أزاحت يد الستار السميك ، فتقدم الى كرسى الاعتراف . وحاول أن يرى وجه القس ، ولكن هذا سحب الستار استخفاء . وقال القس ـ حين عرف انه لم يمارس الاعتراف مرة واحدة فى سنى عمره الثلاثين : « لقد عشت ثلاثين عاما فى الخطيئة ! » .. فقال مارسيللو : « الواقع أنى اقترفت كل خطيئة ، حتى القتل ! » .. **ومضى يروى للقس ما حدث له مع لينو فى أمانة تامة ، فأدهشه ما أبداه الكاهن من اهتمام بمحاولة الاتصال الجنسى ، فاق اهتمامه بالقتل ذاته !** .. واذ اطمأن الكاهن الى ان لينو لم يفعل أكثر من انه احتضن ساقى مارسيللو ، سأله : « وهل تمارس الاتصال الجنسى مع رجال ؟ »

ـ كلا ، مطلقا .. انما أعيش عيشة طبيعية .. أعنى ان أول امرأة اتصلت بها كانت فى بيت للبغاء .. وبعد ذلك كانت حياتى الجنسية عادية ، فلم أمارس الاتصال الا مع سيدات من أسر كبيرة !

ـ ولكن هذا شر وخطيئة ، اذ ينبغى أن لا تمارس هذا الاتصال الا مع زوجة شرعية ، بقصد التناسل !

ـ وهذا ما أنا مقدم عليه !

ووهبه القس المغفرة ، ثم نصحه بأن يصلى ما بقى من حياته . **وألقى مارسيللو على الكنيسة نظرة أخيرة وهو يتأهب للانصراف ، فخيل اليه انه يودع عالما قديما ، بدا له اذ ذاك كسراب من رؤى الماضى !**

وبعد أن غادر الكنيسة ، استقل « الأوتوبيس » الى الحى

الذى كانت أمه تقيم فيه • ولكنه فطن فى الطريق الى شخص يقتفى أثره ، وما لبث أن تبين انه من رجال البوليس السرى ، وقد حمل اليه رسالة من رئيسه يسأله فيها أن يعرج على بلدة فى طريقه الى باريس ، فيسأل فى عنوان معين عن « سنيور جابريو » • ودعا مارسيللو الرجل الى أن يرافقه حتى حديقة دار أمه • وفى خلال الطريق استطاع أن يعرف أنه كان يدعى « أورلاندو » ، وانه يعمل فى المخابرات السرية منذ سنة ١٩٢٥

و دلف مارسيللو الى حديقة الدار ، فاذا بها قذرة ، مهملة •• وتذكر جولاته فيها أثناء صغره •• وبرزت سحلية وهو سائر ، فنظر اليها فى اشفاق ، وتحاشى أن يحدث صوتا حتى لا يرهبها ! •• وتذكر « روبرتو » ، وكيف لجأ اليه ليخفف من شعوره بالاثم لقتله السحالى ، فأبى الصبى أن يخفف عنه ! •• انه لم يجد اذ ذاك من يخفف عنه عبء الشعور بالذنب ، بل ترك وحيدا أمام موت السحالى ، فأدرك فى هذه الوحدة حقيقة جرمه • **أما الآن ، فلن يكون وحيدا اذا ما انتهت به مهمته فى باريس الى جريمة ، لأنه فى هذه المرة يجرم فى سبيل غاية ، ويشعر بأن الحكومة تسانده ، كما تقر عمله الهيئات السياسية والاجتماعية والعسكرية التى أنشأتها الحكومة ، فضلا عن الجماهير التى تعتنق المبادىء التى يؤمن بها !**

وطرق باب غرفة أمه ، فخرجت اليه مجموعة من الكلاب ، وفاح من الغرفة عبير كريه • ووجد أمه فى فراشها ، وقد بدت عليها مظاهر الكبر ، وهزلت حتى غدت أشبه بالهيكل العظمى • ولمح على بشرتها آثار كدمات ، فأدرك ان الذى أحدثها هو « البيرى » سائق سيارة أمه ، وعشيقها ! •• وسرعان ما رافقته أمه فى سيارتها لزيارة أبيه فى مستشفى الأمراض العقلية • وكانت تلاحظ معالم تقززه من حياتها ، فراحت تربت كتف السائق وتدلله ، ثم قالت لمارسيللو :

« أعرف انك غاضب لأننى أدلل ألبيرى ، ولكنك لا تستطيع أن تتصـــور ما تعانيه المـرأة عندما تدرك انها لم تعد تتمتع بالشباب ! »

★ ★ ★

◆ **كان** ارتياح مارسيللو عظيما عندما رأى نفسه مع زوجته « جيليا » فى القطار ، بعد مراسم الزواج وضجيج الاحتفال . وأخذ يرقب الفتاة وهى تتحدث الى أمها ـ قبل تحرك القطار ـ وقد خامرها الشعور بأن رحيلها وانفصالها عن أمها يسـدل الستار على حياتها كفتاة ، لتبدأ حياة جديدة كانت تخافها ، ولكنها فى الوقت ذاته تتوق اليها ! .. واستعرض مارسيللو ما فعله فى الأيام القلائل السالفة ، فخيل اليه ان هذا التغيير الذى انتاب حياته هو الذى سيمكنه من أن يصبح رجلا عاديا كغيره من الناس ! .. **وتولته رغبة متـوقدة فى أن يمارس مهمته كرجل وزوج ، ويستحوذ على « جيليا » فى نفس الليلة، وفى القطار ، رغم ضيق الفراش ! .. فاذا قاومته جيليا ككل عذراء ، فليرجىء المهمة الى أن يصـلا الى البلدة التى أمر بأن يعرج عليها فى رحلته ! .. ولكن جيليا كانت أكثر منه لهفة وشوقا ، اذ استغلت ارتجاج القطار أثناء سيره ، وانزلقت على ركبتى زوجها فى خبث ، ثم راحت تحتضنه وتقبله ! ..** وما لبثت أن انقلبت تبكى . وجزع زوجها فى البداية ، ولكنه تبين ان البكاء كان تمهيدا تعمدته لتصارحه بأنها لم تكن عذراء !

وحملق فيها مارسيللو وقد تبين فجأة ان الشخصية العادية التى كان يراها فيها ، قد تبخرت ! .. ولم يكن يدرى ما وراء اعترافها ، ولكن الذى أدركه اذ ذاك هو ان جيليا ـ على ضوء ما قالته عن نفسها ـ لم تكن المرأة التى خالها . وأحس بنوع من الشبع النفسى جعله يعاف أن يسمع مزيدا من اعترافاتها، ولكنه شاء أن يطمئنها ، فقال : « لا بأس ، فمـا تزوجتك الا لأننى أحبك .. وليس لأنك عذراء ! » .. ولكنها أبت الا أن

تروى له كيف أن أباها تركها وأمها ــ عند موته ــ فى عسر ، فكفلهما محام كانت تدعوه عمها .. **واذ كانت فى الخامسة عشرة من عمرها ، انتهز المحامي غياب امها عن الدار يوما ، وانتهك عرضها ، ثم هددها بأن لا تفضي لأمها بما حدث والا ألقى بهما في هوة الفقر والاملاق . ثم ما لبث أن اقترح على أمها أن تكف عن ارسالها للمدرسة ، وأن تلحقها بمكتبه كسكرتيرة له . وبهذا سهل عليه أن يتخذها خليلة ست سنوات ، وهى عاجزة عن أن تعصاه ، خشية أمها والفقر ! ..**
فلما قبلت الزواج من مارسيللو ، هددها بأن يفضح الأمر للشاب ، فهددته بدورها بأن تقتله اذا فعل !

وأشفق عليها مارسيللو ، فود أن يبدى لها تقديره لظروفها ومد يده ليحتضنها ، ولكن القطار ارتج بعنف فى تلك اللحظة فأصابت يده وجهها ، واذا بها تقفز الى خارج المقصورة . وبهت الشاب فأسرع خلفها ، وكانت على وشك أن تلقى بنفسها من القطار ، بعد أن خيل اليها ان مارسيللو احتقرها ، وان زواجها منه قد خاب !

ومازال بها حتى استطاع أن يسترضيها ويعيد اليها صفاءها **وضم مارسيللو فى تلك الليلة جسدها عاريا بين أحضانه ، ونال منها وطره ، لا عن اشتهاء فحسب ، وانما عن رغبة فى أن يشعر بأنه رجل ككل الرجال ، وانه قد جامع امرأة لينجب منها نفسا بشرية أخرى !**

★ ★ ★

◆ **ترك** مارسيللو زوجته فى فندق نزلا فيه ببلدة (س) ، ثم استقل سيارة الى العنوان الذى أملاه اياه «أورلاندو» . وما أن ولج الدار ، حتى بهت اذ وجدها حافلة بالغوانى .. فقد كانت من دور الهوى ! .. ولم يخلصه من الاغراء الا وجود « السنيور جابريو » الذى كان فى انتظاره ليخبره بأن خطة المؤامرة قد

عدلت ، ولم يعد عليه سوى ان يرشد « اورلاندو » الى شخصية « كادرى » ، ثم يدع له باقى المهمة . **وخيل اليه ان الحكـــومة شاءت ان تتعجل اغتيال « كادرى » . وتجلى له اذ ذاك ان وجوده فى باريس لم يكن ضروريا فى الواقـع ، اذ كان « اورلاندو » يحذق الأساليب التى يستطيع أن يتعرف بها على ضحيته دون معونة . وأفضى هذا بمارسيللو الى التأكد من أن الحكـــومة ـ باقحامه في المؤامرة دون داع ـ انما أرادت أن تشركه فى تبعة الجريمة ، لتظل هى مستترة ! .. وتبين انه قد استدرج الى فخ، ولكنه دهش حين تبين ـ عندما سرى عنه أثر هذا الاكتشاف ـ انه لم يكن يأبى الدور ، وانما تقبله فى أسى كواجب محتوم !**

وعندما هم بمبارحة الدار ، فاجأ « أورلاندو » يحتضن امرأة لم يكن قد رآها من قبل بين الغانيات .. وكانت سمراء ، براقة العينين ، واسعة الفم ، تكسو شفتيها طبقة من أحمر الشـفاه الداكن . وقال له اورلاندو فى بساطة : « ان شئت ان تحظى بهذه الفتاة تركتها لك ! » .. وحنق عليه مارسيللو .. فقـد خامره شعور بالاشفاق على الفتاة ، وبالرغبة فى أن يجنبها ما كان « اورلاندو » يريده منها ، بعد اذ خيل اليه انهـــا كانت تعانى من جراء اضطرارها لتقبل عناقه !

وكان أول ما حرص مارسيللو على عمله عنـــدما وصل الى باريس ـ مع زوجته و أورلاندو ـ هو الحصول على رقم تليفون « كادرى » ..وأخذ يسترجع ملامحه فى ذاكرته .. كان أحدب، قصير القامة ، يستخدم شعرا مستعارا كثيفا ، ويستعمل نظارة سميكة .. وكان من اعداء الحزب الفاشى الذى كان مارسيللو من أنصاره .. بل بلغ من تحمسه فى المعارضة ، ان استطاع أن يحول عددا من خصومه عن عقيدتهم !

ولم يتذكره « كادرى » حين اتصل به تليفونيا ، ولكنه دعاه الى تناول الشاى فى داره ، وسأله ان يصحب زوجته حين علم انه صحبها معه الى باريس ليقضيا شهر العســـل . وما لبث

مارسيللو أن التقى بأورلاندو ، فأفضى اليه بما تم ، ووعده بأن يدعو « كادرى » الى تناول العشاء معه ، حتى يستطيع اورلاندو أن يراه ويعرفه !٠٠ **ولم يدر مارسيللو لم خيل اليه اذ ذاك انه يقوم بدور « يهوذا » عندما خان المسيح !٠٠ أو لم يكن هو الآخر مقدما على خيانة استاذه ؟٠٠ كل ما كان هنالك من فارق، هو ان يهوذا شنق نفسه ، لان الذين حرضوه على الخيانة لم يجسروا على مساعدته ٠٠ أما هو ، فلن يقتل نفسه ، ولن ييأس ، لأن هناك من يؤيدونه ! ٠٠ وتصور الجماهير فى ميادين روما تصفق للوزير الذى يعمل تحت امرته ٠ ثم تبددت الرؤيا، فلم تخلف وراءها سوى أثر ضئيل من زهو وفخر مشوبين بالسخرية !٠٠ لقد كان يؤدى واجبه على أية حال !**

★ ★ ★

◆ **بهت** مارسيللو حين استقبلته وزوجته ــ فى دار « كادرى » ــ سيدة خيل اليه انها تشبه تلك التى رآها مع « اورلاندو » فى بيت الهوى ببلدة (س) ٠٠ ولكنه سرعان ما تبين ان ثمة اختلافا واضحا فى درجة اللطف ، والصوت ٠ وما لبث أن أقبل الأستاذ « كادرى » فرحب بالزوجين ، وأخذ يحدثهما فى تلطف ومودة ، ويسأل جيليا عما راق لها فى باريس ٠ فلما أبدت الشابة رغبتها فى أن ترى احد الملاهى الليلية ،اقترحت السيدة التى استقبلتهما ــ والتى دهش مارسيللو اذ عرف أنها زوجة كادرى ــ أن يتناولوا جميعا العشاء فى أحد المطاعم ، ثم يذهبوا الى ملهى توقعت أن يروق للزوجين ٠٠

وسأل الأستاذ زائره عما اذا كان لا يزال سادرا فى نشاطه السياسى ، فزعم مارسيللو انه لم يعد له شأن بالسياسة ٠ **واذ ذاك اغتبط الأستاذ وشد على يده ، وكأنه كاهن يتطلع الى تائب ! ٠٠ ثم وضع كادرى يده على مكان القلب من صدره ، واغرورقت عيناه ، وبادر بمغادرة الغرفة ومارسيللو يرقبه**

مبهوتا . واذ بقيت زوجة الأستاذ مع العروسين ،لاحظ الشاب انها تبدى له جفاء لم يدر مبعثه . وما لبثت جيليا ان اقترحت أن تعود الى الفندق لتستريح قبل موعد العشاء ، ولكن « لينا » ــ وهو اسم زوجة الأستاذ ــ دعتهـــا الى مخدعها ، ثم عادت بمفردها بعد برهة الى «الصالون» ، حيث كان مارسيللو يجلس وحيدا

وقالت له وهى تشعل سيجارة : « ستنام زوجتك قليلا ، ثم أصحبها فى جولة بالمدينة » . فتساءل : « اذن ، فأنت ترين ان لا حاجة لكما بى ؟ » .. ثم تطلع اليها وقال : « معذرة .. ولكننى أخال انك تبدين جفاءنحوى ، مــع اننا لم نلتق قبل الآن ! » ، فقاطعته قائلة : « بل اننى أعرفك جيــدا ، وان لم تعرفنى أنت ! » .. **ولمعت عيناها فى عداء وهى تقول : «أعرف انك جاسوس لحكومتك ! » .. فغض مارسيللو بصره ، وقــد آلمه ازدراء المرأة له . وما لبث ان سألها عما اذا كان زوجها يعلم ذلك ، فأجابته فى لهجة مهينة : « طبعا .. انه هــــو الذى أنبأنى ! » ، ولم يتمالك ان سألها : « فلماذا اذن دعوتمانا ؟ »، فأجابت لتوها : « لم أكن أود ذلك ، ولكن زوجى قديس ، ولا يزال يؤمن بأن العطف هو خير سياسة لمقابلة العدوان ! »**

ــ آسف لأنك تعادينني ، اذ أراك جذابة !

وساءل مارسيللو نفسه ــ فيما بعد ــ عن سر ما اعتــراه اذ ذاك .. فكأنما انبعث من جبينها ضوء بهره ، وفاض فى أعماقه شعور عنيف ، أهوج ، من الانفعـــال والحب الأعمى .. ولم يشعر الا وقد أحاط السنيورا كادرى بذراعيه ، وضمها حتى التصق ثدياها النافران بصدره ، وهو يغمغم : « انى لأحبك كل الحب ! » .. فنظرت اليه مذهولة ، ثم هتفت : « بديع جدا أن تخون زوجتك وانتما فى شهر العسل ! » ، ثم تملصت منه وصفعته ! .. وفى اللحظة التالية، بدا عليها الندم ، فسارت الى النافذة ، ثم التفتت اليه وقالت : « آسفة ! » . فقال : « لم يعد

أمامى ســوى الرحيل ، فهلا دعوت زوجتى واعتــذرت عنى لزوجك ؟ » ٠٠ وافسح لها الطريق الى الباب ، لكنهــا وقفت تحملق فيه ، ثم ربتت خــده ، قائلة : « لا تنصرف ، فاننى أنا الأخرى أحبك ٠٠ ألا اغفر لى ! »

وشعر مارسيللو بانها لم تعتذر الا خوفا من عواقب الصفعة. وأحس فى الوقت ذاته بحب جامح نحوها ٠٠ حب لم يشعر به نحو جيليا ٠٠ حب عميق ، مفعم بالانفعــال والتهيج ، ملىء بالحنان والأمل ٠٠ حب لم يحس بمثله من قبل فى عمره ٠٠ وكأنما كانت حياته فراغا قبل أن يرى جمالها الماثل أمامه !٠٠ بل انه أحس انه كان يحبها طوال عمره ، حتى قبل أن يراها ، بل وقبل أن يرى شبيهتها فى بلدة (س) ! ٠٠ وبسط ذراعيه ليحتضنها ، ولكنها راغت منه وقالت : « بل اخرج الآن لبعض الوقت ، وسوف نلتقى فى المساء ! »

★ ★ ★

◆ **كان** مارسيللو بحاجة الى ان يخلو الى نفسه ليفكر فيما حدث ٠ ولم يبد له فى تصرف «لينا» ـ التى كان زوجها يكبرها بكثير ـ ما يثير الدهشة ، ولكن تصرفه هو ـ ولما تمض عــلى زواجه سوى أيام ـ أذهله وأزعجه ٠٠ وراح يسائل نفسه : ما هو الحب ؟ ٠٠ ما هى تلك العاطفة التى كان يوشك بسببها أن يهدم حياته ، فينبذ عروسه ، ويخون العقيدة السياسية التى كرس لها حياته ؟٠٠ **وخيل اليه ان الفســاد والدنس اللذين كانا يلاحقانه فى حياته ، واللذين لم يخلصه منهما زواجه من جيليا ، لن يتبددا الا بذلك الضياء الذى كان يشــع من جبين « لينا » !٠٠ وعجب اذ فطن الى التشابه بين اســمى « لينو » و « لينا » : الرجل الذى أثار فى نفسه الاشمئزاز من الفساد والدنس ، والمرأة التى كانت خليقة بأن تخلصه منهما !**

ولم يدر كم من الزمن انقضى قبل أن ينتهى به التجوال الى

الفندق ، فلما طلب مفتاح غرفته ، انبأه العامل بأن زوجته فى الغرفة مع سيدة ادرك انها « لينا » ! ٠٠ وأحس بانفعال وغبطة ، فأسرع الى الغرفة ، واذ وجد الباب مواربا ، أرسل بصره خلاله ، فرأى زوجته عارية الا من منشفة حول وسطها ، وقد جلست لينا عند قدميها ، تتحسس فخذيها بيديها ، وتحتضن ساقيها ، وقد أحنت رأسها على ركبتيها ٠٠ ولمح جيليا تمد عنقها لترى ما كانت تفعله المرأة ، دون ان تعارض أو أن تحبذ هذا العمل ، بل كان الفضول رائدها ٠٠ وسمع لينا تقول : « لا تكونى غبية ٠٠ لو انك كنت غير متزوجة ، لما عارضت فى هـــذا ، ففيم المعارضة وانت متزوجة ٠٠ وممن ؟ » ، فهتفت جيليا : « ولكنى أحبه ! »

وأخذت يدا لينا تتحركان ـ كثعبانين ! ـ موغلتين بين فخذى جيليا ، فلما أبدت هذه اعتراضا ، أمسكت المرأة بيدها وراحت تقبلها ، ثم أخذت تحك رأسها براحتها فى انفعال ٠٠ وما لبثت جيليا ان نهضت مبدية رغبتها فى أن ترتدى ثيابها ٠ وقفزت لينا قائلة : « لا تتحركى ! » ٠٠ ولكن جيليا سارت الى أقصى الغرفة قائلة : « لا تنظرى الى هكذا ، فانك تجعليننى أشـــعر باستحياء » ٠٠ وهتفت المرأة : « أتستحيين منى ، وأنا امرأة مثلك ؟ » ٠٠ فأجابت جيليا : « ولكنك تتأملينني كما لو كنت رجلا ! »

وهبط مارسيللو الى بهو الفندق وقد انقلبت مشاعره وأفكاره ، فلم يعد راغبا فى لينا ، ولا فى التخلى عن مهمته ازاء زوجها ! ٠٠ وأدرك اذ ذاك ان الشعور الذى كان « لينو » يكنه له ، لم يكن حبا ، وانما كان من نوع ذلك الشعور الذى تملك « لينا » نحو زوجته !

وعندما لمح « لينا » تغادر الفندق أخيرا ، أسرع الى غرفته ، فاذا جيليا توشك أن تفرغ من تنسيق شعرها ٠ وهتفت مبادرة اذ رأته : « هل تتصور ما حدث لى ؟ ٠٠ ان تلك الســـيدة ٠٠

زوجة الأستاذ كادرى ٠٠ تصور ٠٠ انها امرأة غير طبيعية ! »
٠٠ فسألها عما كانت تعنيه ، فقالت : « انها من أولئك النساء اللاتى يحببن نساء مثلهن ، وقد وقعت فى هـوای ٠٠ من أول نظرة ! » ٠٠ وراحت تروى له ما جرى فى بساطة ودهشـة ، فبهت للفارق بينه وبينها ٠٠ **لقد ظل عمره مرتبكا بسبب حادث لم يقترفه مع لينو ، اما جيليا ، فكانت تتحدث فى صراحة ، وتصف له كيف انها راحت فى اغفاءة فى مخدع « لينا » ، لم تلبث ان استيقظت منها على المرأة وهى تسطو على عرضها ٠٠ « تماما كما لو كانت رجلا ! » ٠٠ أجل ، كانت جيليا تتحدث غير متحرجة ٠ ولم تحاول أن تكذب الا عندما قالت فى البداية انها لم تستجب للمرأة ، ثم عندما زعمت انها لم تجرب من قبل العلاقات الجنسية بالنساء ٠٠ اذ انها لم تلبث ان نسيت كذبها ، وراحت تحدثه عن فتاة عشقتها قبل أن يعرفها ذلك المحـامى الذى سلبها بكارتها !**

وتحولت جيليا تذكر له ان سنيورا كادرى دعتهما لقضـاء أيام معها وزوجها فى مقاطعة (سافوى) ٠ وكان كادرى مزمعا أن يسبق زوجته الى هناك ، فرأى مارسيللو ان هذه فرصـة تيسر لأورلاندو مهمته ، ومن ثم بادر بابلاغه النبأ !

* * *

• **وكان** المطعم الذى سعى اليه مارسيللو وجيليا ليلتقيا فيه بكادرى وزوجته ، مطعما أنيقا اشتهر بجودة ما كان يقدم من ألوان الخمور ٠ واذ حيا الشاب أستاذه ، انحنى فطبع على جبينه قبلة ، ذكرته بقبلة يهوذا للمسيح ، لا سـيما حين لمح وجه « اورلاندو » ـ فى مرآة أمامه ـ وقد جلس يرقبهم عن كثب !

وأقبل مارسيللو على الطعام والشراب وهو شـارد الذهن ، منقبض الصدر ٠٠ فقد شعر من حديث كادرى ونظراته الباردة ، أن لينا ولا بد قد أفضت الى زوجها بكل شىء عنه ، وان الاستاذ

لم يبالغ فى اكرامه والتلطف اليه الا كما يداعب القط الفأر !٠٠ وردته نظرات لينا ومعابثتها لقدمه ـ تحت المائدة ـ الى التفكير فى حبها !٠٠ **لكم تمنى لو ان هذا الحب كان حقيقيا !٠٠ وراح يصور لنفسه مصيرين ينبغى أن يختار أحدهما : اما أن يدع لاورلاندو اتمام مهمته دون أن ينتظر انتهاءه منها ، بل يبادر الى العودة مع عروسه الى ايطاليا ٠٠ واما ان ينقذ كادرى من المؤامرة ، ثم يهجر جيليا ليبقى بالقرب من لينا !**

وبدأت جيليا تثمل من النبيذ ٠ وعندما ذكرت انها وزوجها يزمعان ان يقضيا سحابة اليوم التالى فى فرساى ، عرضت لينا أن تصحبهما ، اذ كان زوجها قد قرر الرحيل الى (سافوى) فى الصباح التالى ، ولكن جيليا بادرت قائلة : « ألا يكفى اننى قبلت أن نكون معا فى سافوى ٠٠ اننى أود أن أنفرد بزوجى فى فرساى ! » ٠٠ وامتعضت لينا لهذا الجواب ، واكفهر وجهها ، قبل أن تقول : « لعلك تشعرين بنفور منى ٠٠ أجل ، انك تكرهينني ! » ٠٠ وتطلع زوجها اليها قائلا : « ولماذا تكرهك وهى لم تعرفك الا منذ ساعات قلائل ؟ » ٠٠ وتدخل مارسيللو قائلا : « بل ان جيليا مثلى تحبكما كثيرا »



ثم انتقل الجميع الى ملهى ليلى ، فما أن استقروا هناك حتى لاحظ مارسيللو أن أورلاندو تبعهم ٠ وقامت لينا فدعت جيليا الى مراقصتها ، وهو أمر لم يكن مستغربا فى ذلك الملهى ! ٠٠ ولاحظ الشاب أن لينا كانت تشد جيليا اليها أثناء الرقص

بشكل غير مألوف ، بينما تجلى الامتعاض على وجه عروسه . وبدا له المنظر محزنا ، ولم يتمالك أن أحس بحسرة لهذا الشذوذ ، وان فكر فى أن هذا الحب الشاذ لو وجه اليه هو ، لأنقذه وأسعده ! .. **وفيما هو كذلك، اقترب منه كادرى قائلا: « لا تحسب أنني لم أفهمك يا كليريتشي ! » .. فارتبك الشاب ، بينما استطرد الأستاذ : « انك تعرف من أكون .. ولكننى أعرف كذلك من تكون أنت ! » .. وكان يتفرس فيه ، فأحس الشاب بذعر جليدى .. ولكنه لم يلمح فى أسارير كادرى أى حقد ، وانما شاهد عينيه تفيضان بالعطف ، وتغرورقان بالدمع ! .. وعاد الرجل يقول : « انك تحاول أن تخطو الى التوبة ، فدعنى أساعدك .. امض قدما ، فقد يتاح لك أن تبدأ حياة جديدة حقا ! »**

وكانت الزوجتان قد فرغتا من رقصهما وانضمتا اليهما .. وما لبثت لينا ان سألت مارسيللو بجفاء عن السر فى انه لم يدعها لتراقصه ، فنهض فى الحال وقادها الى الحلبة . وراحت خلال الرقص تغريه على أن يقنع زوجته بقبولها زميلة لهما فى نزهتهما فى (فرساى) .. فهتف مارسيللو : « ليتنا نتبادل الحب صادقين ! » ، فقالت : « هذا ما أتمناه ! » .. وكانت تعنى جيليا بأمنيتها ، اذ ما لبثت ان أبدت أساها لأن الشابة لم تكن تحبها . ولكنه راح يطمئنها . وحاول أن يستدرجها الى ركن ليقبلها ، غير انها تملصت منه فى نفور ، فسار الى الخارج حيث وجد « اورلاندو » فى انتظاره ليخبره بأنه سيجهز على « كادرى » وهو فى طريقه الى (سافوى) .. وعاد مارسيللو الى رفاقه مهموما !

* * *

◆ **استيقظ** مارسيللو مع بزوغ شمس اليوم التالى ، وفى نفسه يقين بأن كادري كان في تلك اللحظة منطلقا فى سيارته

الى سافوى ، وأوزلاندو وأعوانه فى أثره ٠ وكان معنى ذلك أن مهمته في باريس قد انتهت ٠٠ بل انه شعر ان موت كادرى يضع خاتمة لمرحلة من حياته ، جاهدخلالها للخلاص من الشذوذ والقلق اللذين خلفهما فيه موت لينو !٠٠ واذا كان قد نجح فى ذلك عن طريق الجريمة ، فقد وقر فى نفسه ان تبرير هذه الجريمة لن يعوزه ، وانه لن يلبث أن يصبح مواطنا صالحا ، وأبا طيبا ، وان يشهد حياته تسير فى تدرج وطيد نحو الكمال الذى كان ينقصها حتى الآن !٠٠ **وهكذا كان مقدورا لمصرع لينو ان يلقى على حياته ظلال مأساة قاتمة ، حتى يأتى مصرع كادرى فيحرره من وزر الجريمة السابقة ٠٠ أفلم يساهم فى قتل كادرى من أجل وطنه ، وحكومته ، والنظام الاجتماعى لأمته؟!٠٠ان هذه كلها أهداف تتغير من أجلها القيم والمقاييس، فيصبح الظلم عدلا ، والخيانة بطولة !**

واستيقظت جيليا اذ ذاك ، فراعها صمته ٠ وراحت تحتضنه وتقبله ٠ وما أن ذكر لها انه قرر العودة الى ايطاليا ، حتى شرعت تحدثه عما ترجوه لحياتهما المقبلة ، وترسم له الصورة التى كانت تجول فى أحلامها لبيتهما ٠٠ وقال مارسيللو فى عزم : « لسوف نسعد معا ! » ، فهتفت : « أو لن يكون لنا أطفال ؟٠٠ اننى أحب أن أنجب أطفالا كثيرين ٠٠ واحدا فى كل عام خلال الأربعة الاعوام الاولى على الاقل ، فاننى أصبو الى أن تكون لنا أسرة فى أقرب وقت ! » ٠٠ وأحس بالدموع تسقط من عينيه ، فدهش ٠ كان يعرف ان حديثها عن السعادة أبكاه، ومع ذلك فانه لم يستطع ان يجزم بأنه السبب !٠٠ وخيل اليه أن الثمن الغالى الذى دفعه من أجل تلك السعادة المنتظرة ، هو الذى أسقط دموعه !٠٠ واذ اشتد حماس جيليا وهى سادرة فى أحلامها ، تأججت رغبتها فدعته الى أن يضاجعها !٠٠ وفيما كان مقبلا عليها ، اذا بطرقات على الباب ، وخطاب يدفع من تحته ٠ وفى تلك اللحظة كانت جيليا قد بلغت أوج متعتها ،

فضايقها هذا الازعاج ، وتعلقت بمارسيللو وقد غرست أظافرها في ذراعيه ، وهي تهتف : « ألا اقتلني ! » ٠٠ وانزعج الشاب اذ تذكر صيحة لينو : « اقتلني كما تقتل كلبا ! »

وكان الخطاب من سنيورا كادري ، تقول فيه انها عدلت عن مرافقتهما الى (فرساي) ، وانها رحلت مع زوجها في الساعة السابعة من ذلك الصباح ٠ وأبدت جيليا اغتباطها ، قائلة انها لم تكن مطمئنة الى لينا ، لأن المرأة كانت تريدها على أن تحبها، فقال مارسيللو : « حسنا ٠٠ لن ترى لينا بعد الآن ! »

★ ★ ★

◆ **جلس** مارسيللو الى مكتبه بالوزارة ، وأخذ يراجع قصاصات الصحف التي نشرت نبأ مصرع كادري وزوجته ، بأيدي جواسيس أوفدوا خصيصا من ايطاليا ، لم تستطع السلطات الفرنسية أن تضع يدها عليهم ٠٠ **وكان من سخريات القدر ، ان الحكومة الايطالية عدلت عن قتل كادري في اللحظة الاخيرة ، اذ كان مصرعه خليقا بأن يعرقل مفاوضات كانت مقدمة عليها مع فرنسا ، بيد ان التعليمات الجديدة لم تصل الا بعد أن ارتكبت الجريمة !**

وتوالت الاعوام ٠ وفي ذات مساء ، نهض مارسيللو من فراشه ، ووقف لدى النافذة يطل على البيوت المجاورة ٠٠ كان اذ ذاك يقيم في أرقى أحياء روما ، فأدهشه أن عينيه لم تقعا على ما يوحي بأن أهل ذلك الحي كانوا يشعرون بأن حربا عالمية كانت تدور رحاها منذ أربعة أعوام، وان الوزارة الفاشية التي ظلت تحكم ايطاليا عشرين عاما ، سقطت في ذلك اليوم بالذات !

وشعر بقلق ٠ فقد أصبح ـ بعد سقوط الوزارة ـ في مركز مهدد ٠٠ وراوده الندم ، اذ اكتشف ، على أضواء الموقف الجديد، ان لم يكن ثمة داع لمعظم ما ارتكب من ذنوب في حياته ٠٠ **بل**

لقد روعه ان تبين انه لم يرتكب تلك الذنوب من أجـــل غاية سامية كما كان يزعم لنفسه ، وانما من أجل غاية شخصية ٠٠ كان يدفع ـ بهذه الذنوب ـ الثمن كي يحصل على حياة عادية ، ليس فيها ما يفرق بينه وبين الناس !

وسار الى غرفة مجاورة ، فألفى جيليا قد اعدت ابنتهمـــا « ليوسيلا » للنوم ٠ وكانت الطفلة فى السادسة من عمرها ، وذات جمال رائع ٠٠ وسمعها تردد ما كانت أمهـــا تلقنها من صلاة : « يا مريم أم الرب المقدسة ، صلى لأجلنا نحن الخطاة ٠٠ الآن ، وفى ساعة مماتنا » ٠٠ واذ استلقت الصغيرة فى فراشها ، أخذت تسأل أباها عن الرحلة التى كان مزمعا أن يصـــطحبها وأمها فيها ، فى الصباح التالى ٠ فقد اعتزمت الأسرة أن تقضى الصيف عند « الجدة » ، فى الريف ، بعيدا عن روما والغارات الجوية !

وما أن نامت الطفلة . حتى غادرالوالدان حجرتها الى قاعة الطعام ٠ ولاحظ مارسيللو ان عينى جيليا كانتـــا مقرحتين من فرط البكاء ٠ وأدار المذياع ، فاذا المذيع يصف ، فى نبرات مليئة بالحماس، ابتهاج الجماهير بسقوط موسولينى، وهتافاتهم للملك ، فصاحت جيليا : « **ياللسخف!٠٠ لقد كانوا الى أمس يصفقون لموسولينى ٠٠ وكانوا منذ أيام يصفقون للبابا ظنـــا منهم انه سيصد عنهم الغارات الجوية ٠٠وها هم أولاء يعضدون الملك اليوم !** »

وخرجا يجوسان خلال المدينة فى سيارتهما ، فاذا الشوارع زاخرة بالناس رغم الظلام ٠٠ وكانت الجمـــوع تعترض طريق السيارة لتهتف فى وجهيهما : « تحيا الحرية ! »

★ ★ ★

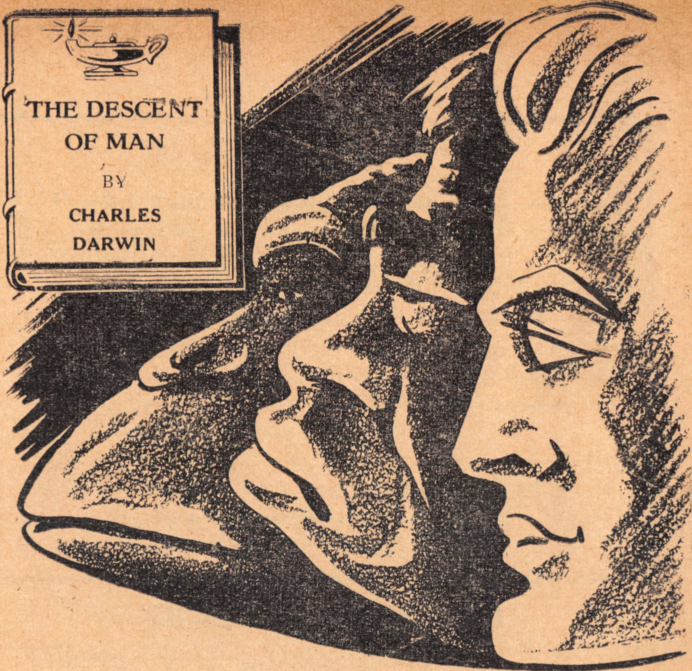
◆ **كانت** المدينة فى هرج ومرج ، اذ انطلق الناس يهتفـــون ويغنون ، وقد جروا تمثالا للرجل الذى كان مجرد ظهوره بينهم يوما يجعلهم يصمتون فى اجلال واحترام!٠٠وما لبث مارسيللو

وجيليا أن تركا السيارة فى طريق جانبية ، وسارا ءأقدامهما

وانتهى بهما المسير الى متنزه مقفر ، فدخلاه ٠ وعند شجرة ضخمة ، أبدت جيليا رغبة فى أن يضاجعها زوجها على العشب الطرى ، فلما أبدى دهشته ، هتفت : « **بل اننى أتوق الى أن نفعل ذلك فى الشارع ، لأدخل السكينة على نفسى ، وأنصرف عن التفكير فى الحرب والذعر !** » ٠٠ وفيما كانا مضطجعين ، مر بهما حارس،فسلط عليهما نور مصباحه ٠وصاح مارسيللو: « ما الذى تبغيه ؟ » ٠ فأجاب الرجل فى هدوء : « لا شيء يا مارسيللو ! » ٠٠ وابتعد الحارس ، ولكن مارسيللو قفز ناهضا ، وجرى خلفه ٠٠ وصاح به : « كيف هذا ٠٠ ألم أقتلك ؟ » ٠٠ **فقد كان الرجل هو لينو نفسه !**

وعلم مارسيللو ان القائمين بأمر المستشفى الذى نقل اليه لينو ــ بعد اطلاق الرصاص عليه ــ خلطوا بينه وبين رجل مات فى سرير مجاور !٠٠ وهتف الشاب : « لقد أفسدت على حياتى كلها ٠٠ لقد كنت بريئا طاهرا عندما قابلتك ٠٠ ومنذ ذلك الحين لم أعد كذلك ! » ٠٠فرمقه لينو فى دهشة وقال : «**ولكننا جميعا كنا أبرياء يا مارسيللو ٠٠ وكلنا نفقد براءتنا ، واذ تغيرت الطرق ٠٠ فهذه هى سنة الحياة ٠٠ نهجها العادى !** »

وراحت تلك الكلمات تدوى فى اذنيه ، وقد بدا له أن حكمة حياته كلها تركزت فيها !٠٠ لقد ارتكب كل ما ارتكب فى سبيل التكفير عن جريمة وهمية، ومع ذلك فان كلمات لينو جعلته يرى ــ للمرة الاولى ــ انه حتى اذا لم يكن قد قابل هذا الرجل واطلق عليه الرصاص واقتنع بأنه قتله ٠٠ حتى اذا لم يكن قد حدث شيء من ذلك على الاطلاق ، فانه كان مسوقا الى أن يفعل ما فعله فى حياته ، لا لشيء الا لأنه ــ ككل انسان ــ كان مسوقا الى أن يفقد براءته ، ثم يسعى تواقا الى استردادها !



أصل الإنسان

النظرية التي تقرر أن أصل الإنسان قرد .. !

للعالم الانجليزي الشهير تشارلس داروين

عرض وتلخيص : ابراهيم موسى

كان الانسان فيما مضى ٠٠ قردا !

◆ « كان الانسان الأول حيوانا يغطى الشعر جسمه ويسير على أربع ، وقد انحدر من سلالة القرود ، التى انحدرت بدورها من الزواحف ٠٠ وهى المخلوقات التى كانت قبل ذلك حيوانات مائية ! »

هذه هى النظرية التى أحدثت ـ عند ظهورها فى القرن الماضى ـ ضجة هائلة ٠ بل انها أحدثت انقلابا علميا خطيرا لا يقل عما أحدثته نظرية تفتيت الذرة واستغلال الطاقة الذرية ، فى القرن الحالى ٠ ولقد خلدت هذه النظرية اسم « تشارلس روبرت داروين » فى تاريخ البحث العلمى ٠ على انها فى الواقع لم تكن سوى استطراد لنظرية أعم وأشمل ، هى نظرية « التطور » أو « النشوء والارتقاء »

ولقد قدم لك « كتابى » ـ فى العدد ٢٦ ـ كتاب « أصل أنواع الكائنات » ، الذى شرح فيه « داروين » نظرية النشوء والارتقاء ٠ واليوم ، يقدم لك عرضا ممتعا لكتاب « تسلسل الانسان » الذى شرح فيه داروين نظريته الخاصة بأصل الانسان !

الكائنات ٠٠ بين الماء واليابسة !

◆ **اشتهر** « تشارلس روبرت داروين » بأنه الرجل الذى قال ان الانسان كان فى الاصل قردا !

والواقع أن « داروين » لم يقل ذلك تماما ٠٠ وانما هو أكمل أبحاثا قام بها علماء غيره من قبل ، فتوصل الى نظرية « التطور » التى تذهب الى أن الكائنات بدأت حياتها فى الماء ، وكانت جد بسيطة وصغيرة ، ثم أخذت تنمو ويتكون لها من الاعضاء ما تدعو اليه حاجاتها وما تتطلبه الظروف والبيئة التى تعيش فيها ٠ ثم لم تلبث أن أخذت تنتقل الى اليابسة ٠ ولا تزال هناك حتى اليوم حيوانات برمائية ـ (أى تعيش بين البر والماء) ـ كالسلحفاء ٠ أما الحيوانات التى استقرت على اليابسة ، فقد تعرضت لتطورات اقتضتها البيئة وظروف حياتها الجديدة ٠٠ اذ تحولت الزعانف ـ مثلا ـ الى ايد وأرجل ٠ ولما كانت البيئات على الارض تتباين بتباين المناطق والمناخ ، لذلك تنوعت

الكائنات ، وتلونت بألوان الاوساط التى كانت تعيش فيها ٠ فالحيوانات ذات البشرة المرقطة أو المخططة ، اكتسبت أشكال بشرتها بحكم اضطرارها الى العيش فى الغابات ، حيث تتباين الاضواء والظلال ، فرارا من الانسان الذى كان يطاردها ليفتك بها ٠ وبهذا التطور استطاعت أن تبقى بينما فنيت حيوانات غيرها ٠ وهذا ما عبر عنه « داروين » بقانون « البقاء للاصلح »!

وقد قام « داروين » برحلات طويلة استغرقت أعواما ، عكف خلالها على دراساته وأبحاثه ٠٠ وكان يقيس عظام الحيوانات ويقارن بين صفاتها وأشكالها ، ليثبت أن التسلسل ارتفع بالدودة الصغيرة ـ مثلا ـ حتى أصبحت ثعبانا كبيرا !٠٠ وقد ضمن « داروين » خلاصة أبحاثه هذه كتاب « أصل الأنواع »٠ ولكنه لم يجعله غاية ونهاية ، وانما واصل الدراسة والبحث بعد ذلك ، فوضع كتابا آخر أسماه « تسلسل الانسان » ٠٠ وهو الكتاب الذى أورد فى سياقه نظريته عن تسلسل الانسان من أصل القرد !

الحلقة المفقودة ٠٠ بين الانسان والقرد !

◆ **ولقد** عرض « داروين » ـ فى كتابه الجديد « تسلسل الانسان » ـ فكرة طريفة ، تلك هى : ان تقرب الذكر من الانثى كان عاملا من عوامل التغير فى ألوان بعض الحيوانات وأحجامها ، فنرى أن الذكور ـ فى كثير من أنواع الطيور والحيوانات ـ أجمل من الاناث ، وما ذلك الا لانها كانت تحرص على أن تبرز جمالها أمام الاناث وتجتذب انتباهها بأن تنشر ريشها الملون ، أو تختال بفرائها الجميل ٠٠ فأدى ذلك الى ما أسماه « داروين » بقانون « الاختيار الجنسى » ٠٠ **اذ لم يكن يقترب من الانثى وينجب منها الا أجمل الذكور وأقواها ، مما أدى الى تحسن السلالات، وازدياد قوة الذكور، وارتقاء وسائل الغزل !**

وهذا الذى حدث فى السلالات التى انحدرت منها مختلف أنواع الحيوان ، حدث أيضا فى السلالات التى انحدر الانسان منها .. وقد استنتج «داروين» - خلال مشاهداته ودراسته - ان الانسان ولابد قد انحدر من سلالة القرود . غير انه ظل الى آخر أيامه حائرا لا يدرى كيف يملأ الهوة التى تفصل بين الانسان والقرد .. فقد هدته ابحاثه الى أن الانسان ينحدر من آباء وأمهات كانوا - فى فترة من الزمن - شبيهين بالقرود . ولكنه لم يكتشف عظاما أو هياكل للانسان فى تلك الفترة ، فقال ان هناك «حلقة مفقودة» بين الانسان والقرد ، ولو اتصلت هذه الحلقة - باكتشاف هياكل انسانية تمت الى تلك الفترة التى يعتقد انها مرت بالانسانية - لثبت أن الانسان أعلى مراحل الخلق ، وذروة تطور استمر ملايين السنين !

نواحى الشبه بين الانسان والحيوان !

◆ **ولكى** يثبت « داروين » اعتقاده بأن الانسان والقرد يمتان الى أصل واحد ، ذهب - بعد الاستشهاد بأبحاث قام بها هو وغيره من العلماء - الى أن لكل العظام التى يتألف منها الهيكل العظمى للانسان ، شبيهات تماثلها فى الهياكل العظمية المتخلفة عن القرد ، والوطواط ، وسبع البحر .. بل ان « داروين » ذهب الى أبعد من هذا ، فادعى أن أوجه الشبه لا تقتصر على العظام وانما هى متوفرة أيضا فى تركيب العضلات والأعصاب والأوعية الدموية وغير ذلك ! .. **كما**



رسم لرأس قرد راق من نوع « الأورانج » ، يبين مدى الشبه بينه وبين رأس الانسان

انه استشهد بمرض تصاب به القرود من أمراض تتفشى بين الانسان دون الحيوانات الاخرى ٠٠ فنرى أن أرقى أنواع القردة ـ مثلا ـ تصاب بماء العين كالانسان ٠٠ وتعترى صغارها الحمى عند ظهور أسنانها الاولى ، أى فى فترة « التسنين » !

ومن مظاهر الشبه التى ساقها « داروين » بين الانسان والقرد ـ وكذلك بين الانسان وبين الحيوانات الثديية : الحمل ، والبلوغ فى سن معينة ، ونمو الخلايا فى الثغرات الناشئة عن الجروح ٠٠ فضلا عن التشابه الشديد فى حالات الولادة ، والحضانة ٠٠ وفى اختلاف الابناء عن الآباء من حيث التركيب البدنى والعقلى ، وفى التصرفات أثناء فترة المراهقة ٠ وفوق هذا كله نجد لدى الانواع الراقية من القردة ، ولدى بعض الحيوانات الثديية الاخرى ، ما نجده لدى الانسان من فوارق بين الذكر والانثى من حيث التركيب العقلى والجسدى ، ومن حيث نمو الشعر !

ويؤكد « داروين » ان جنين الانسان لا يختلف عن جنين القرد ـ فى التكوين ـ الا فى الايام الاخيرة السابقة على مولده ٠٠وان خلايا مخ الجنين الآدمى فى شهره السابع ، تعادل خلايا مخ القرد من فصيلة « البابون » فى سن الشباب !

ومن طريف استنتاجات «داروين» ان قدرة بعض الاشخاص على تحريك آذانهم أو جلود رؤوسهم ، موروثة عن بعض الاصول الحيوانية التى انحدر منها الانسان ٠ كذلك، يرى المؤلف ان الزوائد فى آذان بعض الآدميين ان هى الا آثار تخلفت عن الآذان المدببة فى أجدادهم الحيوانات !

مقارنات بين الجماجم والذيول !

◆ **ولما** كان « داروين » يرى ان البيئة تؤثر فى نمو بعض أعضاء الجسم واضمحلال البعض الآخر ، على مر العصور ، فقد

عمد الى تطبيق هذا الرأى على الانسان ، مستشهدا بأبحاث غيره من العلماء ٠ ومن ذلك أن الدكتور « برنارد ديفز » كان قد أثبت بقياس جماجم كثيرة ان متوسط الحجم الداخلى لجمجمة الانسان الاوربى هو ٣ر٩٢ بوصة مكعبة ، ولجمجمة الأمريكى الاصلى ٣ر٨٧ بوصة مكعبة، ولجمجمة الانسان الآسيوى ١ر٨٧ بوصة مكعبة،ولجمجمة الاسترالى الاصلى ٩ر٨١ بوصة مكعبة ٠٠

فعلل « داروين » هذا التباين فى سعة الجماجم بأن الاوربى أقدم مدنية من الامريكى والاسترالى بوجه عام ، ولهذا فكر وأجهد ذهنه ، فنما مخه واتسعت جمجمته جيلا بعد آخر ، حتى فاقت جماجم الاجناس الاخرى ! وعزز هذا الرأى ان العالم الفرنسى « بروكا » أثبت أن الجماجم التى استخرجت من قبور القرن التاسع عشر فى باريس ، تفوق فى الحجم جماجم من قبور القرن الثانى عشر فى نفس المدينة ٠٠ لأن الباريسى ازداد تفكيرا واستغلالا لذهنه على مر القرون !

واستشهد « داروين » ـ لاثبات هذه النظرية ـ بمثل آخر أخذه عن الحيوانات ٠٠ فقد وجد ان مخ الارنب المستأنس أصغر من مخ الارنب البرى ، لان الثانى كثير الملاحظة ، شديد اليقظة ، تضطره ظروف حياته الى أن يستغل ذهنه !

وينتقل « داروين » من الرأس الى الذيل ٠٠ **فيرى أن فى النهاية السفلى للعمود الفقرى لدى الانسان ، فقرة وأغشية شبيهة بما فى الفقرة الاولى من عظام ذيول بعض الحيوانات ٠ اى أن الانسان الاول كان ذا ذيل ، ولكن هذا الذيل انقرض لأن الانسان تعود الجلوس على الأرض !**

ومن رأيه أيضا أن ضعف الانسان البدنى ، وحرمانه من المخالب القوية والانياب الحادة وسرعة الحركة ٠٠ كل هذا راجع لميله الى أكل الخضر والاستغناء بها عن اللحوم أحيانا ٠٠ وقد ولد الضعف فى نفسه حب الاجتماع دائما بغيره ٠ فان الجماعات

أقوى على صد الحيوان ومطاردته ٠ فكأنما الضعف هو السبب الاول فى ظهور العادات الاجتماعية الاولى ، وتعاون الانسان مع أخيه الانسان فى كثير من الامور

العقل والذاكرة ٠٠ عند القرود ، والكلاب ، والنمل !

◆ **ويحاول** « داروين » أن يبين لنا الصفات التى يشترك فيها الانسان والحيوان ، فيؤكد ان لبعض الحيوانات ذاكرة قوية ٠ ويستشهد على ذلك بما حدث للعالم المعروف « السير اندرو سميث » فى مدينة (الكاب) بجنوب افريقيا ٠ فقد كان السير اندرو يحب قردا معينا من نوع « البابون » ، ويداعبه ، ثم غاب عنه تسعة أشهر ، حتى اذا عاد ، عرفه القرد فى الحال ، وجعل يرقص ويقفز طربا !

كذلك روى « داروين » انه غاب عن كلبه خمس سنوات فى احدى رحلاته ٠٠ فلما عاد الى داره ، صاح ينادى الكلب — على عادته فيما مضى — وهو يمر بحظيرته ٠ وكم كانت دهشته عندما خرج الكلب وتبعه فى هدوء ، رغم ما كان معروفا عنه من شراسة !

ومن الامثلة أيضا ما عمد اليه بعض علماء الحشرات فى تجاربهم ، اذ فصلوا جماعة من النمل الى فريقين ، ثم عادوا فجمعوا بينهما بعد أربعة أشهر ، فاذا الفريقان يستأنفان العمل الجماعى كسابق عهدهما ، وكأنهما لم يفترقا يوما واحدا !

وضرب « داروين » عدة أمثلة لاثبات ان لبعض الحيوانات عقولا ناضجة تفكر بها تفكيرا سليما ٠٠ من ذلك ان الكلاب التى تجر الزحافات — فى البلاد التى يكسو فيها الجليد سطح الماء فى الشتاء — تسير فى جماعات متلاصقة عندما يكون الجليد كثيفا ، فى حين انها تتباعد بقدر ما تسمح لها قيودها ، اذا

أحست بالجليد هشا رقيقا تحت أقدامها ، حتى لا يتركز ثقلها فى حز ضيق فتتهشم الطبقة الجليدية !

غريزة الانتقام ٠٠ عند الحيوان !

◆ **ويستشهد** « داروين » بالعالمين الألمانيين « رنجر » و « بريهم » بصدد حفيظة الحبوان وحبه للانتقام ٠ فهما يقولان ان القرد لا يحدث بزميله ـ فى القفص ـ أذى الا وينتظر الزميل الفرصة السانحة ليرد له الاذى بابلغ منه ! ٠٠ كذلك روى السير اندرو سميث لداروين حادثا طريفا شاهده بنفسه ٠٠ فقد اعتاد ضابط فى مدينة (الكاب) أن يتردد على حديقة الحيوان ويعاكس قردا من نوع « البابون » ٠٠ وحفظها له القرد يوما بعد يوم ، الى ان ذهب الضابط الى الحديقة ذات مرة وهو يرتدى أحسن ملابسه ، فسكب القرد ماء الشرب المخصص له على تراب يحيط بجذع شجرة داخل قفصه ، وراح يعجنه حتى تحول الى طين ، ثم ألقى به فجأة على الضابط فأفسد ملابسه الانيقة! ٠٠ وكان القرد يرقص طربا بعد ذلك كلما رأى الضابط ، رغم ان هذا كف عن معاكسته !

ويروى داروين عن « بريهم » أيضا أن الحيوانات تعرف كيف تنظم خططها فى وقت الخطر ، فهى تستخدم أسلحتها بمهارة وبطريقة منظمة ، كما انها تتقهقر بسرعة اذا ما وجدت ان الخطر أكبر من أن تصده ٠ وقد رافق « بريهم » أميرا ألمانيا ـ هو « دوق كوبورج جوتا » ـ فى رحلة الى الحبشة ، فاضطرا ومرافقوهما ذات يوم الى اجتياز ممر جبلى يسمى (منسا) ، فاذا بهم يجدونه مليئا بالقرود ٠ **وخطر لهم أن يرهبوا تلك القردة ، فأطلقوا عليها النار ، واذا بها تسارع الى الانتشار فوق الممر ووراء الصخور ، وتمطر الامير والعالم ورفاقهما سيلا من الاحجار جعلهم يسرعون الى التقهقر ٠ وظلوا فى مكانهم أياما ، الى أن جلا القرود عن الممر !**

ومما رواه « داروين » عن غريزة الملكية لدى القـرود ، انه كان فى حديقة الحيوان بلندن قرد ضعيف الاسنان ، فعلمـه الحراس ، على ما يبدو ، كيف يكسر البندق بحجر · ولكنه كان – بعد كسر البندق – يعمد الى اخفاء الحجر بين القش ولا يسمح لقرد آخر بمسه لانه « ملكه » !

الانذار بالخطر عند الحيوانات الثديية !

◆ **ويطلق** الانسان – فى العصر الحاضر – صفارات الانذار للتنبيه الى خطر الغارات ، كما كانت الكنائس تدق أجراسها فى ساعات الخطر فى القرون الوسطى بأوربا · أما الحيوان فلا ينقصه شيء من ذلك · فقد روى الدكتـور « ياجر » الألمانى لداروين ان الارنب الجبلى يحذر « زملاءه » من الخطر ، بأن يضرب الارض بقوة برجليه الخلفيتين · وتفعل الخراف البـرية وماعز « الشاموا » نفس الشيء بأرجلها الأمامية ، وهى تصدر صوتا يشبه الصفير · وتقف اناث كلاب البحر غير المستأنسة فى مراكز تحيط بالاماكن التى يسبح فيها الذكور ، لتحذيرها من أى خطر قادم ، كما نجد أن زعيم أو قائد أى قطيع من القردة – فى الغابة – هو الذى يتولى حراستها · فاذا رأى خطـرا ، أخذ يصدر أصواتا حادة لانذار رفاقه !

ومن مظاهر التعاون وتبادل الخدمات بين الحيـوانات ، ان القردة « يفلى » بعضها رؤوس بعض للتخلص من الحشرات !·· ولا يقدم بعض الحيوانات المفترسة – كالذئاب – على الصيد الا جماعات ، ليعاون بعضها بعضا فى التغلب على العدو !·· كذلك نجد أن طائر « البليكان » – الشبيه بالبجع المصرى – لا يهاجم الاسماك ويقتات عليها الا فى جماعات !

وقصص النمل والنحل ونظامهما معروفة · أما قطعان البقر والجاموس الوحشى – التى تعيش فى أمريكا الشمالية – فانها لا تكاد تحس بالخطر ، حتى يبادر الذكور الى الانتظام فى حلقة

واسعة ، يجعلون الاناث والعجول الصغيرة فى وسطها !

وقال « بريهم » لداروين انه رأى مرة نسرا يهـاجم قردا صغيرا ، ولكن القرد تشبث بالاغصان ، فلم يسـتطع النسر اختطافه والطيران به . ثم أخذ القرد يصرخ ، فأسرعت القردة الاخرى وتربصت للنسر حتى أمسكت به وراحت تنتف ريشه. واستطاع بعد جهد أن يفلت منها ويبادر بالفرار !

اخلاص القرد .. لأخيه الانسان !

◆ **وروى** داروين عدة أمثلة ـ مستقاة من مشاهداته وتجارب زملائه العلماء ـ عن اخلاص الحيوان للانسان . منها ان سيدة كانت تملك كلبا صغيرا عرف بالجبن . وكان الكلب راقدا على فخذيها يوما ، فتظاهر رجل بأنه سيضربها ، واذا بالكلب الجبان يقفز فورا ويبتعد عن الرجل والسيدة ، فى أول الامر .. ولكنه حين رأى الرجل ماضيا فى ضرب السيدة ، تقدم وجعل يلعق وجه السيدة ، ويقوم بحركات يعبر بها عن تعزيته لها عن هذه « العلقة الساخنة » !

وبينما كان أحد حراس حدائق الحيوان بلندن يركع على الارض فى قفص القرود ـ يوما ـ اذا بقرد من نوع « البابون » ينقض عليه وينشب مخالبه وأسنانه فى قفاه ، حتى كاد يقضى عليه . وكان فى القفص قرد صغير آخر ، صديق للحارس ، فلم يفكر فى صغر حجمه وضعف قوته ، بل أسرع الى القرد الكبير وجعل يحوم حوله ويصرخ صرخات مزعجة .. ضايقته ، فتحول اليه .. وهكذا عرض القرد الصغير حياته للخطر ليمكن الحارس من النجاة !

وكثير من الحيـوانات يتصف بضبط النفس . **فالكلب المستأنس لا يسرق ما أمامه من طعام ، مهما يكن شهيا مغريا ومهما تكن درجة جوعه ، الا اذا منحه اياه سيده !**

ومن الطريف فى حياة الحيوانات انها تذعن لزعيمها عندما

تتخذ لها زعيما . فاذا هاجم قطيع من النسانيس حديقة لنهب ثمارها - كما حدث مرة فى الحبشة - فان أفراده تقوم بالعملية فى هدوء وصمت ، مقلدة زعيمها فى كل ما يفعل . واذا احدث قرد صغير ضجة ، بادرت القردة الاخرى الى ضربه ليلزم الصمت ، حتى لا يتنبه الحراس !

قانون الوراثة

• **ويحدثنا** « داروين » فى هذا الكتاب عن «قانون الوراثة»، الذى أراد أن يبرر به عدة أشياء ، منها أن الاولاد الذين يولدون والزوج قوى شاب، يكونون أصح عادة من الاولاد الذين ينجبهم وهو شيخ عليل . وقد غالى « داروين » فى ذلك ، فقال ان بعض الآباء او الامهات يتعرضون لحالة خاصة او مرض عنيف فى سن معينة .. ومن ثم فان بعض أبنائهم يتأثرون - اذا ما بلغوا هذه السن - بما حدث للأب أو الأم !.. ومن تفصيلات هذا القانون أيضا ، ان الانسان - او الحيوان - يولد ثم يعيش وله شكل قد يختلف عن شكل والديه او لونهما ، ولكنه يشبه جدا أو جدة ، أو عمة أو عما أو خالا . ومعنى هذا ان قانون الوراثة قد يختفى فى جيل ولكنه لابد ظاهر فى الجيل الذى يعقبه ، كما يحدث عندما تضع دجاجة سوداء بيضا لقحه ديك أسود ، ولكن « الكتاكيت » تخرج أنواعا ، منها ما يكون أسود - مثل الاب والام - ومنها ما يتخلل سواده بياض موروث عن الجد او الجدة ، ومنها ما هو أبيض تماما ، وهكذا .. وقد يكون فيها ريش اصفر اللون موروث عن أحد آباء أو أجداد الجد . ولهذا يتغير لون بعض الطيور مرتين او ثلاث مرات فى الجيل الواحد من أجيالها

السلوك الجنسى وأثره الوراثى فى الحيوان !

• **وتزداد** الانثى قوة عن الذكر فى بعض الحيوانات . ومن

الطرائف التى يرويها «داروين» ان أناث بعض أنواع العنكبوت أقوى من ذكورها بسبب طريقة « الغزل العنكبوتى » ٠ ففى بعض الاحيان ، يحاول الذكر الاقتراب من الانثى فلا تسمح له ، بل انها تقتله اذا تمكنت منه ٠ ولكنه يفاجئها أحيـــانا فيصعد فوق ظهرها ٠ فاذا استطاع ذلك استكانت له ، اعترافا بأنه غلبها ! ومن هنـــا توارثت اناث العنكبوت القـوة وكبر الجسم حتى أصبحت تتميز بها عن الذكر !

ومن الامثلة العكسية ان الســـاق اليسرى ـ أو اليمنى ـ الامامية عند بعض الحيوانات القشرية ، أقوى وأكبر من السيقان الاخرى ، لأن الذكر يمسك بها الانثى فى ساعات الغزل وما بعده ٠ وقد أدى استخدامها على هذا الشكل ـ على مر القرون ـ الى أن امتازت على السيقان الاخرى بالقوة والطول ٠ ومثلهـا الساعد الايمن عند الانسان !

كذلك نجد أن تقاتل الذكور من أجل الاناث ، حتى يفـوز الغالب ، قد أدى الى أن أصبح الذكور أقوى وأكبر جسما من الاناث فى كثير من الحيوانات والطيور ، كما هو شـأن الديكة بالنسبة للدجاج !

ومن أعجب ما أثبتته تجارب « داروين » ان الفك عند بعض ذكور الحشرات أقوى من فك الاناث ، لأن الذكر يقبض بهـا على الانثى فى أثنـــاء العمليات الجنسية ! وكـذلك يفسر لنا « داروين » كبر حجم أجسام الاناث فى بعض الحشرات بتفسير معقول ، هو انها ـ دون الذكر طبعا ـ تحمل عـددا كبيرا من البويضات !

الحيوانات تعرف الغزل ٠٠ والشهامة !

◆ **ويروى** « داروين » عن السير « ج ٠ ليبوك » ـ العـــالم الانجليزى المشهور ـ ان اناث الحيـــوانات وذكورها تتبادل المداعبة والملاعبة قبل الجماع ٠وهو يروى لنا ـ فى هذا الصدد ـ

حادثا لذكر أصغر من الانثى ، فيقول : « جعل الذكر يجرى هنا وهناك حول الانثى ٠٠ وكان كل منهما يحاول عض الآخر او دفعه ٠٠ وأخذا يتقدمان ويتأخران وهما واقفان وجها لوجه، ثم تظاهرت الانثى بانها تفر ، فانطلق الذكر وراءها متظاهرا بالغضب ٠٠ وعاد يقف أمامها ويواجهها مرة أخرى ، فأخذت تدور ببطء وخجل حول نفسها ، ثم أقبلا يتلاعبان بأرجلهما الدقيقة ، وكأنهما يتعانقان ! »

ومن أعجب الامور أن أنثى الحيوان تعجب بالذكر الشجاع الجرىء الذى يعرض شجاعته على طريقة رعاة البقر المعروفة فى الأفلام !٠٠ فيقول العالم « فابر » ، فى وصف حشرة تشبه الزنبور (الدبور) ، ان الذكور تتشاجر من أجل الانثى ، بينما تقف هذه غير مكترثة وهى تشاهد الصراع من أجلها ، الى أن يتغلب أحد الذكور ، فتطير معه فى سكون وطاعة ، ودون تردد !٠٠ ومن الغريب انها تلازمه ويلازمها بعد ذلك، فاذا غاب عنها زمنا ورجع ، عادت اليه فورا لانها تستطيع أن تعرفه وتميزه عن غيره !

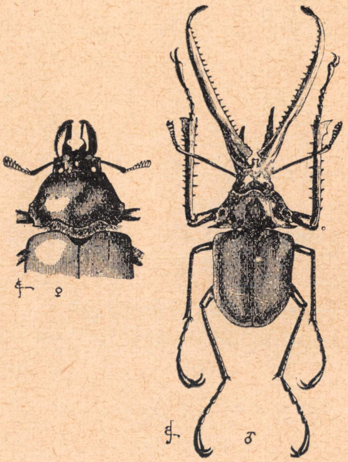
الخيانة الزوجية والغيرة ٠٠ عند الخنافس !

◆ **ولذكور** الخنافس قرون للتطاحن ولالزام الاناث بالطاعة والخضوع ٠٠ وقد تساعد الانثى ذكرها فى مقاتلة الذكر الذى يحاول الاعتداء عليها واختطافها منه ٠ وغالبا ما تدفع «الزوج» من الخلف لكى يذود عنها ٠ أما اذا كانت الانثى لعوبا ، وخرقت قواعد الاخلاق ، وتخلت عن « الزوج » الى « العشيق » ، فان الزوج يغضب غضبا شديدا ويحاول الفتك بغريمه !٠٠ واذا حدث العكس ـ اى اذا اتخذ الذكر « خليلة » ـ فان « الزوجة » قد تنتحر !

وفى الذكر والانثى ـ من بعض الحشرات ـ أعضاء موسيقية، يستخدمها كل منهما لاصدار أصوات خاصة تعتبر بمثابة دعوة

للجنس الآخر عند الحاجة !

ويحاول «داروين» أن يثبت أن الذكور من الحيوانات غالبا ما تكون أجمل وأقوى من الاناث ، وهو يبرر ذلك بأن الاناث - في مختلف الأجيال - كانت تفضل ذوى الجمال والقوة على سواهم ، فكان نسلها يمتاز بهاتين الصفتين • ولهذا نجد الذكر من الفراش أجمل بوجه عام من الانثى • كما أن ألوان الفراش الذى يطير نهارا أجلى وأبهى من ألوان الفراش الذى تعود الطيران ليلا ، لان الاول يستعمل جماله فى التقرب الى الانثى !



ذكر وأنثى الخنفساء ، ويبدو الذكر فى الصورة مسلحا بقرنين ، بينما الانثى مجردة من أى سلاح

« الدون جوانية » ••

وتعدد الزوجات لدى السمك !

• **وليست** كل هذه المشاهدات مقصورة على الحيوانات الارضية ، بل انها تشاهد أيضا فى السمك والزواحف • ففى ظهر بعض ذكور السمك اجزاء تساعدها على الامساك بالانثى •• وقد يتضامن الذكور احيانا للحصول على الانثى ! •• **ومن الناحية الاخرى نرى ان الذكر فى بعض أنواع السمك يؤثر تعدد الزوجات ، ويتصف بالجرأة والقحة ، بينما تكون الانثى هادئة مستكينة فى الغالب !**

كذلك أوتى الذكر من « السالمون » فكين أقوى وأوسع من فكى الانثى ، حتى يتمكن من الاطباق عليها عندما يريد لنفسه نسلا ! •• أما كبر حجم الاناث عن الذكور أحيانا ، فيرجع الى

انها تحمل عددا كبيرا من البويضات . كما نجد ان زعانف الذكور - فى بعض أنواع السمك - أقوى من زعانف الاناث ، لأن الذكور يتقاتلون دائما من أجل الانثى ، فلا يفوز بها الا الأقوى !

ومن الغريب ان ذكور بعض أنواع السمك تتيه - كالحيوانات الاخرى - بجمالها وقوتها أمام الاناث فى فترة الغزل . أما اذا تلازم ذكر وانثى وأصبحا زوجين ، فان الانثى تحرص على أن لا تضع بيضها الا أمام « زوجها » ليلقحه ، كما ان « الزوج » لا يلقح البويضات الا اذا كانت الانثى التى يحبها موجودة أمامه!

ويبنى الزوجان من بعض أنواع السمك ما يشبه العش أو البيت الصغير ، فاذا لقح الذكر بويضات أنثاه ، وضعها فى هذا « البيت » ومكث معها الى أن تفقس وتكبر الصغار وتصبح قادرة على السباحة وحماية نفسها . وهناك أنواع من السمك ترقد على البويضات - مثل الدجاج وغيره من الطيور - الى أن يتم الفقس . وفى أجسام بعض أنواع اخرى ، جيوب توضع فيها البويضات الى أن يتم فقسها !

عندما يفقد ذكر السحالى .. ذيله !

◆ **واذا** كان الصوت واللون هما سلاحا الحب والاغراء عند ذكور بعض الحيوانات ، فان الرائحة العطرية هى الاداة التى يستهوى بها ذكور حيوانات أخرى اناثها !.. فالتمساح - مثلا - يفرز رائحة تشبه المسك لاغراء انثاه على الاستسلام له ، كما أن فى ذيول ذكور بعض الثعابين عقدا أو كرات عطرية تستخدم للغرض ذاته . ومن عادة الثعابين أن يأتلف الذكر والانثى اذا طالت المعاشرة بينهما ، ويظل كل منهما للآخر وحده .. كأى زوجين وفيين من البشر !.. ولبعض الثعابين أجهزة صوتية خافتة تستخدم لدعوة الجنس الآخر !

وتمتاز الذكور دون الاناث - في بعض أنواع السحالي -

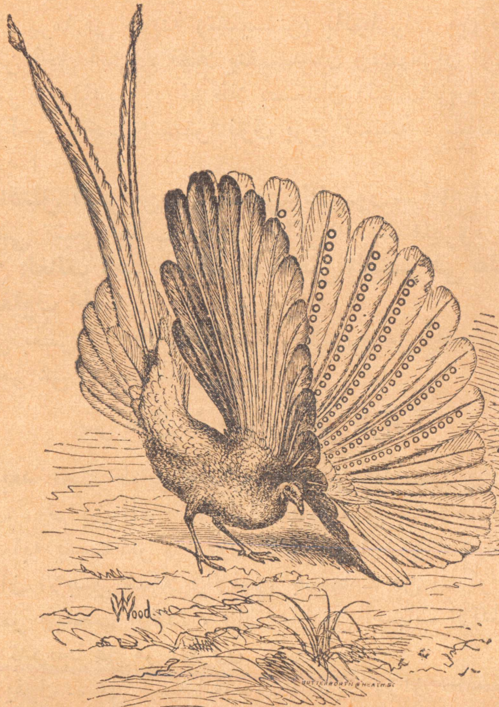
بجيوب ملونة تحت أعناقها ، تنتفخ كالمروحة ، وتزهو ألوانها في موسم الغزل والتآلف ٠ وتقوم معارك حامية بين ذكور كثير من أنواع السحالى ، فى ذلك الموسم ، من أجل الاناث !

٠٠ ولذكور بعض السحالى التى تعيش فى أمريكا الجنوبية قرون ، فلا يكاد يلتقى ذكران فى فصل الربيع وأوائل الصيف، حتى يدور بينهما الصراع ٠٠ « وما أن يرى كل منهما الآخر ، حتى يهز رأسه الى تحت وفوق ثلاث أو أربع مرات ، بينما ينتفخ الجيب الذى تحت عنقه ، وتتألق عيناه غضبا ٠٠ وبعد ان يهز كل منهما ذيله لبضع ثوان ، يندفع نحو الآخر بكل قوته ٠ ويشتبك الاثنان ويروحان يتمرغان وقد عض كل منهما على ذيل الآخر بأسنانه ٠٠ والخاسر من فقد ذيله ! »

رقصة الحب والحرب ٠٠ عند ديوك المانيا !

◆ **وتأخذ** أكثر أنواع الطيور بنظام تعدد الزوجات ٠٠ ولا يكاد يحين فصل التناسل حتى تبدأ بين الذكور معارك رهيبة ٠ وقد قال العالم الروسى الدكتور « و ٠ كوفالفسكى » لداروين - عن ديوك البطاح الجليدية فى روسيا - ان آثار الدم تبدو واضحة أحيانا على الثلج من جراء هذا العراك ٠ أما « بريهم » - العالم الالمانى - فقد روى لداروين أن فى المانيا ديكة تسمى « الديوك السوداء » ، ما أن يجتمع أكثر من ذكر أمام أنثى واحدة منها ، حتى ترقص الذكور رقصة ترمز الى الحب والحرب ٠٠ الحب للانثى ، والحرب لأى غريم من الجنس الآخر ٠٠ ويرفع الديك الاسود ذيله ، ثم ينشر ريشه - كما يفعل الطاووس - ويرفع رأسه وعنقه وقد انتصب ريشهما ، ويبسط جناحيه الى نهايتهما وكأنهما درعان ٠٠ ولا يلبث ان يقفز قفزات سريعة عنيفة ، ولكنها قليلة العدد ٠٠ وقد تتخذ هذه القفزات أحيانا شكل دائرة ٠٠ ويصر على أسنانه ، فيتصلب الجزء الأسفل من منقاره الذى يضرب به الارض حتى

يتساقط ريش الذقن !٠٠ وفى أثناء ذلك يضرب جسمه بجناحيه ثم يدور حول نفسه ، حتى يصبح منظره رهيبا ، وكأنه مجنون فقد السمع والبصر ٠٠ وتبدأ المعركة بعد ذلك بين الذكور !



طائر يشبه الطاووس ، وقد فرد احد جناحيه ورفع ذيله ، ليكشف عن فتنته وجماله لأنثاه !

أنثى الطيور تفضل الجميل ٠٠ ولو كان مغلوبا !

◆ **أما** الطاووس والديكة الاسترالية ـ التى تشبهه فى ألوان ريشها ـ فانها أشبه بالعاشق الماجن منها بالديك المحارب ٠ ومع ذلك فان قتالها عنيف اذا استدعت المنافسة قتالا ٠ وقد ثار القتال يوما فى مدينة (تشيستر) بانجلترا ، بين طاووسين ذكرين من أجل أنثى ، فظلا يتقدمان ويتقهقران الى أن طافا بأكثر شوارع المدينة ٠ ثم ظلا يصعدان المبانى ويطيران من مكان الى آخر ، حتى استقرا فوق برج كنيسة « سانت جون » فى المدينة !

واذا اقتتل أكثر من ذكر ـ من الطيور ـ أمام أنثى ، فان هذه الانثى تتبع الغالب عادة ٠ ولكن الديك المهزوم قد يكون أجمل من الغالب أحيانا ، فتترك الانثى المنتصر فى هذه الحالة، وتتبع المغلوب الجميل !

ويبنى بعض أنواع الطيور عشا للافراخ على أغصان الشجر، وعشا آخر على الارض للغزل !!

سر تفوق الرجل ٠٠ على المرأة !

◆ **وبعد** بحث طويل مشابه لهذا عن الذكور والاناث بين الزواحف ، ثم بين القردة العليا ، ينتقل بنا « داروين » الى بحث مشابه يثبت أثر « قانون الانتخاب الجنسى » عند الانسان ٠٠ أى أن الاجمل شكلا والاقوى جسما ـ من الذكور ـ هو الذى يعمر وينجب أولادا ، وان هذا من أسباب ارتقاء شكل الانسان تدريجا على مر القرون

وهو يقول ـ على ضوء القانون السابق ـ ان تطاحن الذكور من أجل الاناث عند بنى الانسان ، جعل الرجل أقوى من المرأة عضلا وأضخم جسما بوجه عام ٠٠ فى حين أنه جعل المرأة ألطف بشرة وأنصع لونا وأجمل شكلا من الرجل !

على أن كثيرا من ميزات التطور فى الانسان تتصل بالأعضاء التناسلية . فنجد أن أكثر خواص الرجل لا تظهر فيه الا بعد سن البلوغ ، حين يخشوشن صوته ، ويبدأ فى الاهتمام بالمرأة .. ولكن هذا التطور يقف عند الخصيان الذين يحرمون من أعضائهم التناسلية قبل البلوغ ، فلا تكون لهم رجولة وخشونة الرجل السليم الأعضاء ، كما أن أصواتهم تكون رقيقة رفيعة

ولقد كان الرجل فى الشعوب الهمجية يقاتل أخاه الرجل من أجل المرأة ، ويتبارى معه فى الرقص وفنون الحرب أمامها . وقد ظلت هذه العادة فى الانسان بعد تحضره ، وان أخذت أشكالا أخرى !

كانت للمرأة .. لحية !

◆ **على** أن الانسان ، بتقدمه وفنونه وعلمه ، أصبح ينشد فى المرأة التى يبتغيها زوجة ، صفات خاصة تروق له ، وأهمها الجاذبية والجمال . على أن المرأة لا تختلف عن الرجل فى هذا الامر ، اذ هى تبحث عن أجمل الرجال وأغناهم ، ثم تسعى الى أن توقعه فى حبائلها ، بأن تبدى له صنوف فتنتها !

ومن أطرف آراء « داروين » ان اللحى كانت موجودة – فى الغالب – لدى المرأة والرجل على السواء عند بدء الخليقة ، ولكن المرأة كانت تنتزع شعر جسمها ولحيتها أولا بأول – كى تتجمل للذكر – حتى ضعفت منابت هذا الشعر فانقرض !

الانسان .. ذلك الحيوان المجهول !

◆ **وقد** ختم « داروين » كتابه أجمل ختام ، اذ اعترف بأن كثيرا من آرائه قد يكون غير دقيق ، أو قد يثبت بعده عن الصحة فى المستقبل ، لأن العلم فى تطور ونمو مستمرين .. ولكنه أجمل خلاصة رأيه فى النهاية ، فقال أن الانسان سليل حيوان مجهول الشكل ، شبيه بالقرود الكبرى أو العليا ، وان

الأدلة التى ترجح هذا ، تتمثل فى وجود شبه كبير بين جنين الانسان وجنين حيوانات ثديية أخرى مثل القرد والكلب !

ثم وصف « داروين » ذلك الحيوان المجهول الذى انحدر منه الانسان ـ فى رأيه ـ فقال ان الشعر كان يكسو جسمه ، وانه كان ذا ذيل ، وكان يسير على أربع ، ثم استطاع السير على رجلين فقط ، كما يفعل الشمبانزى وغيره من القرود الراقية . ويحتمل انه كان لا يأكل غير النباتات فى أول الأمر . وانه ـ كالحيوانات الاخرى ـ انحدر من حيوانات مائية !

ووفقا لقانونى « البقاء للأصلح » و « الانتخاب الجنسى » ، لم يكن يحظى بالبقاء من أجداد الانسان ، سوى الاقوياء ذوى الجمال .. وهم الذين كانوا يستهوون الاناث ، وينجبون منهن ذرية قوية جميلة ، متطورة .. بينما أخذ الضعاف والضعفاء فى الانقراض على مر العصور !

نظرية « داروين » .. بين الدين والسياسة !

◆ على أن رجال الدين يأخذون عليه أنه غفل عن يد الخالق فى كل هذه التطورات ، وحاول جهد الطاقة أن يثبت انها تطورات طبيعية ، حدثت لأسباب خاصة بالبيئة ، أو لسبب استخدام عضو من أعضاء الجسم واهمال آخر ، أو لاختيار الانثى أجمل الذكور وأقواهم كى تسلمه نفسها !

الا أن رجال الدين عجزوا ـ رغم ذلك ـ عن أن يجدوا فى كتب « داروين » كلمة تنكر وجود الله .. فكل ما أخذوه عليه هو أنه لم يذكر يد الله فى خلق الانواع والاشياء ، وانه ادعى ان الانسان متسلسل من القردة وما قبلها من الحيوانات ، بدلا من أن يؤمن بأن الانسان خلق خلقا خاصا لغرض خاص هو تعمير الدنيا ، كما تقول الكتب السماوية !

وكانت حجة « داروين » فى اتجاهه هذا ، هى أن الكتب المقدسة لم تفسر كيف تسلسلت المخلوقات من كائنات دقيقة ،

ذات خلية واحدة ، الى الانسان ذى العقل الجبـــار الذى ذلل الطبيعة واستغل مواردها !

وكان من أثر آراء « داروين » هذه ، ان سادت الغرب – فى القرن التاسع عشر – موجة عجيبة من الالحاد ، تعزو كل ما نراه من حياة وأحياء الى التطور الطبيعى !

كذلك ظهرت – فى تلك الأثناء – مذاهب سياسية خاصة ، كان من مصلحتها القضاء على سلطان رجال الدين الذين كانوا يسيطرون على مقاليد الحكم فى الدول الاوربية، ومن ثم استغلوا تلك الآراء فى ترويج الالحاد وفكرة التطور الطبيعى خــدمة لأغراضهم !

على أن العلم الحــديث ما لبث أن اهتــدى الى أن وراء نظام الكون وما يخضع له من حياة ، عقلا هائلا منظما انشائيا ، هو الخالق !.. ومع ان آراء «داروين» عن الانسان الاول وجدت ما يعـززها فيما اكتشف من هياكل عظمية قديمة ، ترجع الى أبعد حقب التاريخ ، الا أن « الحلقة » بين الانسان والقـرد ما زالت « مفقودة » . وما زالت نظرية الكتب المقدسة التى تقرر ان الله خلق الانسان على شكل خاص ، هى النظرية السائدة !

حدث ذات يوم



من قصص التاريخ ومآسيه

عزيزى القارىء :

فى هذا الباب ، قرأت معى فى الاعداد السابقة ، القصص الآتية على التوالى :
فضيحة « كارولين » ملكة انجلترا
عشيقة نابليون (مارى فالفسكا)
امرأة وملك (مدام دى مانتون)
تيبريوس « قيصر روما »
الحب أقوى من الموت
لوكريشيا بورجيا
نيرون : الطاغية السفاح
ليدى هاملتون
مارى انطوانيت
مصرع القيصرية فى روسيا
بولين بونابرت : ملكة الغواية
مأساة ملك بافاريا
الحب والجريمة تحت سماء فلورنسا
غرام الاميرة اليزابيث تيودور
ديزيريه : خطيبة نابليون
أوليمبيا : والدة الاسكندر
بيرينيس : ملكة فلسطين
تيودورا : الراقصة الامبراطورة
« سانوهى » أو (المصرى)
كريستين : ملكة السويد
رمسيس الثانى
مارى ستيوارت
مرجريت فهمى
وهاك اليوم سيرة داهية الدعاية السياسية فى العالم أجمع :


GŒBBELS
PAR
CURT RIESS

الرجل الذى تنبأ له « هتلر » بالخلود !

◆ حصل لك « كتابى » أخيرا على نسخة من كتاب رائع وضع عن شخصية من أخطر الشخصيات التى قامت عليها عظمة العهد النازى فى ألمانيا ، والتى لعبت دورا من الادوار الرئيسية فى الحرب العالمية الاخيرة .. الشخصية التى قال هتلر لصاحبها يوما على مسمع من الملأ : « ان اسمك لن يمحى من تاريخ العالم ! » .. وفعلا ، لم يمح اسم « بول جوزيف جوبلز » من التاريخ ، حتى اليوم - على الاقل - فها هوذا كتاب يصدر عن سيرته بعد احد عشر عاما من انتحاره !

ولقد تولى « جوبلز » اخراج الفصل الأول من مأساة العهد النازى .. كما أخرج الفصل الأخير فى حياة هتلر . وهنا يسرد لنا المؤلف - « كيرت رييس » - تفصيلات المأساة كما استقاها من أهل جوبلز نفسه وأقرب أعوانه اليه .. ومن مذكرات جوبلز نفسه !

ماض نظيف .. وعاهة تثير السخرية !

◆ **كان** وزير الدعاية يجلس فى مخبأ بداره ، أثنـــاء غارة جوية عنيفة على برلين - فى ربيع سنة ١٩٤٥ وقبيل سقوط الحكم النازى بأسابيع قلائل - حين أخرج صورة مصفرة قديمة قدمها لزملائه .. فاذا بها تمثل « بول جوزيف جوبلز » فى سن الخامسة ، وقد ارتدى بزة من المخمل الأسود ، تزينهـا ياقة عريضة من « الدانتللا » البيضاء . وكان طفلا نحيلا ، ذا رأس كبير جدا بالنسبة الى جسمه ، وعينين كبيرتين تنمان عن رزانة وأسى !

كان « جوبلز » - حتى تلك السن - طفلا عاديا ، لا بأس به .. ولكنه أصيب فى سن السابعة بالتهاب فى النخاع ، تطلب اجـــراء جراحة فى فخذه ، مما أدى الى حـــدوث انكماش فى الساق اليسرى لا يقل عن عشرة سنتيمترات ، فظلت بعد ذلك هزيلة ضعيفة . ومنذ ذلك الحين ، اعتاد أن يلبس فى قدمـــه

اليسرى حذاء خاصا يخفى عاهته . وقد كانت هذه العاهة مثار سخرية من زملائه ، حين لم تكن السخرية من «جوبلز» تنطوى على خطر ما ! **فكان «اريك كوخ» يشبهه بتاليران الذى كان يعرج فى مشيه .. وكان هـذا التشبيه ينطوى على غمز ، اذ أن « تاليران » خان جميع الحكام الذين عمل فى خدمتهم !**

على أن «جوبلز» لم يتحدث يوما عن سر عاهته الى أحد من أقرب زملائه الذين كانوا يحيطون به .. بل انه لم يأتمن أحدا على قصة ماضيه ، ومن ثم كانت دهشتهم بالغة حين عرض عليهم صورته وهو طفل ! .. والواقع أنه لم يكن فى حياته ما يدعو الى التكتم ، فهو لم يعرف الفقر المزرى كما عرفه هتلر ، ولا الانكباب على الملذات مثل جـورنج ، ولا كانت له ذنوب وجرائم الكثيرين من الزعماء النازيين !

طفل شرس .. يعبد أمه !

• **ولد** جوبلز فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٩٦ فى (ريت) ــ وهى بلدة صناعية صغيرة تقع فى حوض نهر (الرين) ــ لأب كان مديرا لمصنع صغير للنسيج يدعى « فريتز جوبلز » ، وأم تدعى « ماريا كاتارينا » .. وكانت الأسرة فقيرة ، ولكن فقرها لم يكن مدقعا ، اذ كانت تمتلك المنزل الذى تقيم فيه ، والذى كان يتألف من طابقين .

وامتازت طفولة جوبلز بالوحدة .. فقد كان أخواه يضطهدانه ــ اذ كانا يكبرانه ــ ولم يكن فى وسعه أن يجارى أقرانه فى اللعب ، نظرا لعاهته .. **وقد حفزه شعوره بالنقص على أن يضمر الشر للناس ، وعلى أن يسعى الى أن يتفوق على زملائه فى الذكاء . ومن ثم أتيح له أن يزهو عليهم وأن يهزأ بهم ، فلم يلبث أن اشتهر بالشراسة ، والمشاكسة ، والصلابة !**

واذ مات أبوه ــ فى طفولته ــ فقد الصبى مصـــدرا كبيرا للعطف ، فلم يبق له سوى اشفاق أمه التى كانت ترثى لعاهته .

ومن ثم وجه كل حبه اليها ، حتى كاد يعبدها !

ولقد كان من المحتمل أن يغدو جوبلز عاملا بالمصنع الذى كان أبوه مديرا له ، لولا أن عاهته وضعف صحته حالا دون صلاحيته للعمل ، فأيقنت أمه أن الله لم يبتله بعاهته تلك إلا لأنه كان أذكى من أن يقضى عمره عاملا فى مصنع !.. ومن ثم عملت على أن يحظى بتعليم واف ، فعكف الصبى على دراسة اللغتين اللاتينية واليونانية وآدابهما ، وشغف بقصص البطولة والمغامرات التى لم يكن فى وسعه قط أن يخوض مثلها لعجزه الجسمانى !

يفوته الاشتراك فى الحرب .. فيبكى !

◆ **وكان** جوبلز فى الثامنة عشرة من عمره ، حين قامت الحرب العالمية الأولى ، فشاء أن يحذو حذو رفاقه ، بأن يتوجه الى مكتب التطوع .. واذا بالجميع يحظون بشرف الجندية الا هو ، نظرا لعاهته ، فعاد الى داره مخذولا ، كسير النفس ، وأوصد باب حجرته على نفسه ثم راح يبكى . وعبثا ناشدته أمه أن يسمح لها بالدخول !.. وقضى الليل بطوله فى بكاء وحسرة نتيجة هذه التجربة الأليمة ، وان كان لهذه التجربة الفضل فى اتجاهه الى الدراسات الجامعية !.. على أنه لم يكن يستمر فى أية جامعة أكثر من ستة أشهر ، حتى أنه تنقل بين ثمانى جامعات فى خمس سنوات ، مما أتاح له أن يدرس الفلسفة ، والتاريخ ، والأدب ، وتاريخ الأدب والفن . ومع أن قليلين من أقرانه ألموا بكل هذه الدراسات ، الا أنه كان يرى أنه كسول ، لأنه لم يحصل على مزيد من الدراسات فى تلك المدة !

وكانت هزيمة ألمانيا في الحرب صدمة لجوبلز ، زاد من قسوتها أن القادة والساسة الذين كان يتطلع اليهم كأبطال ، غدوا مجرمى حرب .. **وما لبث الشبان الذين سرحوا من**

الجندية أن تدفقوا على الجامعات ، وقد فقد بعضهم أطرافا ، أو عادوا بوجوه مشوهة !٠٠ وانقلبت الجامعات الى منتديات سياسية ، انقسم فيها الطلاب بين مختلف الأحزاب والشيع ٠٠ فكان الوطنيون والمحافظون يتطلعون الى اعادة الامبراطور والى اشعال نار حرب جديدة انتقاما للشرف الألمانى ٠٠ أما المتطرفون ، فكانوا يرمقون فى اهتمام التجربة التى كانت تجرى فى روسيا : قيام الحكم الشيوعى !

وكان الشك يملأ قلوب الشباب ازاء الزعماء والساسة ، بينما كان الشعب يئن من المجاعة والتضخم المالى ٠٠ وكان من جراء انهيار قيمة العملة الألمانية ان اشتدت الفاقة بأسرة جوبلز ، وباقى الأسر التى فى مستواها !

الحب الأول ٠٠ يلازمه حتى النهاية !

◆ **وفى** غمرة الفقر والاضطراب السياسى ، قدر لجوبلز – وهو يعد رسالة الدكتوراه فى سنة ١٩٢٢ – أن يلتقى بفتاة أحلامه !٠٠ كانت زميلة له فى جامعة (فريبورج) ، شقراء ، ناعمة الشعر والبشرة ، تفيض حنانا ورقة ٠ وتدله فى هواها، حتى انه كان يهيم على وجهه فى الشوارع ليلا ، وهو حزين مكتئب ، اذ كانت الفوارق بينهما شاسعة ٠٠ كانت « آنكا هيلهورن » نجما متألقا فى الجامعة ، بينما كان هو منزويا – لعاهته – خجولا لفقره ، كسير النفس لأنه لم يكن يجد ما يفاخر به غيره من الشبان ، من ذكريات الحرب !

وقد قدر لجوبلز أن يلتقى بآنكا ثانية – فى سنة ١٩٣٤ – وكانت قد تزوجت وطلقت من زوجها ، وأصبحت فى حاجة الى عمل ترتزق منه ، فساعدها على أن تعمل فى صحيفة نسائية ٠٠ وعندما أفلست الصحيفة ، عينها فى عمل آخر ٠

ولقد أحب جوبلز ثلاث مرات فى حياته ، ولكن هوى « آنكا » – وهو هواه الأول – ظل يلازمه حتى نهاية حياته ٠٠ أو

بالأحرى ، ظل الأسى والألم اللذان خلفهما هذا الغرام يلازمانه حتى انتحر بعد حوالى ٢٢ عاما !

العضو رقم ٨٧٦٢ فى الحزب النازى !

• **وكانت** ألمانيا كما قلنا بوتقة راحت تغلى فيها الآراء السياسية المتحمسة ، التى كانت تهدف كلها الى الثأر للكرامة القومية بعد أن مرغت فى تراب السياسة الدولية ، بعد هزيمة ألمانيا . وكان من جراء هذا ، أن أصبح كل صاحب رأى يؤلف لنفسه حزبا . وراحت هذه الاحزاب تتبارى فى السعى لاسترداد مجد ألمانيا ، اللهم الا الحزب الشيوعى الذى لم يكن يدين اذ ذاك بالولاء الا للمجلس الشيوعى الدولى .. « الكومنترن » !

وقرأ « جوبلز » كل ما كتب عن الشيوعية والفلسفات السياسية الأخرى ، فلم تزده هذه الفلسفات الا حيرة . على أنه — رغم ذلك — لم يكن يشعر بأى حقد عنصرى ، اللهم الا نحو اليهود ، اذ آمن بما آمن به شباب الجامعات الألمانية اذ ذاك ، من أن اليهود كانوا سبب نكبة ألمانيا !

وكانت (ميونيخ) فى تلك الحقبة مركزا للحركات الوطنية ، ولمنظمات الشباب العسكريه ، فأخذ « جوبلز » يتردد عليها خلال سنة ١٩٢٢ ، ويحرص على ارتياد الأوساط الثورية فيها . وحدث ذات مرة أن استمع الى هتلر وهو يخطب — وكان « هتلر » قد شرع اذ ذاك فى تأليف الحزب القومى الاشتراكى للعمال (النازى) — ولم يدر جوبلز ما اذا كان الخطيب أشقر أو أسمر ، مرسل اللحية أو حليقها .. **فقد بهرته حماسة الرجل ، وأخذ بحديثه وبالروح الوطنية التى تجلت فى لهجته ، وسحرته بلاغته !.. وفيما كان جوبلز ينصرف من قاعة الاجتماع ، وجد على منضدة قريبة من الباب أوراق التطوع فى الحزب ، فلم يتردد فى أن يسجل اسمه وعنوانه فى احداها !**

وكان أول رقم له فى الحزب النازى هو ٨٧٦٢ .. ولكنه لم يلبث بعد سنوات أن أصبح فى المرتبة الثانية - فى الحزب - بعد هتلر !

الصراع مع الفرنسيين من أجل (الرور)

• **وكان** الحلفاء قد انتزعوا من ألمانيا منطقة (الرور) الغنية بالصناعة ، وجردوها من السلاح ، لتبقى حاجزا بين ألمانيا وفرنسا . وكأنما لم يكفهم هذا ، فلم يلبثوا أن سمحوا لقوات من بلجيكا وفرنسا باحتلال المنطقة ، زيادة فى تعزيز سلامة فرنسا !.. ولكن هذا الاحتلال أثار ثائرة الشباب الألمانى المتحفز ، فكثرت حوادث الاصطدام والاشتباك بينه وبين الجنود الفرنسيين . وكان ذوو القمصان السوداء (أعضاء الحزب الجديد) من أشد المتحمسين فى هذا الصراع

وكان جوبلز قد رجع الى (ريت) فى تلك الأثناء ، بيد أنه لم يكد يسمع بقيام هذه الحركة ، حتى بادر بالرحيل الى منطقة (الرور) لينضم الى انتامرين فى مدينة (ايلبرفيلد) .

ولكن عاهته وضعفه جعلاه مجرد مراقب للصراع وليس عضوا عاملا فيه . وكان أقصى ما فعله أن كون خلايا نازية فى المنطقة غير المحتلة من (الراين) ، وفى أوساط الطلبة .

وفى تلك الآونة ، وقع حادث كان له دوى دولى .. فقد وقع فى أيدى الفرنسيين زعيم من قادة الشباب المجاهدين يدعى « البيرت شلاجتر » ، وحوكم ، فاعترف بأن رجال الصناعة الألمانية - وعلى رأسهم كروب - كانوا وراء هذه الحوادث ، بغية تحرير ألمانيا والعودة الى تسليحها من جديد .

وأدت هذه الاعترافات الى خوف رجال المال والصناعة ، فامتنعوا عن مساعدة الحركة الفدائية ، كما حرمت الحكومة الألمانية كل مقاومة ايجابية !

ولكن جوبلز - كأمثاله ممن كانوا متقدى الحماس - استمر

يحرض الطلبة على التطوع لأعمال الفداء ٠٠ بل كان يعقد اجتماعات سرية فى كل مساء !

هتلر يدعو الى محاربة اليهود ٠٠ والشيوعيين !

◆ **على** أن معدة جوبلز ظلت فى هذه الأثناء خاوية ، اذ كان معدما يعيش على كرم أصدقائه ، الى أن اتخذه «فيجرزهاوس»، عضو مجلس الريشستاغ ، سكرتيرا له ، مقابل مائة مارك فى الشهر ٠ وما لبث الاثنان أن أصدرا مجلة اسمها «حرية الشعب»، كانت اشتراكية متطرفة ، وان لم تحرص كثيرا على أن تكون على وفاق مع الحزب « النازى » الذى كان قد تفكك أثناء سجن هتلر بعد ادانته فى محاكمة (شلاجتر) ٠ كذلك انهمك جوبلز فى تلك الفترة فى القاء محاضرات فى « حزب الشعب الحر » ، هاجم فيها الأحزاب المتقاعسة ، ومنها « النازى » ٠ ولمح جوبلز ذات مساء « جريجور شتراسر » ــ الذى تولى التوجيه السياسى للنازى أثناء سجن هتلر ــ بين مستمعى محاضرته ٠٠ وكان يبدو هادئا ، باسما ، ولكن مظهره كان يخفي نفسا تضطرم حماسة ونشاطا ٠٠ وأنصت « شتراسر » لحملة جوبلز فى صبر ، فلما انتهى من المحاضرة ، قال له ضاحكا : « انك تحسن الكلام ، فلعلنا نعمل يوما معا ! » ٠٠ **ولم يطل ارتقاب هذا اليوم ، فقد أفرج عن هتلر بعد أسبوع ــ في يناير ١٩٢٤ ــ فنشط الحزب للعمل ، واختير شتراسر لتنظيم الحملات الانتخابية النازية في شمال ألمانيا وغربها ، فأنشأ دارا للدعاية في برلين ، واتخذ جوبلز سكرتيرا له !**

وكانت لشتراسر آراء متطرفة ، فبدأ ينظم مع جوبلز سلسلة من المقالات والخطب عن ضرورة نزع أملاك أمراء الأسرة المالكة وكبار الملاك ٠ وكان هدفهما من وراء ذلك ارضاء الطبقات التي خرجت معوزة من الحرب ٠ ولكن هتلر نصحهما ــ فى سنة ١٩٢٦ ــ بالعدول عن هذه الحملات المتطرفة ، حتى لايبدو

للرأى العام أن النازية تقلد الشيوعية فى اتجاهاتها . وقد خرج جوبلز من الاجتماع الذى أعرب فيه هتلر عن هذا الرأى، ليكتب فى مذكراته : « لقد اشتدت حيرتى اليوم وأنا أستمع اليه .. فمن هو هتلر ؟ هل هو رجعى ؟ انه يريد أن تكون مهمتنا أن ندمر الشيوعية ، ويريد أن يقنعنا بأن الشيوعية من خلق اليهود ، فيجب أن نحارب الشيوعية واليهود !.. انه يريد أن يضحى بروسيا من أجل كبار الملاك والماليين ! » .. ومن الطريف أنه كان قد كتب عن هتلر فى ٦ نوفمبر سنة ١٩٢٥ قائلا : « ان هذا الرجل سائر الى أن يكون ملكا .. ديكتاتور المستقبل !»

الشيوعيون يضربون النازيين .. بعد محاضرة لجوبلز !

◆ **وكان** جوبلز مرنا فى الأيام التالية ، فسار بدون تساؤل فى الطريق الجديدة التى رسمها هتلر .. طريق محاربة الشيوعية واليهود . ثم ألقى خطابا فى اجتماع نازى شهده هتلر ، فكان هذا الخطاب فاصلا فى تقرير مصيره . اذ لم يكد ينتهى من الخطاب حتى عانقه هتلر والدموع تترقرق فى عينيه ..

وارتفعت أسهم جوبلز فى الحزب النازى ، كما ارتفع مرتبه ، وسرعان ما تأثر تفكيره ، فلم تعد تساوره الحيرة التى كانت تتبدى فى مذكراته . وبعد أن كان يقول من هو هتلر ، قال فى ٢٠ ابريل من ذلك العام : « **ان هتلر فى السابعة والثلاثين من عمره فقط .. اننى أحبه لأنه عظيم وبسيط . وهما علامتان من علامات العبقرية !** »

وأشرف جوبلز على الدعاية للحزب فى برلين ، وعلى ادارة منظماته فى العاصمة الألمانية ، فاستأجر فى ١١ فبراير ١٩٢٧ صالة كبيرة - كان الشيوعيون يعقدون اجتماعاتهم عادة فيها - ليلقى خطابا فى جمع حاشد من النازيين . ولكن

بعض الشيوعيين تسللوا الى الداخل فأحدثوا شغبا ، كما احتشدت جموعهم فى الخارج تنتظر النازيين الذين تحدوهم واستولوا على قاعتهم . وماكاد جوبلز وأعوانه يخرجون ، حتى تلقاهم الشيوعيون بالضرب ! ولكن هذه الضجة أفادت الحزب النازى ، اذ انضم اليه فى خلال الأيام الثلاثة التالية ٣١٠٠ شاب ، فى برلين وحدها !

ورأى جوبلز أن للشيوعيين صحفا ومجلات ، فى حين انه لم يكن يملك صحيفة يكتب فيها آراءه ، ولم يكن الحزب يملك ورقا ولا مطبعة ولا مكاتب للتحرير ، ومن ثم تعاقد باسم الحزب مع ناشر كان مثقلا بالديون .. وابتاع الحزب دارالنشر على أن يسدد ديون صاحبها على أقساط تدفع من ثمن بيع الصحيفة التى تقرر اصدارها

وفى ٢ يوليو سنة ١٩٢٧ ، ظهرت أول صحيفة نازية ، وكانت تسمى « انجريف » ، أى « الهجوم » .. وسارت الصحيفة محطمة كل الصعاب المالية !

«هندبرج» يرشح هتلر مديرا للبريد !

◆ **وفى** ٢٠ مايو ١٩٢٨ بدأت حملة الانتخابات . وكان فى برنامج الحزب النازى بند يطالب باعادة تسليح ألمانيا وانشاء أسطول جديد لها . وفى ١٤ سبتمبر بدأت عملية الاقتراع . وتولى جوبلز الدعاية للمرشحين النازيين فى أنحاء ألمانيا ، ففازوا فوزا عظيما . وكان مجموع الأصوات التى نالها الحزب فى ألمانيا كلها ٦٫٤٠٠٫٠٠٠ صوت !

ومع أن النازيين لم يكونوا قد أصبحوا بعد أكثرية فى مجلس الريشستاغ ، الا أن الماريشال « هندنبرج » ـ بطل الحرب العالمية الأولى ورئيس الجمهورية اذ ذاك ـ استدعى « هتلر ليسأله رأيه بصدد انشاء وزارة ائتلافية . وبعد أن خرج هتلر من الاجتماع ، سأل رجال القصر « هندنبرج » عن رأيه

فيه ، فقال : «**انه لا يصلح فى نظرى الا رئيسا لادارة البريد!**»

ولكن الأموال كانت قد بدأت تتدفق على الحزب النازى من رجال الأعمال وأصحاب المصانع ، اذ بدا لكل عين مجربة أن المستقبل الباهر ينتظر هذا الحزب !

الغرام رقم (٢) !

• **وفى** تلك الأيام ، عاد « كيوبيد » يسدد سهامه الى قلب جوبلز مرة أخرى ٠٠ وكان قد نسى انطواءه القديم وخجله من عاهته ، وأصبح نجما لامعا فى أفق المستقبل

وكانت فاتنته الجديدة تدعى « ماجدا » ٠٠ شابة شقراء ، ثرية ، جميلة ، نشأت بين أبوين غير موفقين فى زواجهما ٠٠ وكأنما انعكس عدم توفيقهما على حياتها هى ، فتزوجت وطلقت مرتين !٠٠ وكانت قد عرفت جوبلز عن بعد ، فأعجبت به ٠ **وكان الحزب النازى اذ ذاك ـ فى سنة ١٩٢٩ ـ قد أصبح « موضة » تستهوى سيدات الطبقة الراقية !٠٠ ومن ثم أخذت تتردد على المركز العام للحزب ، وتستمع الى خطب جوبلز ، فكلفت به** ٠ وفى ذات يوم ، كانت فى المركز العام ، فغازلها موظف صغير ، واذا بها تصفعه ٠ وثار الضجيج الى درجة استلفتت انتباه جوبلز ، فدعاها الى مكتبه وسألها عما حدث ٠٠ وما كادت تنتهى من قصتها ، حتى اعتذر لها ، وقد أحس بشىء يجذبه اليها !٠٠ ولم تكن « ماجدا » بالساذجة الغريرة ، فأدركت معنى البريق الذى ظهر فى عينيه ، ومن ثم أخذت تتردد على جوبلز بين الحين والآخر !

وكانا يتحدثان ـ فى أول الأمر ـ فى السياسة ، ثم رأى جوبلز نفسه منساقا الى أن يثق بها ثقة لا حد لها ، فأفضى اليها بأسراره الشخصية ، وجعل يبوح لها بما لم يكن يبوح به لانسان ما ٠٠ وتوثقت الصلات بينهما ، حتى كثر لقاؤهما ٠ وكان من الممكن أن تصبح « ماجدا » خليلة لجوبلز لو أرادت ، ولكنها أحجمت !

ثم عادت اليه عقدته النفسية القديمة ٠٠ شعوره بالنقص وانطواؤه !٠٠ فكان يقطع الحديث مع ماجدا ويغادر غرفة مكتبه، فلا يعود الا بعد أن تمل الانتظار فتنصرف !٠٠ كانت شيئا لم يتعوده ، فقد اجتمع لها الثراء ، والمركز الاجتماعى العالى، والجاذبية والسحر !٠٠ أما هو فكان يطل على دخيلة نفسه فيحس أنه أعرج ، من أسرة متواضعة فقيرة ، لم يصل الى ما وصل اليه الا لأن الحظ خدمه ٠٠ وكانت هذه المقارنة تثبط عزيمته ، رغم رغبته الشديدة فى أن يجمعهما سقف واحد ، وأن تصبح أما لأولاد ينجبهم منها !

ولكن كلفه بها كان فى ازدياد مستمر ، فلم يتمالك نفسه يوما ، واعترف بأنه يحبها وانه يرغب فى الزواج منها ٠٠ ولم يزد جوابها على أن قالت : انها ستستشير !

وأسرعت (ماجدا) الى أبويها بوجه مشرق بالأمل ، وهى تحلم بالأيام السعيدة المقبلة ٠٠ أيام المجد التى تصطف فيها الملايين أينما سارت ليحيوا زوجة الزعيم الكبير !

ولكن أمها تقبلت النبأ فى وجوم ! وما لبثت أن قالت لها ان جوبلز لم يكن يكسب سوى ٩٠٠ مارك فى الشهر ـ ٤٠٠ من الحزب كزعيم لمنطقة برلين ، و٥٠٠ من الدولة كعضو فى الريشستاغ ـ بينما كانت أجرة مسكن المطلقة الحسناء لا تقل عن ٥٠٠ مارك فى الشهر الواحد !٠٠ وأردفت الأم قائلة : « واذن فلن يبقى لكما من الدخل سوى ٤٠٠ مارك ، فكيف تعيشان بهذا المبلغ الضئيل ؟»٠٠فأجابت ماجدا بأنها تستطيع أن تصبر الى أن يصبح لجوبلز منصب رفيع ومقام عال فى البلاد ٠ وبعد جدال طويل ، خرجت ماجدا على طاعة والديها ، وقررت أن تتزوج من جوبلز ٠ وبالفعل تم الزواج فى نهاية سنة ١٩٣١ ٠٠ وكان هتلر وصيف الشرف لجوبلز !

صراع ٠٠ فى سبيل الحكم !

• وفى ١٣ يونيو ١٩٣٢ ، صـــدر قرار جديد بحـــل

الريشستاغ . وبدأ جوبلز يحرك ادارة الدعاية الحزبية مرة أخرى . وكان يقول لأعوانه : « يجب أن لا نترك العمل دقيقة واحدة .. بل يجب أن نعمل ونحن واقفون ، ونحن سائرون على أقدامنا فى الطريق ، ونحن نقود السيارات ، أو نركب الطائرات ! »

وحدث أن زار بلدته وموطنه الأصلى (ريت) - فى تلك الفترة - ولكن نفوذ الشيوعيين كان يسودها ، فنظموا له أسوأ استقبال ، اذ رجموه بالطوب وكالوا له الشتائم .. واضطر الى أن يخرج من بلدته طريدا ، بينما كان يظن أنه سيدخلها دخول القادة الظافرين !

وفى ٣١ يوليو أجريت الانتخابات ، ففاز النازيون بمائتين وعشرة من المقاعد ، والديمقراطيون بمائة وثلاثة وثلاثين مقعدا ، والشيوعيون بتسعة وثمانين . وهكذا لم يظفر الحزب النازى بالاغلبية المطلقة التى كان ينشدها !

وكان « فون بابن » - الثعلب الماكر الذى عاصر عدة عهود دون أن تزل قدمه - رئيسا للوزارة ، فراح جوبلز يهاجمه ويهاجم حكومته ، كما هاجم النبلاء من أبناء طائفته ، ليتقرب الى طبقة العمال وينتزعها من الشيوعيين . وكانت حملات مستميتة ، اذ كان الحزب قد أنفق أموالا طائلة فى الانتخابات ، واقترض ١٥ مليونا من الماركات ، جعلت مجموع ديونه ٧٠ مليونا .. فكان لا بد له من الحكم ، ليتولى مقاليد البلاد المالية والسياسية ، ولتمتلىء خزائنه بالمال !

وكان من جراء اشتداد حملة النازيين ، أن استقال « فون بابن » ، فتولى الجنرال « كيرت فون شليخر » رئاسة الوزارة ، وكان مكافحا سياسيا أصلب عودا من سلفه وأشد جرأة .. وكان قد تآمر مع هتلر ضد « بابن » ، فلما استولى على الحكم ، اعتزم أن يتخلص من هتلر !

وصادف فى تلك الأثناء أن كان الشقاق قد دب فى صفوف

الحزب النازى ، فلم تنقض أربع وعشرون ساعة على تولى « شليخر » الحكم حتى فقد الحزب ٤٠ في المائة من أنصاره ، وأصبح مهددا بكارثة . وفى هذا الظرف العصيب ، انشق « شتراسر » على الحزب ، وكان الرأس الثانى بعد هتلر !

ولو أن « شتراسر » جمع أنصاره داخل الحزب — عندما اشتد الخلاف — لانتصر فى ذلك الحين على هتلر ، أو ألزمه باتباع سياسة معقولة تنطوى على مهادنة لشليخر .. ولو أن هذا حدث لما تطور النازيون التطور الذى جعلهم يسيطرون على ألمانيا ، ويقلبون تاريخ أوربا رأسا على عقب ، ويغرقون العالم فى بحار من الدماء !

فقد رأى « جوبلز » — بعد هذا الانشقاق — أن الحزب فى حاجة الى « ضربة » دعاية قوية ، فانتهز قيام انتخابات محلية فى ولاية (ليبه) لم تأبه لهـا الأحزاب الأخرى — لصغر الولاية — وحشد كل ما كان الحزب يملكه من أدوات الدعاية .. وكان أن أحرز المرشحون النازيون نصرا ساحقا يقرب من الاجماع ، فاستغل جوبلز هذا النصر فى حملة دعاية للحزب لم يسبق لها مثيل فى ألمانيا من قبل .

وكانت « ماجدا » فى المستشفى — فى تلك الأثناء — صريعة مرض شديد ، فكان جوبلز يقتسم وقته بين الدعاية للحزب ، والحديث التليفونى الطويل مع زوجته الحبيبة !

الحكم .. فى أيدى النازيين !

◆ **واشتدت** حملة النازيين على الوزارة — اثر ذلك — وتنوعت وسائلها ، فاستقال رئيس الوزارة فى ٢٨ يناير ١٩٢٣ . وبعد يومين استقبل رئيس الجمهورية هتلر مرةأخرى .. وفى هذه المرة ، كلفه بتأليف الوزارة !

وفى الليلة نفسها ، ظهر المنافقون وأصحاب الحاجات ، وانضم كثيرون من خصوم النازية اليها !.. ومر أمام قصر

المستشارية (رئاسة الوزارة) مئات الألوف وهم يرددون النشيد النازى . وكتب جوبلز فى مذكراته – فى تلك الليلة – يقول : « **ان الرايخ الجديد قد ولد . وان جهاد أربع عشرة سنة قد كلل بالنجاح والنصر وسنصل الى هدفنا دون ريب .. لقد بدأت الثورة الألمانية !** »

وفى اليوم التالى ، أقيم عرض نازى عسكرى استمر الى ما يقرب من الفجر . وبدىء فى تأليف فرق نازية مسلحة خاصة بالحزب ، تكون حمى له اذا انقلب الجيش عليه !

وكانت برلين قبل ذلك للألمان بجميع هيئاتهم وأحزابهم .. ولكنها – منذ تلك الليلة – رفعت الأعلام النازية .. وشهدت أوربا بأسرها بزوغ عهد جديد ، كان له أثر كبير فى تغيير مجرى التاريخ .. تاريخ العالم كله !

واشتد تآلف هتلر وجوبلز ، فكتب هذا فى مذكراته يوم ٢٧ فبراير ١٩٣٣ يقول : « فى الساعة التاسعة مساء ، جاء الفوهرر لتناول العشاء عندى . وسمعنا قليلا من الموسيقى وتحدثنا . وفجأة ، دق جرس التليفون ، واذا بنبأ يقول ان الريشستاغ يحترق . وبعد عدة محادثات تليفونية تأكدت من النبأ .. وكان الحريق هائلا ، فأبلغت الفوهرر . ونزلنا بسرعة الى المدينة ، فوجدنا اللهب يلتهم البناء كله . وقابلنا جورنج ثم جاء فون بابن بعد ذلك . وقد ثبت أنه حريق متعمد ! »

ثم زعم جوبلز بعد ذلك – فى دعايته – أن الشيوعيين هم الذين أحرقوا الريشستاغ كمحاولة أخيرة لاغتصاب السلطة وسط الفوضى والذعر والارهاب . ولكن الشيوعيين اتهموا بدورهم النازيين ، قائلين انهم مدبرو الحريق تنفيذا لمؤامرة مبيتة .

وفى الأيام القليلة التالية ، أوقف جورنج صدور جميع الصحف الشيوعية والديمقراطية ، وأخطر الحرس النازى

ليكون على أهبة الاستعداد لكل طارىء ٠ وتوجه جوبلز مع الفوهرر الى مكتب التحرير فى صحيفة «فولكيشه بيوباختر»، حيث شرعا فى تأليف المقالات الافتتاحية عن الحادث والعقوبات التى يستحقها كل منهم ٠٠ بينما كان جورنج يدير حملة لاعتقال المئات من أعداء النازية ٠٠ كان كل شىء معدا بعناية ودقة !٠٠ وراح جوبلز وأعوانه يطالبون باعدام الزعماء المعارضين للنازية ، ولكن هندنبرج رفض ، وطلب أن تكون المحاكمة علنية !

برلين تحتفل بتعيين جوبلز وزيرا للدعاية !

◆ **وفى** شهر مارس ١٩٣٣ ، بدأ نجم جوبلز يعلو فى الأفق ٠ وتحققت آمال « ماجدا » وأحلامها ٠٠ **فقد أصدر هتلر قرارا بتعيين جوبلز وزيرا للدعاية ٠٠ وكأن عصاسحرية مست برلين ، فتحولت فى ساعات قليلة الى مدينة ترفل فى أبهى زينة ، وكأنها فى عيد ٠٠ وأرسلت ألوف البرقيات الى هتلر والزعماء النازيين الآخرين للتهنئة !**

وأصبح جوبلز رفيقا لا يفارق هتلر ٠٠ وانتقلت وزارة الدعاية الى قصر فى مواجهة قصر المستشارية ، وقسمت الى خمسة أقسام : السينما ، والصحافة ، والنشر ، والمسرح ، والاذاعة ٠٠ ولم تنقض ثلاثة أشهر حتى كانت الوزارة الناشئة تضم أكثر من ٣٠٠ موظف فنى وادارى كبير ، و ٥٠٠ موظف عادى ، فضلا عن مندوبيها ورسلها فى الخارج ، وفى محطات الاذاعة ، و « ستديوهات » السينما !

وفى العام نفسه عقد أول مؤتمر شعبى ضخم للحزب النازى بنورمبرج ٠٠ وقد أنفق النازيون على هذا المؤتمر أموالا طائلة، وأطعموا الجماهير وسقوها الخمر بسخاء ٠ وقد دلت الاحصاءات الرسمية النازية على أن أعضاء المؤتمر ومدعويه استهلكوا خلال أيام المؤتمر ١٫٢٠٠٫٠٠٠ رطل من الخبز ، و ١٠٠٫٠٠٠

رطل من الزبد ، و٠٠٠ر٥٥ رطل من الجبن ، و٠٠٠ر٢٢٠ رطل من الخضر ، و٠٠٠ر٢٠ رطل من لحم الخنزير ، و٠٠٠ر١١٠رطل من البن ، و٠٠٠ر٢٨ رطل من السجق ، و٠٠٠ر٣٨٠ رطل من لحم الماشية ، و٠٠٠ر٥٠٠ر٢ سيجارة و ٠٠٠ر٤٥٠ سيجار

واتسع نطاق وزارة الدعاية بعد هذا ٠ ووجهت اذاعات خاصة للولايات المتحدة الامريكية فى سنة ١٩٣٣ ، ولجنوب أفريقيا وأمريكا الجنوبية فى سنة ١٩٣٤ ، ولآسيا وأمريكا الوسطى فى سنة ١٩٣٥ ٠٠

هتلر ٠٠ رئيس الدولة والحاكم بأمره !

◆ **مرت** السنوات بين ١٩٣٣ و١٩٣٦ هادئة ، ولكن هتلر كان يتسلح سرا ٠٠ وبدأت ديكتاتورية « الفوهرر » تشتد وتستفحل ٠٠ فلما خرج عليه « روهم » وبعض القدامى من زعماء الحزب – فى ٣٠ يونيو ١٩٣٤ – قتل الأول بيده ، ونفى وسجن الآخرين !٠٠ وأصدرت وزارة الدعاية بلاغا تقول فيه ان «روهم» كان خائنا ، وان هتلر فاجأه فى داره وهو فى وضع مريب مع شاب جميل الخلقة !٠٠ وبعد هذا التشويه لسمعة الرجل ، زعمت الوزارة أنه حوكم أمام محكمة عسكرية ، فحكمت باعدامه !

وفى الساعة التاسعة من مساء ١٢ أغسطس سنة ١٩٣٤ ، سرت فى برلين أنباء جعلت النشاط يدب فى الجهاز الحكومى بأسره خلال الساعات التى تبقت من تلك الليلة ٠٠ فقد مات هندنبرج ، بطل معارك الشرق والغرب فى الحرب العالمية الأولى ، ورئيس الجمهورية الألمانية !

وما كان موت هندنبرج بالحادث الشاذ ، فقد مات كما يموت كل حى على الأرض ٠٠ وانما كانت أهميته فى أنه أزال آخر عقبة كانت تحول دون استيلاء هتلر وأعوانه على زمام الأمر فى البلاد !

وكان معروفا أن هنـــدنبرج أوصي بأن يدفن فى أملاكه الزراعية ، ولكن جوبلز أسرع الى اذاعة نبأ غريب ، اذ قال ان الرجل ترك وصية أخرى طلب فيها أن يدفن فى مكان قصى .. فى بروسيا الشرقية ، ليكون على مقربة من ساحة معركة (تاننبرج) الكبرى ، التى حطم فيها مقاومة الروس منــــذ سنين !

ولم تنقض على الوفاة ساعات قليلة حتى أقسم الجيش يمين الولاء لهتلر ، بعد أن أذيع أن هندنبرج ذكره فى الوصية الثانية ــ المزورة ! ــ كأجدر رجل لتولى رئاسة الدولة بعده !

وبعد اثنى عشر يوما من الدفن ، أذيع أن فون بابن كان موضع ثقة هندنبرج ، وأن هذا سلمه قبل موته نسخة من وصيته الشرعية ، وقد حملها الى (برختسجادن) وسلمها الى هتلر ، تعزيزا للنسخة التى سبق أن أذاعتها وزارة الدعاية .. وكانت النسخة التى قدمها فون بابن مطابقة بالفعل لتلك التى نشرها جوبلز .. ولكن الاثنتين كانتا مزورتين !

وهكذا اشترى « فون بابن » عطف النازية ، بتحالفه مع هتلر !

ألمانيا تحطم القيود التى كبلها بها الحلفاء !

◆ **وما** لبثت ألمانيا أن أحست بقوتها بعد أن أمعنت فى التسلح سرا .. كانت تريد استرداد مركزها كدولة كبرى فى أوربا ، ولكن فرنسا كانت العدو الوحيـــد الذى وقف فى طريقها . ومن ثم شرع جوبلز فى نقل أهداف حملاته من الداخل الى الخارج ، فراح يهاجم فرنسا علنا !.. **وكانت معاهدة فرساى تحرم على ألمانيا التسلح والتجنيد الاجبارى . ولكن هتلر ضرب بالمعاهدة عرض الحائط ــ بعد أن تم له التسلح سرا ــ فأعلن التجنيد . واجتمع ممثلو الحلفـاء فى (ستريزا) بايطاليا للاحتجاج ، ولكن الانجليز لم يلبثوا أن**

غدروا بزملائهم وساوموا الألمان من وراء الظهور ، ثم عقدوا معهم معاهدة أباحوا لهم فيها التسلح ، فى مقابل تعهد ألمانيا بأن لا يزيد أسطولها الجديد فى أى يوم على ٣٥ فى المائة من مجموع حمولة الأسطول البريطانى !

وبدأ هتلر يعمل غير حافل بشىء ٠٠ وجوبلز يعد اخراجا فنيا لاعلان أنباء هذا العمل !

ففى الساعة السابعة من مساء ١٦ مارس سنة ١٩٣٥ ، دعى الصحفيون الأجانب فى برلين والصحفيون الألمان الى وزارة الدعاية ، حيث ألقى جوبلز عليهم بيانا خطيرا ٠٠ فقد أمر هتلر بتشكيل جيش يتألف من ٣٦ فرقة !

وكانت الضربة الثانية بعد عام ٠٠ ففى الساعة السابعة من مساء ٦ مارس سنة ١٩٣٦ ، دعى موظفو وزارة الدعاية الى مكاتبهم ، وأغلقت دونهم أبواب الوزارة ، ومنعوا من أى اتصال بالخارج ، ثم عكفوا على العمل طيلة الليل ٠٠ ولم تحن الساعة الثامنة من الصباح التالى ، حتى كان كبار الصحفيين الألمان والمراسلين الأجانب قد خفوا تلبية لدعوة الوزارة ، وهم لا يدرون ما كان جوبلز يوشك أن يعلنه ٠ وتضاربت تنبؤاتهم : قال البعض انه سيعلن تدشين غواصة جبارة جديدة ، وقال بعض آخر انه سيدلى ببيان عن منطاد جديد ، مجهز بأجهزة سريعة !٠٠ **واحتشد الصحفيون فى قاعة قام على أبوابها الحرس الحديدى ، وقدمت لهم الشطائر ، ثم نقلوا فى سيارات الى المطار ، حيث أقلتهم طائرات الى كولونى وكوبلنتز وفرانكفورت ، ليشهدوا ٠٠ دخول الجيش الألمانى منطقة الراين التى كان الحلفاء قد حرموا ألمانيا منها ونزعوا سلاحها !**

وفى نهاية أغسطس سنة ١٩٣٦ ، أقام جوبلز حفلة عامة فى قصر كان قد اشتراه فى جزيرة وانسى ، حيث تقيم أغنى الأسرات الألمانية ٠٠ وكان بين المدعوين ألمان وفرنسيون

وانجليز وأمريكيون وايطاليون ، أقلتهم بواخر الى القصر ، حيث استقبلتهم « ماجدا » فى أبهى زينتها .. وقدمت الأطعمة والمشروبات بسخاء .. ثم انصرف الحضور الى الرقص على أنغام عدد من الفرق الموسيقية التى كانت تعزف بالتناوب ، الى ساعة متأخرة من الليل ..

وكان الاحتفال بمناسبة الدورة الأوليمبية . فقد كانت دورة سنة ١٩٣٦ تحت اشراف المانيا ، فعهد هتلر بشئونها الى جوبلز ، الذى حرص على أن يجعل منها فرصة لاثارة الحماس فى الداخل ، ولبهر أنظار العالم الخارجى .. وكان كل شىء قد أعد فى دقة ووفقا لخطة مرسومة ، حتى تفوز ألمانيا فى أكبر عدد من الألعاب .. كما دبر جوبلز الأمر بحيث تتجلى للزائرين الأجانب عظمة ألمانيا فى كل شىء !

مفاجأتان قاسيتان .. لوزير الدعاية !

◆ **وفى** ٣٠ أكتوبر ، أقام جوبلز حفلة أخرى فى قصر الرياضة ببرلين .. وكان قد انقضى على وصوله الى برلين عشر سنوات كاملة .. جاءها فقيرا مغمورا ، فاذا به قد أصبح واحدا من أقوى شخصيات ألمانيا .. بل والعالم !.. ووقف جوبلز يروى ما مر به فى السنوات العشر .. وكان هتلر يستمع للخطاب خلال المذياع ـ وهو فى قصر المستشارية ـ فما لبث أن هتف به : « هيا .. أرنا مفاجأة جديدة يا دكتور ! » .. ولكن المفاجأة كانت من جانب هتلر نفسه ، اذ لم تنقض خمس عشرة دقيقة حتى كان يقف الى جوار جوبلز ، ويقول ـ على مسمع من الجميع ـ فى حرارة : « **لولاك ياعزيزى الدكتور ما قدر لى أن أسيطر على برلين .. ولولاك ما وصلت فى تنظيم الدعاية الى الذروة .. لن يمحى اسمك قط ياعزيزى جوبلز من تاريخ ألمانيا !** »

ولكن القدر كان يخبىء لهتلر ـ ولجوبلز بوجه خاص ـ

مفاجأة أقوى ٠٠ وأقسى ! ففى نوفمبر سنة ١٩٣٦ ، منح الكاتب الألمانى كارل اوسيبيتزكى جائزة نوبل ٠٠ **وتمثلت الصدمة التى هزت جوبلز فى أن « أوسيبيتزكى » كان فى المعتقل مع عشرات من المعارضين للنازية ، الذين اتهموا بالخيانة وشوهت سمعتهم عقب حريق الريشستاغ ٠٠ وكان ذنبه انه عارض الروح العسكرية والتسلح ، وقد لقى فى معتقله من صنوف العذاب ما جعله فريسة للسل !**

وتلت المفاجأة الأولى مفاجأة أخرى ، جاءت نتيجة خطأ ارتكبه جوبلز ٠٠ اذ قرر شن حملة اضطهاد على الكنيسة الكاثوليكية ، وأدت هذه الحملة – فى ٣٠ ابريل سنة ١٩٣٧ – الى اعتقال عدة آلاف من رجال الدين بتهمة الشذوذ الجنسى ! ٠٠ وعلى الرغم من كل ما آثاره جوبلز من ضجيج ، فان هذه الخطوة جعلت ملايين من الألمان يبدأون فى الارتياب فى صدق البيانات التى كانت الحكومة النازية تروجها بينهم ٠٠ ومنذ ذلك الحين ، بدأ النفوذ الشعبى لجوبلز فى الانحدار ، وان ظل نفوذه الرسمى فى صعود ، كما أصبح يعيش فى ترف ونعيم ما كان ليحلم بهما !

هتلر ٠٠ رسول الصلح بين جوبلز وزوجته !

• **وما** كان سلطان جوبلز على السينما ليجنبه الاحتكاك بكواكبها ٠٠ ولا كانت حياة الترف لتمنعه من أن يعجب بالحسان من ممثلاتها ٠٠ ولا كانت براعته فى نسج ستر الدعاية لتفلح فى اخفاء هذا الاعجاب عن الناس !٠٠ ولكن ، هل انطوى هذا الاعجاب على حب حقيقى ؟٠٠ ان بعض المقربين اليه يؤكدون أنه فى الواقع كان مجرد انتقام لما كان يعانيه – أو لما عاناه فى الماضى – من مركب النقص بسبب عاهته ٠٠ **على أن جوبلز ما كان ليدفع بنساء بعيدات عن الفن الى أوج الشهرة دون ما ثمن !**

ذلك ان « ماجدا » لم تلبث - بعد عامين من زفافها الى جوبلز - ان اكتشفت انه لم يكن الزوج الوفى الذى حسبته ! ٠٠ وكان أولى ثوراتهـا على عبثه يوم تبينت علاقته باحدى الكونتات ٠ ولقد أنجبت له ماجدا ثلاثة أطفال بين سنتى ١٩٣٢ و١٩٣٥ ، وعندما وضعت الثالث ، قالت لمن حولها انها واثقة من أن جوبلز سيطلقها لو أنها أنجبت طفلا رابعا ! ٠٠وكان جواب جوبلز انها لا تستطيع أن تنجب بعد ذلك،لأنها « ذات طبيعة باردة » !٠٠ ومع ذلك فانها أنجبت له طفلة بعد عامين ، وأعقبتها بطفل فى العام التالى ، ثم بطفلة بعد عامين !

وكثرت المشاحنات بين الزوجين ٠٠ وكان هتلر رسـول الصلح والوئام دائما !٠٠ على أن ماجدا كانت لا تزال محتفظة بفتنتها ، فما لبثت أن رأت أن تجيب على سلوك زوجها بمثله، ومن ثم أحبت شابا نرويجيا جميلا ٠٠ وكاد جوبلز يجن غيرة، فلم يلبث أن قبل أن يقطع علاقاته النسوية فى مقابل أن تكف عن علاقتها بالشاب النرويجى !

موقف غرامى مشين !

◆ **على** أن حياة الزوجين لم تعرف الهدوء والوئام ، منذ تسللت الآنسة «س» الى قلب جوبلز !

كانت الآنسة «س» جميلة ، جذابة ، صغيرة الجسم ، ذات عينين نجلاوين ، ووجه ناحل تبدو عليه امارات العصبية ٠٠ وجه شاحب ، معبر ، ساعدها على أن تغدو من كواكب السينما الألمانية اللامعات !٠٠ وقد تحدث عنها جوبلز فى مذكراته ، ولكنه رفض أن يذكر اسمها ٠ ولعلها تكون من أكبر ممثلات العالم الآن ، ولهذا لم يكشف أحد الستار عن اسمها حتى اليوم !

قابلت «س» جوبلز فى صيف ١٩٣٧ ، فى حفلة صغيرة أقامتها « ماجدا » تكريما للممثلة ولزميل كان قد ظهر معها



فى أحد الأفلام ، وكانت «ماجدا» معجبة به ! ٠٠ **وهكذا شاء القدر أن تكون «ماجدا» هى التى تدفع الى جوبلز بغريمة أثارت فى قلبه حبا عميقا ، ترتبت عليه أكبر فضيحة غرامية فى معسكر زعماء النازية ٠ اذ لم تلبث « ماجدا » أن فاجأت العاشقين في سيارة الممثلة في وضع غير نظيف ، وفى ساعة متأخرا من الليل !**

وفى اليوم التالى كانت وزارة الدعاية كلها تسخر من جوبلز ، وتهمس بأن زوجته « ضبطته فى حالة تلبس » ! ٠٠ ولكن الوزير لم يحفل بشىء ، فقد كان سعيدا بغرامه ، وكانت الممثلة أسعد منه ، غير أنها كانت تريد أن يطلق زوجته وينبذ أولاده ، لتصبح هى زوجة وزير الدعاية فى ألمانيا ٠ وظلت تبدى له صنوف الفتنة الى أن اقتنع برأيها ، وبشرها بأنه سيبلغ زوجته هذا النبأ الخطير !

وذهب الى ماجدا فعلا ، وروى لها القصة كلها ، فلزمت الصمت ٠٠ ولم يطق جوبلز صبرا ، فغادر بيته ، وهو مؤمن بأن صمتها دليل موافقتها على الطلاق !٠٠ ومن ثم قضى أسبوعا بعيدا عن بيته ، يرتشف كؤوس الغرام مترعة ، فى فندق « كيزرهوف » القريب من وزارة الدعاية !

« ليس لصانع التاريخ أن يحيا على هواه ! »

◆ **ولكنه** لم يلبث ـ بعد هذا الأسبوع ـ أن أحس بحنين الى أولاده ، فذهب الى داره ٠ ودق جرس الباب فلم يجبه أحد ٠٠ وأخيرا خرجت اليه « ماجدا » تسأله عما يريد ٠

وخجل من نفسه ، فقال انه جاء ليرى أولاده ٠٠ وكان ردها أن أغلقت الباب ثم استدعت الأولاد وأخرجتهم له فى الشارع، فحدثهم قليلا وانصرف خشية أن يراه أحد فى هذا الموقف المزرى !

واستعدت ماجدا للطلاق ، وسرحت بعض الخدم ٠ واذ سمع جورنج بالقصة ، أسرع بنقلها الى هتلر الذى استدعى «ماجدا» ووعدها بأن يتكفل بتسوية الأمر كله ، على أن لا تسعى هى الى اتخاذ أى اجراء مما كانت تعتزم !

وبعد أيام دعا هتلر وزيره وحدثه فى الأمر غاضبا ،وراح يذكره بأولاده والأيام السعيدة التى قضاها مع أسرته ، ثم صاح فيه قائلا انه لا يسمح لوزير دعايته بأن يطلق زوجته ويترك أولاده من أجل ممثلة ! ٠٠ ولكن جوبلز كان مصرا على أن يتشبث بهواه ، ولو فقد الوزارة ٠ ومن ثم سأل هتلر أن يعفيه من منصبه ، وأن يبعث به الى طوكيو سفيرا ٠ بيدأن هذا الطلب لم يزد هتلر الا سخطا وهياجا ٠ وصاح اذ ذاك بجملته المأثورة : « **ليس لمن يصنع التاريخ الحق فى أن يحيا حياة خاصة يخفيها عن الناس خجلا !** » ٠٠ ثم ألزمه بأن يعود الى قصره ، وأن يقطع صلته بعشيقته !

وعندما تسلمت الممثلة رسالة « جوبلز » التى أخطرها فيها بانقضاء ما كان بينهما ، فقدت وعيها ، ولزمت الفراش أسابيع لم تكف خلالها عن البكاء ، وقد عافت نفسها الطعام ٠ ثم سحبت جميع أفلامها من العرض فى دور السينما ، وجمعت حقائبها ووضعتها فى سيارة ورحلت الى (براج) !

وبعد ستة أشهر — أى قبيل نشوب الحرب العالمية الثانية بوقت قصير — عادت « س » الى برلين ، اذ رأى منتج ألمانى أن يرد اليها شهرتها القديمة ٠٠ ولكن ماجدا عملت على ابعادها ثانية !

« اكذبوا وكرروا الكذب حتى يخاله الناس صدقا ! »

◆ **كانت** سماء برلين مكفهرة بغيوم الخـــريف فى أول سبتمبر سنة ١٩٣٩ ٠٠ ولكن سماء العالم كله كانت أشد اكفهرارا ، اذ تكاثفت فيها نذر الحرب !

ووقف « الفوهرر » فى الريشستاغ ـ فى ذلك اليوم ـ يقول : « **فى الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والاربعين من صباح اليوم ، ردت مدافعنا على مدافع البولنديين ٠وابتداء من اليوم لن نرد على القنابل الا بقنابل مثلها !** »

وكان العرق يتصبب من النواب لسكون الهواء وشدة الرطوبة وانزعاج الكثيرين منهم ٠٠ فقد شهد أكثرهم الحرب العالمية الأولى وهم شباب ، وذاقوا أهوالها وكوارثها ٠ أما جوبلز فكان يبدو عليه الشعور بالارتياح !

وفى ٣ سبتمبر ، أعلنت بريطانيا وفرنسا الحرب على ألمانيا ٠٠ وفى اليوم ذاته ، أصيبت سفينة بريطانيـــة للركاب بطوربيد أغرقها فى المحيط الأطلسى ، وهى فى طريقها الى أمريكا ٠٠ **ونفخ جوبلز فى أبواقه ، فتردد فى أرجاء العالم أن بريطانيا هى التى أغرقت سفينتها متعمدة ، لتقنع أمريكا بأن الغواصات الألمانية انطلقت تفسد مياه المحيط الأطلسى وتهدد السفن التجارية وركابها الآمنين !٠٠ واستمرت أبواق جوبلز تصدر نفس الأنغام أياما ٠٠ فقد كان وزير الدعاية لا يفتأ يقول لأعوانه : « اكذبوا ، وكرروا الكذب ، الى أن يخيل للناس جميعا انه الصدق ! »**

واشتد أوار الحرب ٠٠ واحتل هتلر فرنسا فى أسبوعين وأذلها ، ثم انتقل بالحرب الى شمال أفريقيا ٠٠ وجوبلزمنهمك فى حرب أخرى لم تكن أقل أهمية من قتال الأسلحة ، بل انها كانت أكثر نجاحا وتوفيقا ٠٠ تلك هى حرب الدعاية !

٠٠ حتى اذا ارتكب هتلر غلطته الكبرى ـ بغزوه روسيا ـ راح جوبلز يحيط الانتصارات بهالات من الخيال أبدت الألمان

فى صور أبطال الأساطير !٠٠ ثم حدثت النكسة ، وارتد الألمان على أعقابهم ، فأفلح جوبلز فى أن يرسم الهزائم انتصارات ، والتقهقر بطولة ! ولكنه لم يلبث أن اضطر الى مصارحة الشعب الألمانى بالحقيقة المرة ، اذ كان الجنود يموتون من قسوة البرد فى الجبهة الروسية ، وكان لا بد من أن يتبرع الشعب لهم بالأغطية والملابس الثقيلة !٠٠ وكان جوبلز أكثر اضطرارا الى الاعتراف بالحقيقة حين تحولت المقاومة الروسية الى غزو لألمانيا نفسها ، وحين انقلبت مطاردة الحلفاء لقوات رومل الى غزو لأوربا ، ثم زحف على برلين !

ولكن أحدا لم يكن يدرك الحقيقة كاملة سافرة ، قدر القادة الألمان الذين حاولوا أن ينصحوا « الفوهرر » فلم ينصت اليهم !٠٠ وقد قدر هؤلاء القادة مرارة النهاية المنتظرة،وقسوة الهزيمة ، فدبروا مؤامرة للتخلص من هتلر وطلب الصلح مع الحلفاء ٠٠ **وبالفعل انفجرت قنبلة تحت مائدة كان هتلر يدرس عليها الموقف مع بعض أعوانه ، ولكن الفوهرر لم يصب بغير جرح سطحي بسيط ٠ بيد أن المتآمرين لم يكونوا يتصورون امكان نجاة هتلر ، ولذلك لم يتريثوا حتى يتبينوا النتيجة ، بل انطلقوا يشيعون أن الزعيم قتل ٠ وتحركت قواتهم للاستيلاء على مقاليد السلطة ، ولكن الفرق الموالية للحكومة النازية كانت أقوى وأكثر ، فأحبطت المؤامرة ٠٠**

واعتقل « جوبلز » قائدا ذهب الى وزارة الدعاية ليستولى عليها باسم الثائرين !

وفى ٣٠ يناير سنة ١٩٤٥ ـ أى بعد اثنى عشر عاما من استيلاء النازيين على الحكم ـ عين هتلر صفيه الحميم « جوبلز » وزير الدعاية ٠٠ « مدافعا عن برلين » !٠٠ ولكن فى الساعة السابعة من صباح ٢٣ فبراير ، ألقيت قنبلة على دار وزارة الدعاية ، أصابت مكتب « المدافع عن برلين » مباشرة !

خاتمة المأساة !

◆ **على** أن هذا كله لم يكن ليغير من المصير المحتوم شيئا .. فقد انتهت المقاومة الألمانية ، واستبد اليأس بهتلر . وحاول بعض القادة والزعماء أن يزينوا له الالتجاء الى معقل منيع يدير منه حركة المقاومة من جديد ، ولكن « جوبلز » كان موقنا من أن النهاية قد حانت !.. ولعله — كوزير الدعاية الذى سلط الاضواء على هتلر يوم دخل برلين زعيما — رأى من واجبه أن يرسم بنفسه إخراج الفصل النهائى فى حياة الزعيم النازى .. وحياته هو . ومن ثم اصطحب زوجته وأولاده الى مخبأ هتلر ، وراح يقنعه بأن الانتحار أكرم .. فاقتنع هتلر !

وفى يوم ٢٨ ابريل ، جمع هتلر أعوانه وقال لهم ان من الأكرم لهم أن يموتوا بأيديهم ، حتى لا يعدمهم العدو أو يسجنهم .. ولكنه لم يشأ أن ينسى عشيقته « ايفا براون » فى هذا الظرف العصيب ، فقرر أن يكافئها عن وفائها له .. وكانت المكافأة أن يتزوجها رسميا قبل أن ينتحرا !

وبعد مراسم الزواج شبه الرسمية ، أقام هتلر حفلة استقبال قصيرة فى المخبأ ، فى ٣٠ ابريل ! .. ثم أوصى بأن تحرق جثته وجثة زوجته حتى لا يأخذهما الروس الى موسكو !

وفى نحو الساعة الثانية بعد الظهر ، خرج هتلر مع ايفا براون من خلوتهما ، ثم تناولا الغداء مع الزملاء .. حتى اذا نهضوا عن المائدة ، صافح هتلر الجميع مودعا ، ونظره شارد كأنه لا يرى أحدا أمامه .. ودخل مع «ايفا» الى مخدعهما الخاص . وبعد برهة ، سمعت فرقعة رصاصة ، فأسرع « بورمان » نائب هتلر ، و « جوتشه » أحد الزعماء النازيين ، الى المخدع ، فوجدا جثة زعيمهما على الأرض وقد نسفت الرصاصة رأسه ، اذ كان قد أطلقها خلال فمه . أما « ايفا » فكانت ممددة على أريكة وقد فارقت الحياة ، بعد تناول سم سريع المفعول !

وحددت الساعة الثالثة بعد الظهر لتشييع الجنازة ،فوضع الجسدان فى مكان مغطى بالرمل فى الفناء - على بعد نحو ٥٠ مترا من مدخل المخبأ - ثم صب أعوان الزعيم البنزين على الجثتين، وأشعلوا فيهما النار ٠ وفى تلك الأثناء ، كانت المدافع الروسية تقترب ، فأسرع المشيعون الى داخل المخبأ !

جوبلز ٠٠ يلحق بزعيمه !

◆ **ودخلت** زوجة جوبلز الى أولادها بصحبة طبيب حقنهم جميعا بسم زعاف سريع فماتوا أمامها ٠٠ وقال جوبلز لأحد أعوانه : « لقد انتهى الأمر ٠ سوف أنتحر مع زوجتى ، فاحرقوا الجثث كلها بعد موتنا ! » ٠٠ ثم بسط يده الى مساعده قائلا : « هذه هدية لك ٠٠ انها آخر ما أحتفظ به فى هذه الحياة ! » ٠٠ وأعطاه صورة لهتلر كان يضعها على مكتبه فى وزارة الدعاية !

ودخل جوبلز وزوجته حجرتهما ٠٠ وان هى الا لحظات ، حتى سمع مساعده طلقا ناريا ، فقفز من مكانه وأسرع الى الحجرة ٠٠ ووجد جوبلز ميتا برصاصة من مسدسه ٠٠ وماجدا ميتة بالسم !

وجاء سائق جوبلز ببنزين السيارة ، وصبه على الجثتين بعد نقلهما الى الفناء ، ثم أشعل فيهما النار حتى احترقتا عن آخرهما !

وكان صوت المعركة الطاحنة يسمع بوضوح فى الخارج ٠٠ ولكن الزعماء الباقين لم ينتحروا ، بل تسللوا الى الخارج ، فقتل بعضهم ، ووقع البعض الآخر أسيرا ، ليقدم بعد ذلك الى محكمة (نورمبرج) ويقضى عليه بالاعدام شنقا أو بالسجن لمدد مختلفة

وأسدل الستار على ألمانيا النازية ، فاقتسمها الحلفاء والروس

وأصبحت خاتمة هتلر وجوبلز قصة ٠٠ بل أسطورة لا يكاد يصدقها أحد لغرابتها ٠ بل ان الكثيرين ممن كانوا يؤلهون هتلر ، ما زالوا يظنون انه على قيد الحياة !



الرغبة الجامحة!

أو

"الوحم"



قصة ساخرة
للكاتب الفرنسي
"مارسيل بريڤو"

تلخيص : فرج جبران

هذه الظاهرة الغريبة ..

◆ تنتاب كل امراة ، وهى تشرف على مرحلة الأمومة ، عوامل نفسية غريبة حار الطب فى تعليلها .. وهذه العوامل تظهر فى شكل نزوات ورغبات ومطالب ، يسارع المحيطون بالمرأة الى اجابتها ، بدعوى أن فى عدم اجابتها أذى كبيرا لصحةالمرأة ،وتأثيرا سيئا على الجنين !

وقد اتخذ الكاتب البارع « مرسيل بريفو » من هذه الظاهرة الطبية النفسية أداة لقصة من أشهر قصصه ، وهى قصة « الرغبة الجامحة » ، التى ننشرها هنا كمثال لفن الكاتب الكبير الذى أراد أن يسخر من المرأة فى مرحلة الأمومة سخرية رقيقة ، الى جانب سخريته بالزوج المسكين الذى تنتابه الحيرة فى هذه المرحلة .. فلم يجد خيرا من هذه الظاهرة !

فتعال بنا نقرأ هذه القصة الممتعة

◆ **تزوج** المسيو شاربونيل ـ وكيل محلات شوفيه، لتجارة الشمبانيا بباريس ـ وهو فى سن الخمسين ، من كريمة أحد عملائه .. وكان اسمها « كليمنس روبير »

كانت كليمنس فتاة غضة الشباب ، موردة الوجنتين ، شقراء ، ذهبية الشعر ، ومن ثم أحبها شاربونيل حبا جارفا . وشعر الزوج عقب زواجه أن كليمنس قد ملأت منزله الموحش سعادة ، وانه صار رجلا سعيدا بالفعل ، وان المنزل قد أضاء بخفة هذه الفتاة ورشاقتها ومرحها !

وأظهرت كليمنس لزوجها ، أعظم الحب ، بل كل الميل والتقدير ، رغم أنه كان أكبر منها سنا بكثير ! وكانت هناك أشياء كثيرة تجمع بينهما من حيث المزاج والطباع : كان الاثنان مثلا يحبان أكل اللحم ، ولعب الورق ـ وحدهما ـ ومشاهدة الحفلات التمثيلية ، والتردد على ملاعب الحيوان (السيرك) !

وكان من بين العادات المشتركة بينهما ، انهما اذا بدآ فى قراءة الروايات المسلسلة التى تنشرها صحيفة «البتي جورنال»

فى ذيل صفحة من صفحاتها ، غلب عليهما النعاس فى الحال !
وأخيرا ، فانه على الرغم من فارق السن بين الاثنين ، فان كليمنس كانت دائما على استعداد للقيام بواجباتها الزوجية ، وكانت تؤدى هذه الواجبات بسرور ٠ ولم يحدث مطلقا أن أبدت نزوات فجائية قد تؤدى الى مضايقة زوجها !

★★★

◆ **و مر على زواجهما عام كامل ٠٠**
وأقبلت كليمنس فى ذات يوم ، وقداصطبغ خداها باللون الأحمر ، فأسرت الى زوجها أمرا لم يكن يتوقعه ٠ وذكرت له أنها لاحظت ـ من الظواهر التى لا تخطىء ـ بعض الأعراض المرضية ، مما دعاها الى التوجه وحدها الى صديق قديم من أصدقاء والدها ، هو الدكتور « تيير سلين » ، لاستشارته ٠ وقالت لزوجها ان الطبيب بعد أن أتم فحصها ، وضع يده على خدها فى عطف وقال لها :



ـ يا عزيزتى كليمنس ! عودى الى منزلك وبشرى زوجك بغلام جميل ، فان هناك جنينا فى أحشائك منذ شهرين !

ولم يكن شاربونيل ـ عند اقدامه على الزواج ـ كبير الأمل فى انجاب الأطفال ، ولذلك ملأ هذا الخبر قلبه بالسرور والفخر !
ومع ذلك فقداضطربت حياة الزوجين ٠ فعندما بدأ الجنين

فى الحركة ـ وكان ذلك فى الشهر الرابع ـ بدأ مزاج الزوجة ، الذى كان قبل ذلك فى غاية الاعتدال والمرح ، يتغير ! ٠٠ وأصبحت كليمنس سريعة الضجر والسأم ، وكانت تنقلب الى البكاء فى ساعة الضحك ، كما كانت تعمد الى الصمت والسكوت بعد أن كانت تسرف فى الحديث ٠ وبدأت تشعر بكراهية شديدة لأنواع الطعام التى كانت تحبها قبلا أكثر من غيرها !

وكانت تنتابها نوبات حزن ، تستمر النوبة منها أسبوعا كاملا ، فتلازم حجرتها ولاتبرحها طوال هذه الفترة ٠ وبينما كنت تراها ساكنة هادئة ، اذا بها تنقلب فجأة الى الحركة والحديث ، وتبدى ميلها للسير على قدميها أو الذهاب الى المسرح !

وكان شربونيل شديد التأثر والاهتمام بحالتها ، كما كان عبدا خاضعا لرغباتها وأهوائها ، يجيب كل ميل من ميولها ، ويلبى كل رغبة من رغباتها ، وهو يقول محدثا نفسه : « **ان هذه حالة مؤقتة سوف تنتهى بعد قليل ٠٠ فلأحتمل كل هذا من أجل ٠٠ فرنسوا !** »

وكان اسم « فرنسوا » هو الاسم الذى اتفق عليه الزوجان للطفل الذى كانا يتوقعان أن يجىء ولداً ٠

★ ★ ★

◆ **وفى** ذات مساء ، وكان ذلك فى شهر ديسمبر ، عاد شاربونيل الى المنزل بعد جولته اليومية ، وقال لزوجته :

ـ ارتدى ملابسك بعد أن نتناول طعام العشاء ، فسوف نذهب الى سيرك « فرناندو » ، حيث يقوم « رجل الببغاء » المشهور « جامز جامز » بعرض طيوره ٠٠ فالناس يقولون ان هذا الرجل مدهش وألعابه غير عادية !

وصفقت كليمنس بيديها سرورا عندما سمعت هذا النبأ ٠

فقد كانت شديدة الشوق لرؤية جامز جامز هذا ٠٠ وكانت صورته الملونة وهو جالس على أرجوحة السيرك ، وقد استقر عدد من الببغاوات على ذراعيه وكتفه ، وهو مرتد ملابس اللعب ٠٠ كانت هذه الصورة قد ملأت جدران باريس كلها ٠
وكان الناس يتحدثون عنه وعن الثروة التى جمعها ، كما كانوا يقولون ان سيدة انجليزية ثرية تحبه وتنفق عليه أموالا طائلة ، وانها قد صحبته الى باريس !

وفى ذلك المساء ، نال جامز جامز نجاحا هائلا ، كما كان ينال فى كل مساء آخر ٠٠ كان نجاحه لا يقل عن النجاح الذى يلقاه مصارع الثيران فى حلبة المصارعة !

وكان وجه الرجل جميلا جدا ، وشعره الاسود الغزير ينقسم عند منتصف جبهته ٠ وكان لباس اللعب يلتصق بجسمه التصاقا شديدا ، فيكشف عن عضلات قوية مفتولة ٠٠ ولذا فان منظر الرجل كان يثير اهتمام النساء ، فكن يصفقن له وقد أضاءت عيونهن ، وخاصة عندما كان يقوم بدور « العلم الفرنسى » وقد تناثرت الببغاوات على جسمه ، فحط أحدها على رأسه ، ووقف اثنان على كتفه ، واثنان على يديه المضمومتين ، واثنان على أطراف قدميه ٠

ولما عادا الى المنزل ، لاحظ شاربونيل أن زوجته واجمة ، فسألها قائلا :

ـ أرجو أن تكونى قد سررت يا كليمنس ؟!

فأجابته فى برود : « نعم ٠٠ الى حد ما ! »

ولم يتمكن من أن ينتزع منها أكثر من ذلك ، اذ كان الاكتئاب قد بدأ يظهر عليها ٠ انه دور الحزن ٠٠ وقد بدأ يغشاها ! ٠٠ ولما حاول زوجها أن يداعبها ، ردت مداعباته فى حدة ٠٠ فنام الرجل وهو حزين القلب ، وان كان ممتثلا ٠ وما لبث أن همس

لنفسه قائلا : « **فلنتذرع بالصبر ٠٠ كل هـــذا من أجل فرانسوا ! »**

★ ★ ★

◆ **وفى** اليوم التالى ، استيقظت كليمنس هادئة ، وأخذت تغنى وهى ترتدى ملابسها ، ثم قبلت زوجها فى عنقــه وهى تضع له ياقة قميصه فى مكانها ، وأعــدت له طعام افطـاره بنفسها ، وقدمت له شرابا ساخنا يحبه ٠ ولما تركها بعد ظهر ذلك اليوم لاستئناف عمله ، لفت له عنقه بنفسها فى ملحفة من الصوف ، وهى تقول ان البرد شديد وانها لا تريد أن يصـاب « زوجها الصغير » بالزكام ! ٠٠ ولما وصل الى الطريق ورفـع عينيه ، رآها وقد وقفت فى الشرفة وأخذت ترسل اليه قبلات فى الهواء !

وظل جو المنزل هادئا طوال ذلك اليوم ، حتى اللحظة التى اجتمع فيها الاثنان بالليل فى فراشهما المشترك ٠ وهنا أمسكت كليمنس ــ بيديها الجميلتين الرشيقتين ــ رأس زوجها الصغير الذى كان شعره قد بدأ يخط فيه الشيب ٠ واقترب فمها من أذنه وأخذت تهمس قائلة :

ــ **أريد أن أطلب منك شيئا يا عزيزى !**

وامتلأ قلب شاربونيل سرورا وأجاب فى الحال :

ــ يا قطتى الصغيرة ! اطلبى كل ما تريدين !

ــ **ولكنه شىء لا يسهل الافضاء به ٠٠ انـه طلب محــرج جدا !**

ــ بل قولى ٠٠ تكلمى !

ــ **اذن دعنى أطفىء النور أولا ٠٠ فانه لا يمكن أن أجرؤ على طلب ما أريد فى النور !**

ولما أطفىء النور ، استطردت كليمنس تقول :

ــ **أنت تعرف جيدا من هو جامز جامز ٠٠ «رجل الببغاء» !**

ـ نعم ٠٠ أعرفه ٠٠ هل تريدين العـــودة الى رؤية ألعابه فى السيرك ؟ ٠٠ اننى على تمام الاستعداد !

ـ لا ٠٠ بل نعم ٠٠ اننى أريد رؤيته حقــا ٠٠ ولكننى لا أريد أن أراه فى السيرك !

واستغرق شاربونيل فى الضحك ، ثم قال :

ـ على أية حال ليس فى استطاعتنا أن نذهب لزيارته ٠٠ فى منزله !

فقالت كليمنس فى جد وحماس :

ـ لا أريد أن تضحك ٠٠ ان المسألة جدية ! اننى أشــعر برغبة ٠٠ رغبة قوية جامحة ٠٠ ولو ترددت أنت فى اجابةهذه الرغبة الجامحة القوية ٠٠ لو ترددت ، فسوف تموت زوجتك الصغيرة ، وسوف يموت معها الطفل الصغير طبعا !

وأخذ شاربونيل زوجته بين ذراعيه ، وضمها اليه ، ثمقبلها فى رفق وحنان وقال لها :

ـ سوف أفعل كل ما أستطيع لاجابة رغبتـــك ٠٠ وأنت تعرفين ذلك يا قطتى الصـــغيرة ٠٠ فتكلمى ! اشرحى لى ما تريدين !

وهنا التصقت كليمنس بزوجها ، وهمست فى أذنه بصوت ضعيف ، قائلة :

ـ اننى أريد أن أرى هذا السيد مجردا من ملابسه !

وما كادت تقول ذلك حتى دفنت وجهها فى عنق زوجهـــا لشدة خجلها ٠ أما هو فقد صاح مذعورا :

ـ مجردا من ملابسه !! هل أنت مجنـونة ؟ ٠٠ أرجـو أن تشرحى لى أولا ما تقصدين بذلك ؟ فهل تريدين رؤيته بلباس اللعب الذى يرتديه فى السيرك أثناء قيامه بدوره مع الببغاوات كما رأيناه منذ أيام ؟!

وقالت كليمنس فى صوت تنبىء نبراته عن الحزم :

– لا .. اننى أريد أن أراه بغير هذا اللباس .. بغير أى شيء !

وصاح شاربونيل :

– عاريا ؟! عاريا عن كل ملابسه ؟!

وكررت كليمنس القول لتحدد ما تريد :

– نعم ! .. عاريا تماما !

* * *

◆ **والآن** ، وقد استقر عزمها ، استطردت توضح الأمر لزوجها :

– انك لترى انه يجب أن تساعدنى على مشاهدة هذا الرجل وهو مجرد من ملابسه .. فقد حدث عندما رأيته فى السيرك ، وقد غطى جسمه (المايوه) الاسود ، ان شعرت بصدمة نفسية عنيفة ، وأحسست أن الجنين يتحرك فى أحشائى وكأنه قلق غير مستقر . **ومنذ تلك اللحظة ، يبدو أمامى شبح أسود اللون ، يرتدى لباسا أسود ! واننى لأشعر بأنك اذا لم تساعدنى على رؤية هذا الرجل عاريا عن ملابسه ، فستكون النتيجة أن ترزق بابن أسود اللون .. أسود كالزنجي ، بل أسود من الزنوج ، مع أن جامز جامز أبيض اللون مثل أى رجل آخر ، وجميل الوجه !** .. ولو ساعدتنى على تحقيق رغبتى ، فسيجيء ابننا فرانسوا جميلا ، أبيض اللون ، يشبه جامز فى وسامته ! وهذا كل ما فى الأمر يا عزيزى شاربونيل !

وعبثا عارض شاربونيل ، وعبثا حاول أن يثنى زوجته عن رغبتها ، وهو يحاول أن يقنعها بأن ما تطلبه أمر يتعارض مع القواعد والتقاليد والخلق ! وقال لها انه حتى اذا وافق هو ، أى شاربونيل ، فلابد من نيل موافقة جامز جامز نفسه .. وانه اذا تقدم أحد الى جامز بهذا الطلب ، فسوف يشك فى عقل الشخص الذى يطلب منه أن يقف عاريا أمام امرأة ! ..

ومع ذٰلك ، أصرت كليمنس على تحقيق هدفها مهما يكلفها ذلك، وكانت تكرر القول دائما .

ـ لابد لى من رؤية هذا الرجل وهو عار !

وانتهى الامر بأن أصابتها نوبة عصبية ، فأخذت تصيح وتبكى وتهذى من آن لآخر ! .. ولم يجد تاجر الشمبانيا وسيلة لتهدئة أعصابها الا أن يعدها بأن يحاول تحقيق ما تطلب .. وعندئذ فقط نامت .. من فرط تعبها !

★ ★ ★

• **وكان** شاربونيل كبير الأمل فى زوال هذه الرغبة الجامحة فى اليوم التالى .. ولكن لم تكد كليمنس تستيقظ حتى قالت لزوجها :

ـ انك تعلم أنك وعدتنى .. فلابد أن تذهب الى مسيو جامز جامز فى الحال ، والا فاننى سوف أصاب بنوبة جديدة بعد ظهر اليوم وألد طفلا ميتا !

ولم يناقش شاربونيل فى هذه المرة ، ولكنه ارتدى ملابسه ، وصفف شعره وحلق ذقنه .. وشيعته هى بهذه الوصية :

ـ اسرع ! ولن أقدم لك طعام الغداء الا اذا جئتنى بجواب شاف عند عودتك !

وعاد بعد ساعة . وكانت كليمنس تترقب عودته بصبر نافد ، فاستقبلته عند الباب وأسرعت تسأله عما فعل ، فأجاب الزوج : « استمعى الى .. اننى لم أذهب الى هذا المدعو جامز جامز .. ولا شك انه كان خليقا بأن يطردنى شر طردة لو تقدمت اليه بهذا الطلب المجافى للآداب ! . على أننى زرت الدكتور « تيير سلين » فى عيادته التى يعالج فيها مرضاه بواسطة الحمامات الباردة ، ولما ذكرت له حالتك واستشرته فى الأمر ـ وهو يعرفك حق المعرفة ـ وافق على أن من الخطر

عدم اجابتك الى رغبتك وأنت فى حالتك هذه ! »
فقاطعته كليمنس قائلة :
– ها أنت ترى صواب ما قلت ..
فقال شاربونيل :

– لا تقاطعى .. فانه على الرغم من حسن النية المتوفر ، كان يجب أن يرفض طلبك ، لولا مصادفة عجيبة أرسلها الله . وأحب أن تعرفى أننى ما كنت لأوافق بتاتا على أن يعرف هذا الرجل المدعو جامز جامز شيئا عن رغبتك الغريبة هذه .. ولكن المصادفة العجيبة هى التى ساعدتنا ، فان جامز جامز نفسه يتردد على عيادة الدكتور « تيير سلين » مرتين فى اليوم، ليأخذ حماما باردا تحت اشراف الطبيب . وهو يذهب ليأخذ الحمام الأول فى الساعة العاشرة صباحا . وقد اتفقت مع الدكتور على أن نذهب معا فى تمام الساعة العاشرة الى عيادته . **وسوف تنتظرين أنت فى حجرة داخلية قريبة من غرفة الحمام، ولا يفصلها عنها غير ستار رقيق ، حتى يحين موعد حمام جامز جامز .. فاذا أقبل واستعد للحمام ، أمكنك أن تحققى رغبتك بسهولة .. وأن تشهدى الرجل كما تريدين ! ..** أما اذا كان الأمر لم يعد يهمك ، فاننا لن نذهب الى عيادة الدكتور تيير سلين وسنكف عن الحديث فى هذه الحماقة !

وما كادت كليمنس تسمع ذلك حتى ارتمت على عنق زوجها وأخذت تقبله بكل حرارة ، وهى تقول له :

– انى أعبدك .. انى أعبدك ! .. سترى كم يجىء ابنك جميلا !

وانقضى اليوم كله فى هدوء ، وأظهرت الزوجة لزوجها شعورا رقيقا . ولكن أمارات التفكير كانت تبدو واضحة جلية على وجه شاربونيل ، وكان يشعر ببعض الحزن والكمد ، كأنه رجل يقدم على تضحية مؤلمة بدافع الحب !

* * *

• **وفى** اليوم التالى سارت الحوادث فى طريقها المرسوم كما اتفق عليه الزوج والطبيب ، توفيقا بين الحب الذى كان يشعر به الرجل نحو زوجته و رغبته فى المحافظة على صحتها ٠٠ وبين الاعتبارات الأخلاقية والاجتماعية التى كان يجب مراعاتها!

ووصل شاربونيل مع زوجته الى عيادة الطبيب فى الساعة التاسعة والنصف ٠ ولما حانت الساعة العاشرة ، قال الطبيب متظاهرا بأنه لا يعرف لماذا قدم الاثنان اليه :

ـ سيصل الى العيادة الآن مريض يأخذ حمامه البارد فى الساعة العاشرة ، ويجب أن أشرف بنفسى على هذا الحمام ، فهل لكما أن تنتظرا فى مكتبى لحظة قصيرة ٠٠ وسألحق بكما بعد أن ينتهى الرجل من حمامه !

وقادهما الطبيب الى حجرة مكتبه الخاصة ، ثم تركهما هناك ٠ وكان بالحجرة باب يؤدى الى حجرة أخرى صغيرة لا يفصلها عن حجرة الاستحمام الا ستار رقيق يكشف جليا من جانبيه عما يحدث فى تلك الحجرة ،وبحيث لايمكن للمستحم أن يرى المختفى وراء الستار

وكانت كليمنس هادئة الأعصاب ، يبدو الرضاء التام على وجهها ٠ وأخذت تنظر من الجانب الأيمن للستار ، فى حين أخذ زوجها ينظر من الجانب الأيسر !

وكان شاربونيل يشعر ببعض الخجل من نفسه ، ولكنه كان يعتقد أن اهتمام امرأته بالنظر الى حجرة الاستحمام سيقل طالما كانت تعرف أن زوجها يرى ما تراه هى ، وفى الوقت نفسه !

وبعد برهة دخل الى حجرة الاستحمام رجل يرتدى (البرنس) ٠ وكان الرجل هو جامز جامز ٠ وما لبث أن ألقى (البرنس) ، بعد أن تبادل بضع كلمات مع الدكتور تيير سلين ، ثم وضع يديه على جسمه ، وانطلق عليه الماء من



خرطوم وجهه اليه أحد العمال

وشعر شاربونيل - رغم أنفه - بسرور كبير ، وهو يرى هذه العملية ! ٠٠ وبدا له جامز جامز رجلا رياضيا ، متين التركيب ، عريض الكتفين ، جسمه أكثر امتلاءا مما يبدو وهو فى ملابس اللعب !

شىء واحد كان يبدو غير عادى فى الرجل! ذلك أن جسمه كله كان مغطى بطبقة كثيفة من الشعر الأسود الفاحم ، الذى بدا غزيرا جدا على صدره !

ولم يستغرق الحمام البارد غير ثوان معدودات ٠ ولما انتهى، نظر تاجر الشمبانيا الى المكان الذى كانت تجلس فيه زوجته، فلم يجدها ٠٠ بل انه لم يجد لها أثرا فى الحجرة الصغيرة !

وكانت الزوجة قد انسحبت الى مكتب الطبيب ، حيث جلست على مقعد تفكر وقد بدا عليها الأسف

وقال لها زوجها - شامتا - فى مرارة :

- والآن ٠٠ هل أنت راضية ؟ هل رأيت كل ما كنت ترغبين فى رؤيته ؟

وهزت رأسها وهى تقول :

- لا ! لم ألق الا نظرة خاطفة ثم انسحبت فورا ٠٠ بل الواقع اننى انسحبت بمجرد أن أبعد الرجل (البرنس) عن جسمه !

- ولماذا فعلت ذلك ؟

فأجابت بشىء من الدلال :

ـ انه بشع المنظر ٠٠ وجسمه كله مغطى بالشعر ٠٠ إنه يشبه القرد ! ٠٠ ولذلك فقد فكرت فى طفلنا فرانسوا وقلت فى نفسى : « لو جاء ولدنا مثل هذا لكانت مصيبة ! » ٠ ثم انسحبت على الفور ، وجئت الى هنا ، فى حين بقيت أنت لتستمتع بهذا المنظر المزعج ! ٠٠ أنت تعرف جيدا يا عزيزى اننى لا أريد أن يجىء فرانسوا شبيها بالقرود !

واستطردت تقول بعد لحظة بشكل يدل على منتهى الجد :

ـ اننى أفضل له أن يجىء شبيها بالزنوج على أن يجىء شبيها بالقرود !

حوافز الحياة



النفس والجنس .. والمجتمع ..

عزيزى القارىء :

فى هذا الباب قدمت لك فى الاعداد الماضية من كتابى ، الكتب الآتية على التوالى : « كيف تصارح أولادك وبناتك بالحقائق الجنسية » ثم « طريق السعادة الزوجية » و « مركب النقص » و «حواء الجديدة » و « كيف تقهـــر الخجل »

ثم قدمت لك بعد ذلك من « فنون الحياة» التى شرحها المفكر العالمى «اندريه موروا » : فن الحب ، فن الزواج ، فن الحياة العائلية ، فن الصـــداقة ، فن العمـــل ، فن الزعامة ، فن التفكير ، وأخيرا فن الاستمتاع بالشيخوخة ..

ثم قرأت معى فى هذا الباب فصول كتاب « غزو السعادة » لبرتراند رسل فكتاب فرويد المشهور «التحليل النفسى» ثم « الجنس الآخر » ، و « عش حيـــاة ايجابية » ، و « أبواب الحب المغلقة » ، و « فن الحب » ، للشـــاعر الرومانى أوفيد .. ثم « الانتصار على الخوف » ، للاخصائى المعروف « جيمس بندر » .. و «عش بحكمة تعش سليما» للاخصائى الألمانى « برنس ديتمار » ثم : « كيف تتجنب متاعب الاعصاب المرهقة» لويلفريد نورثفيلد .. و «كيف تفسر أحلامك » لهربرت هيسبرو .. و « كن متفائلا » .. ثم «تاريخ الغزل» .. و « كيف تعيش ٣٦٥ يـــوما فى السنة » .. و « اتح لعقلك حيـــاة جديدة» ، و « دنيا الحب والسعادة » ، ثم « السلوك الجنسى » ..

واليوم ، أقدم لك فصلا جديدا من هذا الكتاب ..



السلوك الجنسي!

للباحث الأمريكى الكبير "ألفريد كينزى" وآخرين

السلوك الجنسى .. فى الريف

◆ فى هذه الحلقة الجديدة من أهم تقرير علمى وضع فى تاريخ البشرية عن « السلوك الجنسى لدى الانسان » ، يعرض العالم الامريكى الدكتور « الفريد كينزى » ، نتيجة أبحاثه وأبحاث زملائه فى ميدان السلوك الجنسى فى الريف ، ثم يعرضون بحثا طريفا عن علاقة الدين بالجنس والسلوك الجنسى فى مختلف العصور ..

فتعال نتزود بتلك المعلومات الفريدة ، الطريفة !

متى يستقر السلوك الجنسى للانسان ؟!

◆ فى أيامنا هذه ، يزداد عدد الذين ينشأون فى مستوى اجتماعى معين - من حيث المهنة والعلم والدخل - ثم ينتقلون الى مستوى آخر أو أكثر ، خلال حياتهم . وهذه ظاهرة مطردة، نظرا لانفساح الفرص الاجتماعية فى التعليم والعمل . فنحن نرى باطراد أفرادا ينشأون فى مستوى خفيض ، ثم يتاح لهم أن يتموا التعليم الثانوى ، بل والجامعى . كما أن هناك من ينشأون فى مستوى عال ، ثم يهبطون الى مستوى أقل منه . ولا بد لنا أن ندرس مدى تأثر اتجاهات السلوك الجنسى بهذا التغير .. وأهم ظاهرة اسفرت عنها البيانات التى لدينا ، هى أن الشخص الذى يتهيأ للانتقال من مستوى أهله ، يبدأ هذا الاتجاه فى الغالب قبل سن المراهقة . وبمراجعة الحياة الجنسية للأفراد الذين درسنا حالاتهم ، نجد أن أساليب السلوك الجنسى تستقر لدى الشخص حوالى سن السادسة عشرة،وان الذين يغيرون أساليبهم بعد هذه السن قلة . ولهذه الحقيقة أهمية كبيرة من الناحية العلمية والاجتماعية . وعلى ضوئها نخرج بالنتائج التالية :

عمال اليومية .. أكثر الطبقات استقرارا !

◆ **ان** أدنى مستوى ، وهو مستوى عمال اليومية، هو أكثر مستويات النظام الاجتماعى استقرارا وثباتا !.. وبوجه عام - فى جميع الطبقات والمستويات - نجد أن الذين يبدأون حياتهم الجنسية متبعين النظام الذى يسود المستوى الاجتماعى لأهلهم ، ويظلون على هذا النظام الى نهاية العقد الثانى من أعمارهم - وربما الى بضع سنوات بعده - ثم ينتقلون فى النهاية الى مستوى اجتماعى آخر .. هؤلاء قلة بين الأفراد . وأقل منهم الذكور الذين يهبطون الى مستوى اجتماعى أقل من المستوى الذى نشأوا فيه بدرجة محسوسة . **هؤلاء هم المنحوسون من ضحايا المجتمع الذين تحيرهم ظروف اجتماعية، مترتبة على نكبة اقتصادية أو اجتماعية . وانا لنجد أحيانا - فى أحط المستويات - شخصا حاصلا على درجة « الماجستير » أو « الدكتوراة » وقد تردى فى ألوان غير مشروعة من النشاط ، وغدا شريدا لا يجد عملا !**

والارتقاء من مستوى الى مستوى أرفع بعد العقد الثانى من العمر ، يشاهد أحيانا بين الذكور الذين توقفوا عن متابعة الدراسة ، واضطروا للعمل فترة ، ثم عادوا فأتموا دراستهم الى نهاية المرحلة الجامعية بعد زمن !.. وهؤلاء الرجال هم الذين أوتوا مقدرة كافية تؤهلهم للنجاح فى الأعمال ، ومن ثم يؤهلهم المركز المالى الذى يصلون اليه ، لأن يحتلوا مركزا اجتماعيا أرفع ، ويجدون بعد ذلك من الظروف مايشجعهم على السعى الى مستقبل لم يكن يخطر بأحلامهم من قبل . ومن هؤلاء ، الجنود الذين سرحوا بعد الحرب .. فان كثيرين منهم ماكانوا ليقبلوا على الدراسة الجامعية لو لم يتلقوا مساعدات مالية من الدولة ، ولو لم تساعدهم الفرص التى تفتحت لهم فى أمريكا بعد الحرب !

المستوى الاجتماعي يؤثر في آراء الانسان !

• **ومع** أن البيانات التي لدينالسيست وافية ، الا أن من المأمون أن نقول - بوجه عام - ان الذكور الذين كانوا في مستويات منخفضة في باكورة مراهقتهم ، وظلوا يحتفظون بالمسلك الجنسي لهذه المستويات خلال العقد الثاني من أعمارهم ، يظلون على هذا المسلك حتى ينتهوا من دراساتهم الاجتماعية وينتقلوا الى المستوى الجديد الذي ترفعهم اليه مهنهم ، ثم يبقون كذلك طوال حياتهم . فعلى الرغم من اندماجهم في ذلك المستوى ، ووصولهم الى مراكز اجتماعية عالية ، الا أنهم لا ينتهجون السلوك الجنسي الذي يسود الطبقة العليا !.. فالفرد من هذا الفريق يحتفظ بأساليبه الجنسية ولو أصبح قاضيا ، أو طبيبا ، أو رجل أعمال ناجحا !

أما النتائج التي تترتب على ذلك فيمكن ادراكها حين نذكر أن القاضي الذي نشأ في مستوى خفيض - وارتقى بفضل تعلمه - يتساهل ازاء الاتصالات الجنسية للفرد قبل الزواج ، في حين أنه يستنكر الاستمناء - (أي العادة السرية) - ولو كان لزملائه من القضاة أبناء المستوى الرفيع - أصلا - آراء أخرى ازاء الموضوع ذاته !.. كذلك نجد أن رجل الأعمال الناجح ، الذي نشأ في مستوى خفيض ، لا يتخلى قط عن استمرائه العلاقات الجنسية - بغير زواج - مع أنه يظل يستنكر « الفنون الجنسية » التي تنتشر بين أبناء الطبقة العليا التي انتقل اليها !

والطبيب الذي نشأ في نفس المستوى ، لا يستنكر ما يعرفه من مرضاه عن علاقات جنسية بغير زواج ، بل انه قد ينصح لهم بها كوسيلة للعلاج ! .. وهو قد يتساهل ازاء العلاقات الجنسية التي يرتبط بها المتزوجون مع غير زوجاتهم ، في حين أنه اذا دعى لالقاء محاضرة على طلبة المدارس

الثانوية ، أخذ يحدثهم عن مضار العادة السرية !٠٠ وهو قد يؤكد لمرضاه أن الاستعاضة بالمعابثة عن الجماع ، خليق بأن يؤدى الى كافة الاضطرابات العصبية ٠٠ وهو - وفقا لسلوك الطبقة التى نشأ فيها - يستنكر مساس الأعضاء التناسلية بالفم ، ويصر على أن الحياة الجنسية العادية للذكر تنحصر فى مجامعة الأنثى فقط ، وبالطريقة العادية البسيطة ! ٠٠ ومثل هذا الطبيب يزعم انه يبنى آراءه على أسس علمية ، فى حين أنه لا يعبر الا عن أساليب المستوى الاجتماعى الذى نشأ فيه !

ثغرات ٠٠ فى دراسة تطور السلوك الجنسى !

◆ **وعندما** نفهم التطورات التي تستقر بواسطتها الأساليب الجنسية لدى كل طبقة اجتماعية ، وتنتقل لجميع أفراد هذه الطبقة ، نكون قد خطونا خطوة كبيرة نحو ادراك أهم الظواهر الاجتماعية الأصلية ٠ ولو اننا فهمنا العوامل التى تدفع الصبية الى أن يتجاهلوا الآراء والاتجاهات الجنسية لأهلهم - بل ولزملائهم فى الطائفة التى ينشأون فيها - لتسنى لنا الوصول الى حل المشكلات النفسية الرئيسية فى الناحية الجنسية ٠ ولو اننا عرفنا الطريقة التى يكتسب بها أى صبى الأساليب الجنسية لمستوى اجتماعى لم ينشأ فيه ، ولا علاقة له به سوى انه سينتقل اليه فى النهاية ، استطعنا أن نحصل على معلومات تفوق كل ما وصلنا اليه حتى اليوم

ان الوسائل التى يتعلم بها الطفل عادات والديه فى الملبس والمأكل وغيرهما من التصرفات ، أمور بسيطة مفهومة ٠٠ أما الوسائل التى تمكن الولد من أن يتكيف - بطريقة آلية - مع التقاليد الجنسية للوسط الذى نشأ فيه ٠٠ **هذه الوسائل ستظل متكتمة ، خفية ، مادمنا نتجنب التعليم الجنسى للأطفال، ونتنكب تبصيرهم بالمسائل الجنسية ، وماداموا لا يطلعون على**

شىء من النشاط الجنسى فيما بين سن العاشرة وباكورة المراهقة !

وقد نستطيع أن نحصى حالات الانتقال من مستوى الى مستوى أعلى أو مستوى أدنى ، ولكنا لا نجد فى علمى النفس والاجتماع أية معلومات عن العوامل التى تؤدى الى هذا الانتقال من المستوى الذى نشأ فيه الفرد الى مستوى اجتماعى جديد. وقد تكون بواعث الانتقال الى مستوى أرفع مفهومة ، ولكن هذا لا يبين لنا السر فى أن أفرادا معينين هم الذين ينتقلون دون سواهم !.. ولقد استطعنا فى دراساتنا - التى أوردناها فى الحلقات السالفة - أن نبين مدى الارتباط الوثيق بين أساليب السلوك الجنسى وألوان النشاط الجنسى التى تمارس عمليا ، وبين المستوى التعليمى والمهنى الذى ينتهى اليه الفرد بعد أن يرقى به تعليمه عن الوسط الذى نشأ فيه ، وقبل أن يهجر بيت أبويه !

استطعنا أن نبين هذا الارتباط الوثيق ، ولكن هذا لا يدلنا على العوامل التى تؤدى الى هذا الانتقال !.. وكل الذى نستطيع أن نقدمه - على ضوء دراساتنا « الناقصة » - هو أن الأب الذى يرقى عن مستواه الأصلى الى مستوى أرفع ، يشجع ابنه على الأخذ بالعادات الجنسية لهذا المستوى ، وان لم يتبعها هو. **ومن المحتمل أن الأم تفوق الأب تأثيرا فى هذا الصدد ، فهى التى تشجع الابن - فى الغالب - على صحبة الأولاد ذوى التربية الحسنة والسلوك الحميد !**

ومن ناحية أخرى ، يقدم بعض الأولاد على الانتقال من المستوى الذى نشأوا فيه الى مستوى أرفع على غير ارادة من أهلهم ، أو برغم معارضة الوالدين .. كأن يسعى الولد لاستكمال تعليمه دون رغبة أبويه . وفى هذه الحال ، ينتزعه الرفاق الجدد - فى المدرسة الثانوية أو فى الجامعة - عن رفاقه من أبناء المستوى الذى نشأ فيه . كذلك نجد - من

ناحية ثالثة ـ أن الصبى قد يلتقى أحيانا بأشخاص كبار ، غير والديه ، يعلمونه بعض الاتجاهات والآراء الجنسية ..

على أن هذه كلها مجرد احتمالات ـ كما ذكرنا ـ ولعل الأمر يتطلب أن يتعاون الطب وعلم النفس على البحث فى حياة الفرد منذ طفولته الباكرة !

على أن ثمة نتائج أخرى يمكن أن نطمئن اليها وأن نعتبرها مقياسا عاما ، وهى :

عقلية كولونيل أمريكى = عقلية طفل فى الرابعة !

◆ **من** المؤكد أن الطفل يكتسب ـ وهو فى الثالثة أوالرابعة من عمره ـ بعض الآراء الاجتماعية من الوسط الذى يعيش فيه ، ازاء بعض المسائل ، مثل : الحديث عن الأعضاء التناسلية ، والفوارق العضوية بين الذكر والأنثى ، واحتمال طلب اللذة عن طريق العبث بأعضائه التناسلية أو أعضاء سواه ، وتبادل عرض الأعضاء التناسلية مع أطفال أخرى ، والسؤال عن مصدر المواليد ، وعن تقبيل الوالدين وتقبيل الرفاق من الجنسين .

والتحبيذ الاجتماعى ـ (تحبيذ المحيطين بالطفل أواستهجانهم لمسلكه) ـ أمر له أهمية كبيرة لدى الطفل فى هذه السن . فقد لا يحتاج الأمر الى أكثر من تجربة واحدة لكى يدرك الطفل أن عملا معينا يعرضه للسخرية ، أو للزجر ، أو للعقاب .

ومن طرائف السلوك الشخصى فى هذا الصدد ، ماصادفناه أثناء دراستنا من تشابه بين أقوال كولونيل فى الجيش وأقوال طفل فى الرابعة من عمره .. اذ أجاب الأول ، عندما سألناه عما اذا كانت له أية تجربة مع شخص من نفس جنسه ، منكرا ان شيئا من هذا القبيل حدث له .. « اللهم الا اذا كان قد حدث أثناء النوم ولم أشعر به ! » .. وأصر الطفل ـ عندما سألناه ـ على أن أحدا لم يمسه الا اذا كان هذا قد حدث وهو

نائم !٠٠ وهذا التشابه فى الاجابتين يبين لنا القيم والمقاييس التى اكتسبها الطفل فى عامه الرابع ٠٠ وهى التى توجه سلوكه وتصرفاته الجنسية !

متى يكتسب الطفل آراءه الجنسية ؟!

◆ **يكتسب** الطفل الآراء الجنسية قبل أن يدرك أى معنى للتهيج الجنسى أو الجماع ، بوقت طويل ٠ أما الدروس التى قد يتلقاها عن والديه أو عن أبيه فيما يختص بتركيب الجهاز التناسلى ــ أثناء دراسة التركيب البدنى ــ فلا تؤثر على نمو أساليب سلوكه الجنسى ٠٠ فالواقع أن معلوماته فى هذا الصدد تتكون فى نفسه قبل أن ينال شيئا من المعلومات العلمية

أطفال السابعة يدركون معنى الجماع !

◆ **من** البيانات التى حصلنا عليها من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الثالثة والرابعة ، نستطيع أن نجد العلاقات مع الجنس المشابه ، ومع الجنس الآخر ، كظاهرة واضحة ٠ **وقد كان الأولاد الذين لم يصلوا بعد الى سن البلوغ ، أكثر استعدادا للاعتراف بعلاقاتهم مع أفراد من جنسهم منهم بعلاقاتهم مع الجنس الآخر !٠٠** ويرجع ذلك الى ما عرف عن الصغار من استهزاء بالزميل الذى يميل الى اللعب مع الفتيات دون الصبيان ! على أن الوضع يختلف بالنسبة لأبناء المستوى الراقى ــ أى أبناء ذوى التعليم الجامعى والمهن الحرة ــ اذ نجد العلاقات مع الجنس الآخر هى الغالبة ٠٠ فهم فى هذه السن يبدأون فى الشعور بما يفرضه مجتمعهم من تحريم على العلاقات بأفراد من نفس الجنس !٠٠ **على أن الاهتمام بالعلاقات مع الجنس الآخر ــ لدى المستويات المنخفضة ــ يلاحظ جليا لدى نسبة كبيرة من الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة والثامنة ٠ فهم فى هذه السن يدركون أن الجماع من ألوان النشاط الجنسى !** ولعل ذلك راجع الى سهولة اختلاطهم

بأفراد يكبرونهم فى السن ، فيرون أن هؤلاء الكبار يميلون الى الاتصال بالجنس الآخر ، ومن ثم يدركون أن هذا الاتصال شىء مرغوب !٠٠ كذلك نجد أن أبناء العاشرة ، من الطبقة العليا ، يميلون الى الكشف عن الأعضاء التناسلية والعبث بها ـ سواء أعضاء الفرد أو أعضاء فرد آخر ـ ولكنهم لا يقربون الجماع ، اذ لا تكون لديهم فكرة واضحة عنه !

سلطان الأبناء ٠٠ أقوى من سلطان الآباء !

◆ **الأطفال** أكثر استعـــدادا لنشر العادات الجنسية فى أوساطهم ، عن سواهم من أبناء مراحل السن الأخرى ٠ ولا يجد علماء النفس والاجتماع أى عجب فى ذلك ، لأن الاطفال فى لعبهم يميلون الى تقليد الكبار دون أن يفقهـــوا معنى ما يفعلون !٠٠ وقد يفرض الأطفال والغلمان العادات الجنسية فى أوساطهم ، على الرغم من جهود الكبار لمنعهم من ذلك ٠ **فالأبوان ، فى المستوى الاجتماعى الخفيض ، قد يعاقبان ابنهما اذا حاول ممارســـة الجماع ، فى حين أن الغـــلام الذى يبلغ السابعة من أبناء هذا المستوى ، يؤكد لنا ـ عن ادراك تام ـ انه لا يفهم لماذا يعاقبه أبواه عن شىء يرى هو كل أنداده يفعلونه** !٠٠ ومن ثم نرى أن الأطفال يتغلبون على محاولات الآباء الراغبين فى أن يلقنوهم عادات جنسية تخالف عادات المستوى الذى يعيشون فيه !٠٠ وقد يميل الآباء أحيانا الى اطلاق الحرية للطفل ، ولكن الطفل ـ فى كثير من الحالات ـ لا يأخذ بهذه الحرية ، لأنه يحسب حساب زملائه والمحيطين به !

على ان الأطفـــال ـ من الوجهة العـــامة ـ دائمو التشكل والتكيف وفقا للوسط الذى يعيشون فيه

ولكننا نعود الى تأكيد ما قلناه من قبل ، من ان الذكور الذين يغيرون آراءهم الجنسية أو أساليب سلوكهم الجنسى ، بعد أن

يتجاوزوا منتصف العقد الثانى من أعمارهم ، قلة ضئيلة ٠ على ان أبناء المستوى الراقى ، الذين نشأوا على التحـــرر الفكرى وعدم التمسك بالتقاليد فى سلوكهم ، يكونون عادة على استعداد لأن يجربوا أى أسلوب يعرض لهم ، ولكنهم نادرا ما يمضــون الى أبعد من التجربة٠ **وقد لا يتحرج الشاب من هذا الفريق عن الحـــديث العلنى عن عـلاقاته ، وقد يتمادى فيمارس المداعبة والغزل علنا بشكل يوحى بأن وراء ذلك علاقات تتجاوز الغزل والمداعبة٠٠ ولكن البيانات التى حصلنا عليها تؤكد أن تصرفات مثل هذا الشاب ليست الا من قبيل المباهاة ، وانه لا يتجاوزها الى الجمـاع** ٠٠ على النقيض تماما من زميـــله الذى ينتمى الى المستوى الخفيض !

الخوف من الفضائح ٠٠ يردع الانسان !

◆ **ثبت** تمـاما ان الشخص البالغ يتقيد فى سلوكه الجنسى بما يسميه ضميرا ، وبالرأى العام فى المجتمع الذى يعيش فيه ، حتى ان مجرد انتقاد مسلك فرد ، كفيل بأن يصــده عن أن يسلك مثله ! ٠٠ والحذر ، واللف والدوران فى معالجة المسائل الجنسية فى الكتب والصحف يوحيان اليه بموقف الرأى العام من هذه المسائل ٠٠ والطريقة التى يتحدث بها المجتمـــع عن الطلاق ، والشقاق بين الزوجين ، والفضائح الجنسية ، تكون أكثر تأثيرا فى سلوك الفرد من أية عقوبة قانونية !

العادات ٠٠ أقوى من القوانين !

◆ **تعتبر** الهيئات الدينية وغير الدينية ، التى تعنى بالمسائل الخلقية والأدبية فى أى مجتمع من المصادر الأصلية للفلسفة الجنسية لهذا المجتمع ٠٠ أما القوانين المكتوبة أو غير المكتوبة ، فتأثيرها على السلوك الجنسى للانســـان أقل من كل العـوامل السالفة ! ٠٠ فالواقع ان الطفل يجد العادات متبعة فى الوسط الذى يعيش فيه ، قبل أن يعلم شيئا عن القوانين !



نور .. ونور !   نور الشمعة .. ونور الايمان !



« اسرائيل أيضا »   (أو السلام المصلوب)

للفنان المصرى « أسعد مظهر »

الجنس ٠٠ بين الريف والحضر !

◆ **ان** اخفاق أبناء المدينة فى فهم حياة أبناء الريف ، وانبهار أبناء الريف بحياة المدن وأبنائها ، ظاهرة تسرى على جميع نواحى النشاط الانسانى ، بما فى ذلك النواحى الجنسية ٠ على ان الدراسات الخاصة بهذه النواحى لدى الفريقين قليلة - لسوء الحظ - وغير كاملة ٠٠ **وهى فى مجموعها تبين ان الفلاحين أكثر نشاطا فى الميدان الجنسى من التجار والماليين ، وبالتالى من المحامين والأطباء وأصحاب المهن الحرة التى تحتاج الى الدراسات العليا أو الجامعية !** ٠٠ ومما يؤسف له ان هذه المعلومات - التى لم تستند الى أسس علمية قوية - وجدت رواجا رغم مساسها بفريق هائل من أهل أمريكا ، وهو فريق أهل الريف ٠ وليس معنى هذا اننا ندحض هذه المعلومات ، اذ انها قد تجد مايبررها فيما سبق أن قلناه من أن الطبقات ذات المستوى المنخفض فى المجتمع هى أكثر الطبقات نشاطا جنسيا ، سواء من حيث عدد مرات التفريج أو أساليبه ٠٠ ومن اليسير أن نسلك أهل الريف - فى مجموعهم - فى عداد هذه الطبقات ! ٠٠ وانما ينصب انتقادنا لهذه المعلومات على انها لم تقم على دراسات واسعة ومشاهدات واحصاءات ٠٠ كما انها تقصر النشاط الجنسى على الجماع وحده ، دون باقى ألوان التفريج !

ومن هنا ندرك أهمية الدراسة التى نعرضها فى هذا الفصل ، والتى بنيناها على «الريفيين - الحضريين» ، وهم : أفراد أقاموا فى مناطق ريفية لفترات محدودة - أقلها سنة - ولكنها ليست طويلة ، وأفراد نشأوا فى الأصل فى الريف وأقاموا فيه حتى سن الحادية عشرة ، وأفراد أقاموا فى الريف وحده فيما بين سن ١٢ و ١٨ سنة ، وأفراد أقاموا فى الريف وحده بعد سن

الثامنة عشرة . فكأن موضوع هذه الدراسة هم الريفيون المقيمون فى المزارع والمقيمون فى غير المزارع فى الريف ، كأهل البلدان الريفية

لماذا يحسد ابن المدينة .. ابن المزرعة ؟!

• **وتتوقف** مرات التفريج الجنسى - بجميع مصادره - لدى هذا الفريق ، على سن الفرد ، و سن بلوغه ، ومدى تعليمه ، ونوع عمله ، وتربيته الدينية . وبفحص البيانات التى حصلنا عليها ، والاحصاءات التى توصلنا اليها ، نجد ان عدد مرات التفريج لدى هؤلاء لا يختلف كثيرا عن مثيله لدى أهل المدن عامة . وانما ترجع أهمية الفوارق الى انها - فى التفصيل - تسير فى نفس الاتجاه الذى تسير فيه ، من حيث التباين بين المستويات التعليمية . ويبدو هذا التباين واضحا فى المستوى الذى لم ينل من التعليم الا أقل حظ . ومن ثم نجد ان عدد مرات التفريج الجنسى لدى أهل الريف يعادل ثلاثة أرباع مثيله لدى أهل الحضر من نفس المستوى . بينما تقل هذه النسبة بين أبناء المستوى الذى حصل على التعليم الثانوى ، والمستوى الجامعى فى الفريقين .

ولعل الذين نشأوا فى المدن أصلا يتوقعون - عادة - أن يجدوا نسب التفريج الجنسى لدى الذين نشأوا فى المزارع عاليه ، نظرا لأن ابن المزرعة يشاهد عن كثب عملية الاتصال بين الحيوان ، كما انه يسمع منذ صغره أحاديث صريحة عن الجنس . ولكن البيانات التى جمعناها لا تدل على شىء يدعم هذه الفكرة . بل لعل العكس هو الأصح ، لأن تكرر مشاهدة الجماع الحيوانى وسماع الأحاديث الجنسية كفيلان بأن يفقداه التهيج الذى يشعر به من يشهد مثل هذه الأشياء أو يسمع

عنها لأول مرة ، أو فى مرات متفرقة ، متباعدة !

كذلك يظن ابن المدينة ان ابن المزرعة يجد فرصا أكثر للنشاط الجنسى خفية عن الأنظار ، ولكن الوقائع لا تدل على ذلك ٠٠

وقد يفسر البعض انخفاض عدد مرات التفريج الجنسى لدى بعض الطبقات الريفية عنه لدى مثيلاتها فى المدينة ، بأن أبناء الأولى أكثر تمسكا بالدين من الآخرين ٠٠ ولكن البيانات العلمية لا تدعم هذا التفسير ٠٠

أما بالنسبة لمعدل الاستمناء بين أهل الريف ، فانه يكاد يعادل تماما مثيله لدى أبناء المدن ، وكذلك الحال بالنسبة للاحتلام ٠ أما معدل بلوغ ذروة اللذة عن طريق المعابثة والغزل ، فيفوق لدى أهل المدن على مثيله لدى الريفيين !

ولكن الفارق بين الفريقين يبدو واضحا فى « الجماع قبل الزواج » ٠٠ فان معدله لدى الريفيين يقل عنه لدى أهل المدن ! ٠٠ وكذلك الحال بالنسبة لبلوغ ذروة اللذة عن طريق الاتصال بفرد من الجنس ذاته ، سواء أكان هذا الاتصال بالمعابثة أو بالجماع !

الشذوذ ٠٠ شىء عادى فى الريف الأمريكى !

◆ **وهناك** نظرية شائعة لدى علماء النفس والأطباء النفسيين ، تذهب الى ان العلاقة الجنسية بين أبناء الجنس الواحد ـ (اللواط عند الذكور والسحاق عند الاناث) ـ انما هى نتيجة من نتائج المجتمع المدنى الذى يرزح تحت قيود ثقيلة ٠٠ فان عجز أبناء الجنسين عن الاختلاط يجعل تكيف الفرد وفقا لأوضاع المجتمع أمرا عسيرا ، ومن ثم يجعله يعوض عجزه عن الاتصال بالجنس الآخر ، بالاتصال بأفراد من جنسه هو ! ٠٠ كما ان هناك

نظرية تقول ان هذا الاتجاه جاء نتيجة الحياة التى تتسم بالسرعة الهائلة فى المدن ، فى حضارتنا الحديثة ٠٠ أو بالأحرى ، نتيجة تأثير هذه الحياة فى أعصاب الأفراد

والواقع ، ان البيانات والاحصاءات التى لدينا ، تؤكد ان فى حياة المدينة ما يشجع العلاقات الجنسية بين أبناء الجنس الواحد !٠٠ والظاهرة الواضحة أمامنا ، ان هذا الاتجاه يترتب على اختلاف تنظيم النشاط الجماعى ـ فى الطائفة أو الطبقة الواحدة ـ فى المدن عنه فى الريف ٠ ففى المدن ، نجد حانات وملاهى ليلية ومطاعم وحمامات ، وكثيرا من الأماكن التى يمكن للراغبين فى العلاقات الجنسية التى من هذا النوع ، أن يلتقوا فيها ٠ ومن ثم نرى ان اتساع المدن يجعل أهلها غير متعارفين ، كما ان التحرر الذى يسودها يمكن هؤلاء من أن يجدوا فى نظم المجتمع ما يساعدهم على أن يحققوا رغباتهم دون أن يتعرضوا لما يفضحهم فى نظر المجتمع ٠٠ وبالتالى ، نجد ان حياة المدن تمكن البعض من أن يجتمعوا مطمئنين ، وان كانت تشعرهم فى الوقت ذاته بأنهم فى معزل عن بقية المجتمع ، لأنهم رغم ما ذكرنا يجدون أنفسهم ـ بحكم العرف ـ مسوقين الى شىء من التستر ، يضطرهم الى أن يقصروا اجتماعاتهم وخلواتهم على أماكن معينة ٠ ومن هنا نجد ان ثمة مشارب أو حانات تشتهر بأنها ملتقى ذوى الشذوذ !

على اننا ـ من ناحية أخرى ـ نجد بين احصاءاتنا أرقاما لحالات يبلغ فيها عدد مرات الاقبال على « اللواط » فى الريف أقصى منسوب ٠٠ وهى حالات وجدناها فى مجتمعات تعيش فى أجزاء نائية عن الريف ٠ ويرجع ذلك الى ان المزارع فى تلك الأصقاع تكون متباعدة ، فينشأ الولد فى عزلة لا يخفف منها سوى وجوده مع اخوته ، وزيارات متباعدة لبعض الأهل ، واتصالات بالعمال الزراعيين الذين يكبرونه ٠ **ولما كانت**

التقاليد الريفية تحول دون أن يقضى الصبى معظم وقتـه مع اخواته البنات ـ حتى لا ينشأ رخوا مائعا ـ وتسوقه الى مجالس الذكور ، لكى يخشوشن ، فاننا نرى ان ثمة عوامل كافية لتهيئة الجو للشذوذ الجنسى !

وفى المناطق الريفية من الغرب الأمريكى ، نجد ان اللواط متفش الى حد ليس بالقليل بين الرجال المسنين ٠٠ وقد كان هذا من آثار الحياة التى كان يعيشها المهاجرون الأوائل فى تلك الأصقاع ٠ وهو شائع كذلك الى أيامنا هذه ، بين الذكور فى مزارع تربية الماشية ، وقاطعى الأخشاب ، والأيدى العاملة فى المزارع ٠٠ أو بالأحرى ، بين ذوى النشاط العضلى الذى يربى القوة الجسمانية ٠ ذلك لأن هذا الفريق من الناس يعيش فى كفاح مع الطبيعة ، فى أقطار وعرة لم تستكمل العمران ٠٠ **فهم يعيشون على الحقيقة الواقعة ، فلا يأبهون للمبادىء النظرية، ويعتبرون أن العلاقة الجنسية لاتحفل بجنس الشريك ، لاسيما وان عملهم خارج الدور وفى الخلاء ، لا يمكنهم من أن يخالطوا غير الرجال ٠٠ وهذا الوضع يلازمهم حتى بعد زواجهم ، اذ ينأون عن نسائهم أثناء العمل ، ويعيشون فى أوساط لا يغشاها غير الرجال !**

ولعل هذا النوع من الشذوذ الجنسى يناقض تماما ما يقال من أن الشذوذ الجنسى هو من نتائج حياة المدن !

نسبة معاشرة الحيوان فى الريف

◆ **فاذا** انتقلنا الى معاشرة الحيوان ، وجدنا أن ١٧ فى المائة على الأكثر من الفتيـان الذين يعيشون فى المزارع ، يمارسون علاقات جنسية كاملة مع الحيوانات ٠٠ ولعل هناك ١٧ في المائة يمارسون العلاقات ولكن دون أن يصلوا فيها الى

أوج اللذة ، اذ أن منهم من يفعل قبل البلوغ ! ٠٠ وترتفع النسبة فى مزارع تربية الماشية عنها فى الأماكن الأخرى ٠ كما أن هذا اللون من ألوان التفريج الجنسى لا يشاهد فيمن يمضون فى دراستهم الى ما بعد المرحلة الثانوية ٠ أما بين طلبة المرحلة الاعدادية ، فنجد أن النسبة كبيرة ، تصل الى مابين ضعفى وخمسة أمثال النسبة بين أقرانهم من أبناء المدن ! ٠٠ ولعل من العجيب حقا أن نجد من أبناء المدن من يمارس هذا اللون ، مع أن فرص الاتصال بالحيوان غير متوفرة له ٠ **والواقع أن البيانات تدل على أن ابن المدينة لا يمارس هذا المسلك الجنسى الا عندما يزور الريف ، ومن ثم نستطيع أن نقول ان الاتصال بالحيوان من ألوان السلوك الجنسى الريفى بوجه عام** ٠٠ لا سيما واننا نجد مرات هذا الاتصال ـ لدى ابن المدينة ـ محدودة ، وتتراوح بين مرتين وست مرات ، وبمحض المصادفة !

الدين ٠٠ والسلوك الجنسى !

◆ **من** الأمور التى لا جدال فيها ، أن ثمة ارتباطا وثيقا بين العرف والتقاليد ، وبين القوانين الخلقية التى تقوم فى الغالب على أسس دينية ٠٠ والواقع أننا لا نجد فى المجتمع الانجليزى ـ الأمريكى ما يؤثر فى أساليب السلوك اليوم قدر التعاليم الدينية ٠ ويدل البحث الدقيق على أن النظم الجنسية السائدة اليوم فى المجتمع الانجليزى ـ الأمريكى ترجع الى فلسفة « التلمود » ـ (كتاب اليهود المقدس) ـ

وهي الفلسفة التي ظلت تلازم اليهود الذين كانوا في طليعة من اعتنقوا المسيحية !٠٠ بل اننا نجد أن تعاليم التلمود ، فيما يتعلق بالجنس ، لا تزال تسود القوانين الخاصة بالسلوك الجنسي في المجتمعين الانجليزي والأمريكي ، حتى اليوم ٠٠

كذلك نجد أن تعاليم التلمود ذاتها تقوم على قوانين أقدم كانت سائدة لدى أقوام كالحيثيين والأشوريين والبابليين والمصريين ، وان كانت بعض القواعد الخلقية لدى الرومان ولدى الاغريق قد ساهمت في تكوين القواعد الخلقية في المسيحية ، لا سيما في العصور الوسطى ٠

وليس هنا مجال البحث في هذه الناحية ، ولكن المهم بالنسبة لموضوعنا هو أن نبين أن القوانين المفروضة اليوم – في الناحية الجنسية – قوانين عريقة في القدم ، وانها لا ترجع الى اليهودية فحسب ، بل انها تمت الى ديانات وعقائد أقدم منها ، وقد ظلت قائمة عبر القرون كقواعد للقوانين القضائية التي يراد بها السيطرة على السلوك الجنسي لدى الانسان في مجتمعنا ، في العصر الحاضر !

ولقد أثبت البحث العلمي أن معدل مرات التفريج الجنسي لدى الذكر من بني الانسان ، يقل عنه لدى الفرد من الحيوانات الشبيهة بالانسان (كالقرود مثلا) ٠ فهو لدى الانسان غير المتزوج ٣ر٣ في الأسبوع – ويهبط في الشيخوخة – ولدى الانسان المتزوج ٨ر٤ في الأسبوع ، ويقل في الشيخوخة أيضا ٠ أما لدى غير الانسان – من الحيوانات الشبيهة به ، والتي لا تخضع لأي عرف أو قيود – فيقرب المعدل من ٧ مرات في الأسبوع ، وقد يزيد عند بعضها ! ٠٠ والفرق القائم هنا ، بين الانسان والحيوانات الشبيهة به ، يبين أثر القيود التي يفرضها المجتمع ، والقوانين الجنسية ، والتعليم ، والقيم الأدبية ، والفوارق البدنية ، وغير ذلك من قيود تفرضها الحياة الاجتماعية على النشاط الجنسي للانسان ٠٠

وهى قيود ترجع فى أصلها ـ كما ذكرنا ـ الى الدين !

أثر الديانات الثلاث .. فى السلوك الجنسى !

◆ **ولكى** نبين أثر الدين فى السلوك الجنسى لدى سكان أمريكا فى العصر الحاضر ، أخذنا عينات تمثل الديانات الثلاث الغالبة فى أمريكا : البروتستانتية ، والكاثوليكية ، واليهودية . وقسمنا كل جماعة الى فريقين ـ تبعا لمدى تمسك الفرد بالتعاليم الدينية ، ومدى تمسكه بألوان النشاط فى الطائفة الدينية التى يتبعها ـ الى جانب التقسيم السابق : حسب الجنس ، والعنصر ، والحالة الاجتماعية (متزوج أو أعزب) ، والسن ، ومستوى التعليم .. ولكن هذه الاعتبارات الاخيرة طويناها داخل الاعتبارين السابقين ، أى أن العينات التى أجرينا عليها البحث اقتصرت على :

يهود متدينــون	**يهود غير عاملين**
كاثوليك متدينون	**كاثوليك غير عاملين**
بروتستانت عاملون	**بروتستانت غير عاملين**

الكبت ـ لا التعفف ـ سبب قلة نشاط المتدينين !

◆ **وقد** تبين أن أقل الناس نشاطا ـ من حيث عدد مرات التفريج الجنسى على اختلاف مصادره ـ هم فريق المتدينين : اليهود ، فالكاثوليك ، فالبروتستانت .. **أما الأكثر نشاطا ، فهم : الكاثوليك غير العاملين ، ويليهم البروتستانت غير العاملين ، فاليهود غير العاملين** . ويتذبذب هذا الترتيب قليلا فى بعض المستويات التعليمية ومراحل السن ، ولكنها ذبذبة بسيطة لا تدعو للمقارنة ، اللهم الا فى طائفة من تتراوح

أعمارهم بين ١٦ سنة و٢٠ سنة (وهم الموشكون على التعليم العالى أو الذين يتلقونه) ، اذ يكون أكثرهم نشاطا جنسيا هم اليهود غير العاملين ، فالبروتستانت غير العاملين ، فالكاثوليك غير العاملين ٠ أما ترتيب الأقل نشاطا فيبقى على ما هو عليه ٠ وفى طائفة من تتراوح أعمارهم بين ٢١ و٢٥ سنة (وهم الجامعيون) نجد أن أقلهم نشاطا هم الكاثوليك المتدينون ، يليهم البروتستانت المتدينون ، فالبروتستانت غير المتدينين ، فالكاثوليك غير المتدينين ، فاليهود غيرالمتدينين ٠٠ أما اليهود المتدينون فلم يظهروا فى احصاءاتنا فى هذه الطائفة !

وبوجه عام ، نجد أن التمسك بالتعاليم الدينية يتناسب تناسبا عكسيا مع عدد مرات التفريج الجنسى ٠٠ فهو عند المتدينين ، يعادل ثلثى ما عند غير المتدينين ٠ وهذا اما أن يكون راجعا الى تأثير التعاليم الدينية ، أو الى أن أولئك الذين يصدقون فى تدينهم يكونون عادة من ذوى النشاط الجنسى البسيط !٠٠ على أن هناك بعض القرائن التى توحى بأن قلة عدد مرات النشاط ترجع فى الواقع الى الكبت وليس الى التسامى أو التعفف !

البروتستانت وحدهم ٠٠ يتسامحون ازاء الاستمناء !

◆ **وفى** حالة الاستمناء ، نجد أن المتدينين هم أقل الناس ممارسة له ٠ ولما كان المصدران الرئيسيان للتفريج الجنسى ـ قبل الزواج ـ هما : الاستمناء والجماع ، وكان كبت أحدهما معناه الاقبال على الآخر ، فان الذى يتوقع ازاء قلة اقبال المتدينين على العادة السرية ، هو أنهم يقبلون على الجماع ! وهذا ما تعارضه البيانات والاحصاءات التى لدينا ٠ بل اننا

نجد ـ فى بعض مراحل السن والدراسة ـ ان معدل الاستمناء لدى المتدينين من اتباع العقائد الثـلاث ، لايزيد على ثلثى أو ثلاثة أرباع مثيله عند غير المتدينين !

والواقع أن استنكار الاستمناء شيء معروف فى الأديان ، حتى أن ما ورد فى « التلمود » يجعل الاستمناء خطيئة أقبح من الجماع بغير زواج ! ٠٠ والقوانين اليهودية تلتمس الأعذار لممارسى الجمـاع من غير المتزوجين ، ولـكنها لا تبيح ممارسـة الاستمناء بأية حال ٠ ولا شك أن للتقاليد اليهودية أثرا كبيرا فى استنكار المسيحية للاستمناء ٠ ومن ثم ينشأ أبناء الكاثوليك على أن الاستمناء خطيئة كبرى ، لاسيما وأنه يكون مصحوبا بتخيلات تثير الحس وتؤدى الى عملية يجب أن تقصر عـلى انجاب الذرية !٠٠ ويذهب بعض المؤلفين القدامى فى الشئون الدينية ، الىاعتبار الاستمناء خطيئة تفوق جماع العاهرات !٠٠ وكذلك نجد أن البروتستانت ـ منذ بداية تاريخ عقيدتهم ـ يستنكرون أن « يسيء الانسان استخدام نفسه » ٠٠ ويدخل الاستمناء فى هذا المعنى ٠ **بيد أن كثيرين من رجال الكنيسة البروتستانتية يأخذون الآن بما يؤكده الطب وعلم النفس من أن الاستمناء لا يحدث أضرارا بدنية !**٠٠ ولعل هذا هو السبب فى أننا نجد من البروتستانت العاملين ، ذوى التعليم الراقى ، من يقبلون على الاستمناء أكثر مما يقبل عليـه المتدينون من الكاثوليك واليهود !

بعض أساليب الغزل ٠٠ خطيئة كبرى !

◆ **أما** الاحتـلام ، فهو « النشاط » الجنسى الوحيد الذى لا تعترض عليه الأديان ! ومن ثم كان من المتوقع أن نجد معدله مرتفعا لدى المتدينين ٠ ولكن الواقع أن الفارق بين معدله لدى هؤلاء ومعدله لدى غير المتدينين ضئيل !٠٠ **وهذه**

الظاهرة مهمة ، لأن المعنيين بالربط بين الآداب والأخلاق وبين التربية الجنسية ، يصرون على أن معدل الاحتلام يرتفع الى درجة تكفى للتفريج الجنسى اللازم لدى الفتيــان الذين يحجمون عن ممارسة أى نشاط جنسى ٠ ولكن الاحصاءات والبيانات التي لدينا تبين أن معدل الاحتلام عند المتدينين لم يرتفع رغم انخفاض معدل التفريج الجنسى العام لديهم !

أما المداعبة الى درجة اللذة القصوى ، فلا تختلف بدرجات كبيرة بين المتدينين وغير المتدينين من أتباع الديانات الثلاث ، وذلك لأن هذا اللون من النشاط الجنسى لم يظهر لأول مرة الا فى أوساط الطلبة الذين يوشكون على اجتياز مرحــلة الدراسة الثانوية ، ولا شأن للأديان به ٠ على أن كثيرين من أبناء المستويات التعليمية الخفيفة يرونه لونا من الانحراف الجنسى ، لأنه يستخدم كتعويض عن الجماع !٠٠ وقد نجد بين المتدينين الكاثوليك من طلبة المدارس الثانوية اتجاها الى تحاشى هذا اللون من النشاط الجنسى فى سنى المراهقة الأولى، ولكننا لا نجد هذه الظاهرة بين الطوائف الأخرى

على أن المصلحين من رجال الديانات جميعا ، اهتموا بأمر الغزل والمداعبة الى درجة كبيرة فى مختلف العصور ٠ ففى الفلسفة الكاثوليكية ، نجد أن تحديد الخطيئة الكبرى التي تتطلب العفو ، ينطبق على بعض أساليب الغزل وفنون المداعبة ٠٠ ولذلك نجد أن استنكار الغزل ليس صريحا فى مختلف العقائد ، مما يغرى الشبان على أن يتغاضوا عن أى اعتراض على ممارسته !

العرف أقوى من الدين فى السلوك قبل الزواج

◆ **ولقد** ذكرنا فى الحلقات السابقة ، ان هناك فوارق كبيرة

بين اتجاهات المستويات الاجتماعية الخفيضة ، والأوساط ذات التعليم العالى ، ازاء الجماع قبل الزواج ، حتى ان معدل ممارسته فى الطبقات الخفيضة يعادل سبعة أمثاله بين الذين أتموا التعليم الثانوى وتلقوا تعليما عاليا . ولكن الفوارق بين من يمارسون هذا الجماع من البروتستانت والكاثوليك واليهود - فى أية طبقة اجتماعية أو مستوى علمى - ضئيلة جدا .. وكذلك الحال بين المتدينين وغير المتدينين من أتباع كل عقيدة فى الطبقة الاجتماعية الواحدة ، أو المستوى العلمى الواحد !

والجماع مع الجنس الآخر قبل الزواج ، وان كان أمرا تنكره الأديان كلها ، الا انه من مصادر التفريج الجنسى التى كان تأثير القيود الدينية عليها أقل من تأثير قيود العرف والعادات والتقاليد ، مع ان هذه مستمدة من تلك على مر العصور . فالمتدين من أبناء المستوى الاجتماعى الرفيع يعزو عزوفه عن الجماع قبل الزواج الى أسباب خلقية ، فى حين ان غير المتدين يعافه دون ما سبب - فى رأيه - الا مجرد انه «عمل غير لائق» ! .. ولكن المهم فى الحالين هو التجنب والتحاشى . أما أبناء المستويات الخفيضة - من غير المتمسكين بالتعاليم الدينية - فنجدهم يقبلون على الجماع قبل الزواج ، دون أن يعنوا كثيرا بمحاسبة أنفسهم وضمائرهم ، فى حين ان المتدينين منهم يقبلون عليه مع علمهم بأنه « خطيئة » ! وفى الحالين نجد أن المتدينين وغير المتدينين من أبناء المستويات الاجتماعية الخفيضة يمارسون الجماع قبل الزواج أكثر من أبناء المستوى الراقى ، لأنهم - على اختلاف درجات تدينهم - يؤمنون بأن الجماع من طبيعة البشر ، وعمل لا مندوحة للانسان عن ممارسته !

لماذا يقل النشاط الجنسى للمتدينين المتزوجين ؟!

◆ **أما** الجماع فى ظلال الزوجية ، فان البيانات التى حصلنا

عليها من معظم الجماعات الدينية ، لا تكفى لاعطاء رأى صحيح فى هذا الصدد . على أن من الظواهر الهامة التى تلاحظ ، أن المتدينين أقل اقبالا وممارسة له - من حيث عدد المرات - من غير المتدينين . وهذه الظاهرة خليقة بأن تحظى من المعنيين بمزيد من الدراسة والبحث !

ولا تكاد توجد فوارق كبيرة بين ما أبدته الجماعات الدينية المختلفة بصدد النواحى الأخلاقية للجنس .

وقد تختلف القواعد الدينية اليهودية الصارمة عن التعاليم الكاثوليكية الشديدة ، اختلافا يسيرا ، ولكن العقيدتين تريان ان فلسفة الجنس تقوم على التناسل ، وان النشاط الجنسى الذى لا يسعى الى الانجاب لا يتمشى مع القواعد الخلقية ، ومن ثم فهو ذنب . ولهذا نجدهما تستنكران الاستمناء بشدة ، وتعلقان أهمية كبيرة على البكارة عند الزواج ، وتعتبران ان السلوك الجنسى الذى يحدث خارج نطاق الزوجية شذوذ وانحراف عن الطريق الصحيح !.. ومن ثم نرى ان هذه القيود كثيرا ماتكون ذات أثر كبير على شخصيات المتدينين ، اذ تقيد نشاطهم الجنسى من حيث عدد مرات الممارسة ، ومن حيث مصادر التفريج أو بالأحرى ألوان النشاط

اليهود ما زالوا يخضعون لفلسفتهم القديمة !

◆ **واذا** لم تكن الفوارق بين الفلسفات الدينية الثلاث التى أخذنا عينات من أتباعها ، بالفوارق الكبيرة ، فكذلك أظهرت الدراسة التى أجريناها ان الفوارق فى السلوك الجنسى بين المتدينين وغير المتدينين فى العقائد الثلاث ليست بالكبيرة ،

فيما عدا قسم من فريق واحد٠٠ **ذلك هو قسم الذكور المتدينين من اليهود ٠ فهم أقل الطوائف الدينية جميعها فى نشـــاطهم الجنسى فى الاستمناء ، والاحتلام ، ومعاشرة الجنس (اللواط)٠ ولكنهم يكادون يعادلون الطوائف الأخرى فى الغــزل والجماع قبل الزواج**

وهذا التخلف فى النشاط الجنسى لدى اليهود المتدينين ليس مستغربا ممن يدركون ما للفلسفة العبرية من زهد٠وهذا الزهد قد يحد من نشاط غير الحريصين على الشعائر الدينية أيضا ٠٠ بل والذين بعدت بهم الصلة ـ على مر الأجيال ـ بمعابد اليهود وبالتلمود والتوراة وما فيهما من قوانين خلقية جنسية ٠ ومن الآراء الشائعة عن اليهود انهم يتناقشون فى المسائل الجنسية جهارا ، وفى تحرج أقل من تحرج معظم الطوائف الأخرى ٠٠ وقد يوحى هذا لبعض الناس بأن اليهود أكثر نشاطا فى الميدان الجنسى من أبناء الطوائف الأخرى ، ولكن البيانات التى حصلنا عليها تدل على ان تحرر اليهود فى الحديث عن نشـــاطهم الجنسى الخاص ، ومناقشة تفصيلات ذلك النشاط ، لا يكاد يكون ذا صلة بالنشاط الصريح ، لأن اليهود لا يزالون يخضعون لآثار نفوذ فلسفة جنسية خاصة ترجع الى آلاف السنين !

نفوذ الدين وتعاليمه ٠٠ ما زال كبيرا !

◆ **على** أن للدين ـ بوجه عام ـ نفــوذا كبيرا حتى على غير المتدينين ، وذلك نظرا لما له من آثار على تطور العرف والعادات الجنسية على مر القرون٠ اذ ان القواعد الدينية ظلت المنبع الأول للسلوك الاجتماعى للطائفة التى تتبع الدين ، بالنسبة للمتدينين من أهلها وغير المتدينين منهم ٠٠ الحريصين على اداء الشعائر وغير

الحريصين .. المخلصين للعقيدة وأولئك الذين ينتمون اليها اسما ويعتنقونها بحكم العادة !

ولقد كان الآثم - فى الماضي - يشعر بمدى خطورة العادات الجنسية ، لان المحاكم الدينية كانت تتمتع بسلطان كبير على حياته ! .. أما اليوم ، وقد ضعف سلطان المحاكم الدينية ، أو زال، فان تأثير الكنيسة على الفرد فى سلوكه الجنسى أصبح تأثيرا غير مباشر ! .. بيد ان القواعد الدينية القديمة لا تزال - رغم ذلك - المصدر الأول للاتجاهات ، والآراء ، والمذاهب ، والأفكار ، التى يشكل معظم الناس حياتهم الجنسية وفقا لها

ومع اننا لا نجد مستوى اجتماعيا ، فى أيامنا هذه ، يقبل تعليمات الأديان كقوانين واجبة التنفيذ ، الا ان كل مستوى يستمد التحريم والحل من بعض نواحى الفلسفة الدينية الاصلية .. فنجد ان الوظيفة التناسلية للجنس مستمدة من تعاليم الفلسفات اليهودية والمسيحية ، وان نفور المستوى الخفيض من العرى يرجع عبر القرون الى قوانين الديانتين اليهودية والمسيحية ، فى حين ان الطبقة العليا تتقبل العرى تحديا لرأى الكنيسة ! .. ومن ناحية أخرى ، تتقبل هذه الطبقة قيود الكنيسة التى تحرم الجماع بغير زواج وجماع غير الزوجة ، فى حين أن الطبقة الدنيا تتجاهل اعتراض الدين على هذين النوعين من الجماع ! .. وهكذا نرى ان من الأفراد من يكاد يتقبل جميع القوانين الجنسية التى تدعو اليها الطائفة الدينية التى ينتمى اليها ، ولكن النظم الجنسية لكل طبقة تبعد عن قوانين الكنيسة عند نقطة ما .. ومثل هذا التناقض قد يغرى المرء على أن يغض النظر عن الأصول الدينية للنظم الاجتماعية . ولكن أثر تعاليم الدين لا يزال - رغم كل شيء - قائما لا يمكن اغفاله !

(وفى الحلقة القادمة ، ننقل لك أهم فصول فى

«السلوك الجنسى» ، وهى التى تناول فيها «كينزى» وزملاؤه : علاقة العادة السرية بالأمراض الجسدية والعصبية والعقلية ٠٠ الغزل المثير وعواقبه الاجتماعية والاضطرابات التى تتعرض لها أجهزة الجسم نتيجة ذلك ٠٠ فنون العلاقة الزوجية فى ضوء البحث العلمى ٠٠ رأى العلم فى المشكلة الأزلية لكل مجتمع : مشكلة البغاء !)

—— ● ——



MEMOIRES
DE
CASANOVA
مغامرات فى الحب والسياسة !
مذكرات
كازانوفا
الكتاب الكلاسيكى الخالد
فى أدب العشق
والمغامرة

هذه المغامرة الطريفة ٠٠ تعال نتابعها !

◆ استمتعنا فى الحلقة السابقة من هذه المذكرات المشوقة، بتفصيلات فرار « كازانوفا » مع زميل له من سجن ديوان التفتيش الرهيب ! ٠٠ وقد روى لنا أمير العشق والمغامرة كيف قادته المصادفة الى دار ريفية ، أراد أن يلوذ بها ، فاذا به يجدها دار ضابط الشرطة الذين كانوا ينقبون أرجاء الريف بحثا عنه . فلما أفلت من الدار ، مر بكنيسة ازدحمت بالناس - اذ كان اليوم من أيام الاعياد - فاندس بين المصلين ٠ وبينما كان يغادرها ، أحس بيد تمس كتفه ، واذا به أمام شقيق الرجل الذى كانت أمه قد أقامته وصيا عليه - والذى كان من محققى ديوان التفتيش - وهتف به الرجل : « أهذا أنت ياكازانوفا؟ ٠٠ وأين زميلك ؟ »

والآن ٠٠ تعال نواصل قراءة قصة هذه المغامرة الطريفة

النساء أوفر خيرا من الرجال !

◆ وأجبت لفورى : « لقد أعطيته كل ما كان معى من نقود ، وانفصلنا ٠ ولو أنك أسديت الى يد المساعدة الآن ، لأمكننى أن أدبر أمورى ! » ٠٠ ومع أنه رفض أن يساعدنى ، الا أنه طمع فى أن أروى له تفصيلات فرارى من السجن ، الأمر الذى أحنقنى وجعلنى أعرض عنه ساخرا ٠ وقد علمت فيما بعد أن زوجته أنبته أقذع تأنيب لما أبداه لى من جمود ٠٠ ولا عجب ، فان الخير لدى النساء أوفر منه لدى الرجال !

وواصلت سيرى حتى غربت الشمس ، وبرح بى التعب والارهاق والجوع ، فلم أجد بدا من أن أعرج على بيت منعزل ، متواضع المنظر ، وسألت حارسه عما اذا كان بوسعى أن أقابل رب الدار ، ولكنه قال ان سيده قد رحل ليحضر حفلة عرس ، وان أوصاه بأن يكرم من يفد أثناء غيابه من أصدقاء !٠٠ وهكذا حالفنى الحظ مرة أخرى ، فوجدت عشاء شهيا ، وفراشا وثيرا

وتناولت غدائى - فى اليوم التالى - فى دير صادفته فى الطريق ، حتى اذا كان الأصيل ، وجدتنى عند قصر كان صاحبه من أصدقائى ٠ وقادنى الخادم الى غرفة المكتب ، حيث كان صديقى منهمكا فى الكتابة ، فما أن رآنى حتى هوى القلم من بين أصابعه ، وأمرنى بأن أغادر قصره فى الحال ٠ ولكنى



سألته أن يقرضنى ستين دينارا مقابل وثيقة تمكنه من أن يحصل على المبلغ من السيد « براجادان » - أبى الروحى - غير أن صديقى صارحنى بأنه لا يستطيع أن يقدم لى أى عون ، خشية أن يجلب على نفسه غضب « ديوان التفتيش » !

مساعدة .. بالقوة !

◆ وغاظنى مسلكه .. ولما كان شيخا فى الستين من عمره ، ضعيفا ، فقد أمسكت بخناقه ، وهددته بالقتل ان لم يبادر الى معونتى ، ففتح درجا مليئا بالذهب ، وسألنى أن آخذ منه ما أشاء . ولكننى قلت له : « اعطنى ستة دنانير !» . فقال : « ولكنك كنت تطلب ستين ! » . فقلت : « أجل ، كنت أطلبها كقرض من صديق . أما الآن فأنا أطلب ستة فقط ، لأننى أحصل على مساعدتك بالقوة ، ولن أعطيك وثيقة فى مقابلها . على أننى أعدك بأن هذا المبلغ سيرد اليك فى البندقية .. فسوف أكتب لولى أمرى كى يدفعها لك ، وسأنبئه بخستك ونذالة مسلكك !»

وقضيت ليلتى فى كوخ أحد الفلاحين ، حتى اذا كان النهار التالى ، ابتعت بزة - « ردينجوت » - قديمة ، وحذاءين ، واستأجرت حمارا .. ثم انطلقت فى طريقى . وما لبثت أن استبدلت بالحمار عربة وجوادين . وتابعت رحيلى الى (بورجو دى فالسوجانو) ، حيث وجدت «بالبى» ، زميلى الذى فر معى من السجن .. ولو أنه لم يبادرنى بالحديث لما تسنى لى أن أعرفه .. فقد كان فى زى ركوب الخيل ، وعلى رأسه قبعة غيرت من مظهره . وذكر لى أن فلاحا أعطاه هذه الثياب فى مقابل المعطف الذى كنت قد نزلت له عنه !

كازانوفا .. فى امارة بافاريا !

◆ ونزلت فى أحد الفنادق ، فلزمت غرفتى يومين ، انصرفت خلالهما الى كتابة الرسائل الى معارفى فى (البندقية) ، أناشد كلا منهم أن يرسل لى

نقودا ، ورويت لهم جميعا قصة ذلك الشيخ الخسيس الذى أبى أن يقرضنى . ثم سعيت الى (بولزان) حيث لجأت لصديق قديم « أقرضنى » خادما أوفدته الى السيد براجا دان ، فعاد الى بعد ستة أيام يحمل مائة دينار . ومن ثم أسرعت بشراء ثياب لى ولزميلى ، ثم رحلنا الى (ميونيخ) حيث نزلت فى فندق التقيت فيه بصديقة قديمة من معارفى ، هى « كونتة كورونينى » التى كانت ذات حظوة فى بلاط أمير بافاريا ، والتى حدثت الامير بشأنى ، فقال لها أنه لا يرى ما يمنع من أن أقيم فى بافاريا . ولكنه أبى أن يأوى فى امارته زميلى «بالبى» لأنه كان راهبا ارتد عن الرهبنة ، فخشى الأمير أن يثير ثائرة الكنيسة عليه اذا أواه . ولهذا زودت «بالبى» بكل ما كان فى حاجة اليه ، وأعطيته رسالة توصية الى أسقف (سان موريس) ، ثم ودعته وأنا مغتبط للخلاص منه !

وكانت صحتى قد تأثرت كثيرا ، كما أننى أصبت بتوتر عصبى أزعجنى ، ومن ثم حرصت على أن ألتزم الراحة التامة لمدة شهر ، عنيت خلاله بعلاج نفسى ، فسرعان ما استعدت صحتى . وفى تلك الأثناء ، وفدت على (ميونيخ) مدام « ريفيير » وأسرتها ، وكانوا من أصدقائى فى البندقية . واذ كانوا معتزمين الرحيل الى باريس ، حيث تزف ابنتهم الكبرى ، فقد دعونى للرحيل معهم . وكنت فى تلك الفترة قد تلقيت مزيدا من المال ـ من البندقية ـ فرحلت مع الأسرة فى عربتها الضخمة المريحة .

فى قصر الملك .. بباريس !

◆ ووصلنا الى باريس فى الخامس من يناير سنة ١٧٥٧ ، فذهبت فور وصولى الى صديقى « باليتى » الذى تلقانى فى اغتباط عظيم ،اذ كان فى قلق بعد أن قرأ نبأ فرارى من السجن ، وأدرك أن لا سبيل لى الى البقاء فىالبندقية أو على مقربة منها .. وكم كان فرح أسرة صديقى بى ، وتفانيها فى ارضائى !

وهكذا عدت الى باريس .. عدت اليها وقد عولت على أن أتخذها وطنا ثانيا ، بعد أن فقدت الأمل فى العودة الى وطنى . وكنت قد عرفت المدينة كمسرح للهو والعبث ، ولكننى فى هذه المرة اعتبرتها ميدان جهاد للوصول الى مركز مرموق . وكان لابد من أنأستغلكل مواهبى الجسدية والعقلية ، وأن أتعرف الى علية القوم من ذوى النفوذ ، وأن أنال لديهم الحظوة . وعاهدت نفسى على أن يكون التحفظ هو السلاح الذى اعتمد عليه

ولم أشغل بالى كثيرا بالمال ، اذ وعدنى السيد براجادان الكريم بأن يمدنى

بمائة جنيه فى كل شهر ٠٠ ومن ثم مكثت أتحين الفرص ، ورحت أروى قصة فرارى فى كل مجلس ٠ ثم كتبت خطابا الى « قصر بوربون » أطلب الحماية ، فتلقيت – فى الساعة الثامنة من الصباح التالى – دعوة الى هناك ٠ وأسرعت ألبيها ، حيث استقبلنى مسيو « دى بيرنى » – أحد رجال الملك – مرحبا بى ، وذكر لى أنه سمع عن مغامرة فرارى من السجن الرهيب ، فوعدته بأن أسجلها له فى اسهاب ٠ وعندما استأذنت فى الانصراف ، دس فى يدى لفافة من الأوراق المالية ، أنفقتها فى شراء ثياب تليق بى ، ثم كتبت قصتى خلال الأيام الثمانية التالية ، وحملتها الى السيد « دى بيرنى » ليطبع منها ماشاء من النسخ ، يوزعها على كل من يرى أن بوسعه أن يكون ذا نفع لى !

الطيور على أشكالها تقع !

◆ وبعد أسـابيع ثلاثة ، أنبأنى السيد « دى بيرنى » بأنه تحدث فى شأنى مع سفير البندقية فى باريس ، وأن الرجل لم يجد فى فرارى أى تثريب ، لأن السلطات المدنية فى البندقية لم تكن ذات مصلحة فى اعتقالى أو فرارى ، ولكنه آثر أن لا أزوره ، حتى لا أثير عليه غضب رجال « ديوان التفتيش »

واستقر بى المقام فى باريس ، وبدأت الأيام تبتسم لى ، اذ اشتركت فى مشروع ناجح ٠ فلما كان شهر مارس ، وفد على باريس نبيل من نبلاء روما حرص على لقائى ، ليسلمنى الأوراق الخاصة التى كنت قد تركتها وديعة لدى صديقتى « السنيورا مانزونى » قبل سجنى ٠٠ وكان الرسول شابا لطيفا يدعى « الكونت دى تيريتا » ٠ وقد قدمنى الى سيدة تقيم فى باريس ، وتزعم أنها أرملة ابن أخت البابا ٠٠ وكانت تدعى مدام « لامبرتينى » ٠ ولكننى مالبثت أن عرفت أنها أفاقة من تاجرات الهوى !٠٠ ولم يمض وقت على استقرارنا فى دارها ، حتى وجدتها تخلو الى صديقى فى ركن من الحجرة ، فانصرفت أنا الآخر الى حسناء قدمتها السيدة على أنها ابنة أختها !٠٠ والحق اننى لم أعامل الفتاة – وكانت تدعى مدموازيل دى لامور – بكثير من التوقير ٠٠ فما كنت أتصور قط أن مدام « لامبرتينى » تأوى فى دارها فتاة طيبة !

حسناء ٠٠ و ٧٥٠٠٠ فرنك !

◆ وتوثقت الصلات بينى وبين مدموازيل « دى لامور » ، حتى انقلبت الى حب متأجج !٠٠ وعشت فى نعيم حالم ، الى أن استيقظت منه ذات يوم

على رسالة من حبيبتى ذكرت فيها أن عمتها كانت تحاول أن تزوجها من تاجر غنى من أهل (دانكرك) لا تعرف عنه شيئا ، بل أن عمتها نفسها لم تعرفه الا عن طريق امرأة ممن يمهدن الزيجات للناس (خاطبة !) ٠ واستطردت الفتاة تقول في رسالتها : «٠٠ فاذا كان ما جرى بيننا لم يحط من قدرى فى نظرك ، فاننى أعرض نفسى عليك زوجة ، وأحمل اليك صداقا عاجلا (دوطة) قدره خمسة وسبعون ألفا من الفرنكات ٠٠ فضلا عما سوف أرثه اذا ما ماتت عمتى ! »

وهزت رسالتها فؤادى ، ولكن فكرة الزواج أزعجتنى كالمعتاد !٠٠ ولم يكن أمامى سوى أربعة أيام للبت فى الأمر ، ولكن هذه المهلة القصيرة كانت كافية لأن تقنعنى بأن حبى للفتاة لم يرق الى درجة الزواج !

وفى مساء اليوم الرابع ، ذهبت لتناول العشاء فى دار مدام « لامبرتينى » ٠٠ وكانت « دى لامور » فى أبهى آيات حسنها فى ذلك المساء ٠ ووجدت ان « كونت تيريتا » عرف كيف يستثير عواطف « الأمومة ! » فى نفس ربة الدار العجوز ، فأشفقت عليه من وحدته وغربته ، وأسكنته حجرة فى مسكنها لقاء أجر اسمى !٠٠ ونعمت برعاية حبيبتى الحسناء ، حتى اننى أوشكت أن ألين لفكرة الزواج !

مع « العريس » المنتظر !

◆ وما لبث التاجر المرشح للزواج من « دى لامور » أن أقبل على باريس ، فدعتنى مدام « لامبرتينى » الى تناول العشاء فى دارها احتفالا به ٠ وبعد أن سمرنا قليلا ، استأذن الرجل فى الانصراف ، فدعته ربة البيت الى العشاء فى الليلة التالية ، وأوعزت الى الفتاة أن تلحف عليه فى القبول ٠ حتىاذا انصرف، سألت مدام « لامبرينى » ابنة أخيها عن رأيها فى الرجـــل ، فقالت : « أرجو أن تعفينى من الاجابة فى الوقت الحـــاضر ، وامهلينى الى غد ٠ فاذا أقبـــل للعشاء ، فاجلسينى بجواره ، واسمحى لى أن أتحدث اليه فى طلاقة ، اذ أن الرجل قد يعجب بمنظر المرأة ، ولكن حديثها قد يسقمه ويقضى على اعجابه ! »

وانصرفنا الى لعب الورق ، فألهانا سعار المقامرة عن الوقت ٠ وعندما انتبهنا اليه ، كان الليل قد اكتهل ٠ ولما كانت الدار فى ضاحية متطرفة ، فقد قبلت فى سهولة الدعوة الى قضاء الليلة فى ضيافة مدام « لامبرتينى » !٠٠ وما أن خلوت الى نفسى فى غرفتى ، حتى فتح الباب ، وأقبلت الحسناء فى نفس الثوب الذى كانت ترتديه فى السهرة ٠ وسألتنى فى اقتضاب :« هل أقبل الزواج

ن الرجل ؟ »٠٠ وأدركت ما كانت تبغى ٠٠ لقد أرادت فى حزم أن تعرف رأيى ، لتتخذ قرارا نهائيا بشأن علاقتنا !

وقلت مراوغا : « هل ارتحت اليه ؟ » ٠٠ فأجابت : « المهم فى الأمر هو اننى لم أشعر بنفور منه ! » ٠ فقلت : « اذن ، وافقى على الزواج ! » ٠٠ وكان جوابها : « حسنا ، وداعا ٠٠ يجب أن ينتهى حبنا فى هذه اللحظة ، وتبدأ مرحلة صداقة فقط ! » ٠٠ فقلت فى رجاء : « ارجئى هذه اللحظة الى غد ! » ٠٠ فقالت : « لا ، ولو كان فى ذلك عمر جديد لى ٠ فاذا كان مقدرا لى أن أصبح زوجة لرجل غيرك ، فخليق بى أن أعد نفسى لأكون أهلا له ٠ ٠ ومن يدرى ، قد أحظى معه بسعادة تفوق كل ما تذوقت ؟ »

وتحركت عواطفى ، فقلت متوسلا : « اذن قبلينى ! » ٠٠ ولكنها أجابت قائلة : « لم يعد من حقك أن تنشد قبلاتى ! » ٠٠ وكانت الدموع تنهمر من عينيها ، فأمسكت بها ٠٠ ولكنها هتفت : « دعنى بالله ! » ٠٠ فقلت مشفقا : « ولكنى لو تركتك فسوف تستغرقى فى البكاء وحيدة فى غرفتك ٠٠ ياحيرتى ويأسى ٠٠ أمكثى وسأتزوجك ! » ٠٠ واذ ذاك رفعت رأسها فى شمم وقالت : « لا ، لست أقبل هذا الآن ٠٠ لو انك كنت تحبنى لما انتظرت حتى الآن ، وما عرضك الآن سوى اشفاق ٠٠ ولست أقبل أن أفرض نفسى عليك عن طريق الاشفاق ! »

قلب العاشق ٠٠ بين الحسرة والغيرة !

◆ وأفلتت منى وغادرت الحجرة ، فلم أجسر على أن أتبعها ٠ ولم أنم فى الساعات القلائل التى تبقت من الليل ، بل رحت ـ مسهدا ـ أعانى من مشاعر عدة : كانت هناك حسرة بعثها شعورى بأننى سأفقد هذه الحسناء الشهية ٠٠ وكان هناك اشفاق لشعورى بأننى صدمت عواطفها بعدم مبادرتى للزواج منها رغم حبها لى ٠٠ وكان هناك ندم لأننى أوهمتها بأنى أحبها ، وأيقظت أحلاما جميلة فى نفسها ٠٠ وكان هناك خزى وخجل من موقفى ، بعد أن غررت بعواطفها !

وعندما طلع النهار ، غشى النوم عينى ، فلم أستيقظ الا بعد الظهر ٠ وأصرت مدام «لامبرتينى» على أن أبقى الى وقت العشاء ٠ وما أن رأيت « دى لامور » الى جوار خطيبها التاجر ـ عندما ضمتنا المائدة فى المساء ـ حتى استعرت نيران الغيرة بين ضلوعى ! ٠٠ وبدأت غريزة حب التملك توحى الى بأننى كنت أحب الفتاة ، ثم راحت تنفخ فى هذا الحب حتى بدا كأنه يملأ

كل حياتى .. فلما أعلنت الحسناء فى نهاية المأدبة أنها ستزف الى التاجر بعد ثمانية أيام ، ثم ترحل معه الى (دانكرك) ، خيل الى أننى أوشك أن أخر صريعا !

كاد يقتل رجلا بغير ذنب !

◆ لست أدرى كيف انصرفت من الدار .. كل ما أدريه هو اننى لم أكد أستقر فى دارى ، حتى عكفت على كتابة أروع رسالة غرام سطرها قلمى .. ولكن الحسناء اقتصرت فى ردها على ابداء رجائها بأن لا أكتب لها بعد ذلك اليوم! .. واذ ذاك خيل الى أنها أحبت التاجر بالفعل ، فتحالف هذا الظن مع الفكرة التى تملكتنى وأوحت الى بأنى أحبها ، وراحا يزينان لى أن أناضل من أجل قلبى .. وداخلنى ميل الى أن أقضى على الرجل !

ووسوست لى الحيرة بأن أذهب الى الرجل فى فندقه ، فأصارحه بكل ما كان بينى وبين الفتاة حتى ينصرف عنها ويتركها لى .. فاذا أبى ، فلأدعه الى المبارزة !.. ولم ألبث أن ذهبت بالفعل ، وقد حملت فى جيبى غدارتين !.. واضطررت لأن أنتظر حوالى ربع الساعة ، اذ كان الرجل نائما . على أنه أقبل بعد ذلك - بثياب النوم - فما أن رآنى حتى احتضننى فى ود ، وراح يرحب بى فى اغتباط . وفوجئت بحقدى ينفثىء ، وبروح العداء تتبخر .. وتبددت النوبة الجنونية !.. وما زلت حتى اليوم أشعر بالخزى والهوان ، كلما تمثلت كيف اننى كنت مقدما على التصرف كوغد خسيس !

صوت .. من أعماق الماضى !

◆ ولم أمكث فى باريس أكثر من أيام بعد زواج « دى لامور » ، ثم قررت أن أغادر فرنسا بأسرها ، فذهبت الى (جنيف) .. وهناك نزلت فى فندق « ديه بالانس »

وما أن لذت بغرفتى ، وتخلصت من وعثاء السفر ، حتى رحت افكر فيما أفعله فى المدينة .. وقمت الى النافذة أسرح النظر خـــلالها لأشحذ فكرى ، فاذا بنظرى يقع على لوح من زجاجها ، حفرت عليه - بالماس - هذه الكلمات : « لن تنسى هنريتيا !

وأحسست بالدنيا تدور بى عندما ذكرت اليوم الذى كتبت فيه « هنرييتا » هذه الكلمات لى .. و لى وحدى ! .. وقفزت بى الذكرى ثلاث عشرة سنة الى الوراء فى لمح البصر .. ذكرت الحسناء المجهولة التى كانت متنكرة فى زى ضابط شاب ، وفى صحبة ضابط نمسوى مسن كان موفدا من امبراطورته الى البابا .. وذكرت كيف أن العلاقات توطدت بينى وبينهما حتى اكتشفت أن الضابط الشاب

لم يكن سوى فتاة ٠٠ واستطعت ان أكسب قلب الفتاة أثناء رحلة جمعتنا ، ثم رافقتها الى (جنيف) ٠ وهناك ، بدأت أفهم أن الفتاة كانت من أسرة فرنسية عريقة ، وانها كانت على موعد فى (جنيف) مع كبير من رجال بلاط ولى عهد اسبانيا - الذى كان متزوجا من ابنة ملك فرنسا - لتسوية بعض شئون عائلية ٠٠ واذ تمت التسوية بالطريقة التى أرضت الفتاة ، رأت أن لا بد لنا من أن نفترق ٠ وبعد ليلة ليلاء ، نقشت بماسة خاتمها تلك العبارة على نافذة الغرفة التى قدر لى ان أنزل بها مرة أخـرى ، بعد ثلاث عشرة سنة ٠٠ « لن تنسى هنرييتا » !

الذكريات ٠٠ تطهر نفس كازانوفا !

◆ وتدفقت الخواطر على رأسى ، وانبثقت المشـــاعر جياشة فى فؤادى ٠٠ « هنرييتا » !٠٠ الفتاة الجميلة ، الرقيقة ، النبيلة ، الصادقة العاطفة ! ٠٠ « هنرييتا » ، التى أحببتها بكل قلبى ٠٠ ترى أين هى الآن ؟٠٠ قط لم أسمع عنها منذ افترقنا ، بل اننى كنت من الجحـود بحيث لم أحاول أن أستفسر عن حالها أو أسأل عن مصيرها !٠٠ ورحت أقارن بين نفسى وبين نفس كاتبة تلك الكلمات ، فشعرت بأننى أقل منها وفاء ونبلا ٠٠ بل اننى غدوت الآن شخصا آخر غير الذى عرفته « هنرييتا » منذ ثلاث عشرة سنة ٠٠ غدوت شخصا تخفف - الى درجة ليست بالضئيلة - من المثل العليا وما كانت تضفيه على النزوات من شاعرية تجعل الحب فنا ممتعا ، لامجرد غزوات خسيسة ٠

وخيل الى اننى تطهرت - فى فيض الذكريات - من الأوشاب التى علقت بى خلال السنوات الطويلة الماضية ، واننى عدت كما كنت حـين التقيت بهنرييتا أول مرة !٠٠ وكأنما أوحى الى ذلك بأننى عدت أهلا لأن أسعى اليها ، رغم انها ناشدتنى - عند افتراقنا - ان لا أحاول الاتصال بها ثانية !

وبعد تفكير طويل ، أدركت ان بالى لن يهدأ ، وقلبى لن يسترد طمأنينته حتى أعرف ما جرى لهنرييتا خلال هذه الأعوام الطويلة ٠٠ ورحت أرسم خطتى لاكتشاف طريق لتحقيق هذه الرغبة !٠٠ على اننى ، وقد تطهرت ، لم أكن لاغادر (جنيف) دون ان أزور « كاهنها » الأكبر ٠٠ كاهن الحكمة والفكر ٠٠ « فولتير » !

فى مجلس « فولتير » !

◆ ولم يكن دخول دار « فولتير » بالمهمة الشاقة ٠٠ فقد كانت الدار - كأى معهد - مفتوحة للجميع ٠٠ وكان مجلسه يضم زائرين اقبلوا من كل بلد ٠٠ فكان بينهم انجليز ، وفرنسيون ، وايطاليون ، وسويسريون ٠٠

وقال « فولتير » حـين عرف اننى من البندقية : « لا بد انك تعـرف كونت

« الجاروتي » ٠٠ فقلت : « لقد تعرفت اليه في (بادوا) منذ سبع سنوات ، وكان أروع ما اجتذبني اليه هو ترديده أهازيج الاعجاب بالسيد فولتير ! » ٠٠ فقال : « انك تتملقني ! » ٠٠ وتطرق بنا الحديث الى الأدب والادباء والشعراء في فرنسا وايطاليا ٠ واذ عرف « فولتير » انني أحفظ الشعر وأنظمه ، راح يذكر انه كان قد تحامل على الشاعر الايطالي « اريوستو » ، وكتب مقالات كثيرة في نقده ، ولكنه ما لبث ان أحبه وندم على ما كتب ٠ وراح يردد من الذاكرة بعض أشعار « اريوستو » ٠ وفي اليوم التالي ، قدم لي ترجمة وضعها لهذه الاشعار ٠ وسألتني مدام » دنيس » ـ ابنة أخت فولتير ـ عما اذا كان خالها قد اختار ـ لترجمته ـ أبدع أشعار « أريوستو » ، فقلت :

ـ أجل يا سيدتي ٠٠ ولكنها ليست أروعها ٠٠ ان أروع ما نظم «أريوستو» هو ستة وثلاثون بيتا من الشعر في وصف الجنون !

وسألتني السيدة أن ألقي على مسامع الحضور تلك الأبيات ، فانطلقت ألقيها بصوت مؤثر ، حتى اذا فرغت منها ، رأيت الدموع في عيون الجميع ٠٠ حتى مسيو « فولتير » !٠٠ وحين علم انني راحل عن (جنيف) في اليوم التالي ، أبى ان يقرني على ذلك ، وسألني ان أطيل مقامي ثلاثة أيام أخرى على الأقل ، على ان أتناول العشاء على مائدته في كل ليلة !

كان فولتير يمنح الناشرين انتاجه !



٠ وخففت الى دار «فولتير» عند غروب شمس اليوم التالي ٠٠ وكان في الحديقة عند وصولي ، فأمسك بذراعي وقادني الى نهر كان يجري عند الطرف الأقصى من الحديقة ٠ وأشار الى النهر قائلا في زهو : « هذا هو الرون ٠ ٠ النهر الذي أبعث به الى فرنسا هدية مني !» ٠٠ هكذا كان فولتير ، مزهوا ، فخورا ، محبا للاطراء والتمجيد ٠٠ وان لم ينل هذا من عبقريته ونبوعه !

ولحق بنا في الحديقة بعض من كانوا يترددون على الأديب العظيم ٠٠ ولكنه مالبث ـ بعد فترة ـ ان دعاني الى مخدعه ، حيث استبدل بطاقية الشعر

المستعار التى كان يرتديها ، طاقية أخرى ٠٠ وفتح صوانا رأيت فيه أكداسا من الورق المنظم ، وقال : « فى هذا الصوان حوالى خمسين ألف خطاب ، وقد أجبت عنها كلها ! »

ـ وهل احتفظت بنسخة من كل رد ؟

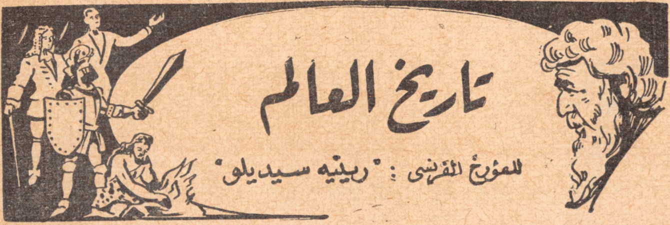
ـ اننى أترك هذه المهمة لخادمى ، فهو يحرص على ان ينسخ الرسائل التى أكتبها

ـ كم من ناشر على استعداد لأن يدفع الكثير فى سبيل هذه التحف !

ـ هذا صحيح ، ولكن ، كن على حذر من النـــاشرين اذا شئت ان تنشر شيئا ، لا سيما اذا لم تكن بعـد معروفا ، فهم اذ ذاك يغـدون أخطر من القراصنة !

ثم عدنا الى قاعة الجلوس ، حيث راح « فولتير » يعرض طرائف من ذكائه وخصوبة فكره ، وخفة فكاهاته ، وبهجة روحه ٠٠ كان اذ ذاك فى السادسة والستين من عمره ، يعيش على دخل قدره مائة وعشرون ألفا من الفرنكات فى العام ٠ ولقد ظلمته الشائعات اذ زعمت انه أثرى عن طريق غشه للناشرين ، فالواقع ان الناشرين هم الذين خدعوه وأثروا بفضل كتاباته !٠٠ ولم يكن يعنى بالمال قدر عنايته بالشهرة ، حتى انه كان فى كثير من الأحيان يقدم كتبه دون مقابل ، على شريطة ان تطبع وان تروج بين الناس ٠ وقد شهدت بنفسى منحة من هذا القبيل أثناء وجودى فى مجلسه ٠٠ وكان الكتاب الذى قدمه منحة يتضمن قصة بديعة أسماها « أميرة بابل » ٠٠ وقد وضـعها فى ثلاثة أيام فقط !

يتبع



عصر المسيحية فى التاريخ

◆ مرة أخرى نعود فنستأنف معا متابعة حلقات « تاريخ العالم » ، بعد أن حالت بيننا وبينها زحمة المواد والأحداث .. منذ آخر حلقة نشرت فى « كتابى » من هذا الاستعراض التاريخى ـ الذى كتبه المؤرخ الفرنسى « رينيه سيديللو » بأسلوب قصصى رائع ـ والتى قرأنا فيها ظهور الدين المسيحى ، وكيف انتهى الأمر بأن حملت (روما) مشعل الدين الجديد ، بعد ان اضطهدت أتباعه زهاء ثلاثة قرون . والآن ، تعال نتابع هذه القصة الطريفة !

كثلكة الدولة الرومانية الشرقية

◆ كان الفقر الذى عاش فيه رسل الدين الجديد ، واستشهاد أتباعه ، مادة لقصص رائعة ، أدت الى ازدهار المسيحية ، فأخذت تقتلع أنياب الوثنية فى براعة ، وتطبع « الصليب » على معالم الوثنية القديمة ، كما فعلت عندما حولت عيد الشمس الوثنى القديم الى عيد القديس يوحنا ، وعندما قلبت «البانثيون» الرومانى ـ (المعبد الذى كان وقفا على جميع الآلهة الوثنية) ـ الى كنيسة لجميع الشهداء . وما لبثت الصور والتماثيل والطقوس الدينية الجديدة ، ان استهوت الوثنيين الذين كانوا يفدون من ألمانيا . وهكذا كانت المسيحية تمضى فى توطيد أقدامها بنجاح .. وقامت الكنائس فى كل مكان ، صروحا شامخة ، فخمة ، تؤلف قسما من الدعاية المروجة للدين ..

ومع ان الأمبراطورية الرومانية الغربية كانت قد ماتت ، الا ان الأمبراطورية الشرقية ظلت باقية ، وادعت القسطنطينية لنفسها الحق فى ان تكون عاصمة « الامبراطورية الرومانية » ، وان كانت اللغة اللاتينية اختفت منها وانتشرت

بدلا منها اللغة اليونانية ، وأصبحت مراسم البلاط شرقية ، وصار الامبراطور مثل قياصرة الفرس ٠ ولقد أعلن « قنسطنطين » ان بيزنطة كاثوليكية ، ولكن مذهبها فى الواقع ظل متأرجحا ٠٠

بيزنطة ٠٠ آخر مركز للتجارة !

◆ على ان الامبراطورية الشرقية كانت تعتبر - فى سنة ٥٤٨ الميلادية - ملاذ الحضارة فى زمن كانت فيه بقية العالم غارقة فى ظلام التأخر والفوضى ٠ ومرت بها أوقات بلغت فيها بالفعل درجة من العظمة الروحية ، كما حدث عندما أنشأ الامبراطور « جستنيان » كنيسة القديسة صوفيا بقبابها ، وأعمدتها الرخامية ، وجدرانها القيشانية ، وعندما أقام تلك المعاهد التى كانت صروحا للقوانين الرومانية !٠٠ كذلك مرت بالأمبراطورية الشرقية فترات ارتقت فيها الى درجة كبيرة من العظمة السياسية ، كما حدث حين طرد « جستنيان » - أيضا - قبائل الفاندال من افريقيا ، وهزم « الاوستروقوط » فى ايطاليا ، و « الفيزيقوط » من اسبانيا - فى سنة ٦٢٧ - وبذلك أعاد وحدة الامبراطورية لفترة وجيزة ٠٠ أو كما حدث حين انتصر « هرقل » على الفرس و ردهم الى حوض نهر « الدجلة » ٠٠

كذلك أحرزت الأمبراطورية الشرقية قدرا من العظمة الاقتصادية اذ ظلت (بيزنطة) آخر مركز تجارى فى دنيا نسيت التجارة زمنا ٠٠ فكانت تصدر الخمور والتوابل والقطن والمنسوجات ، ولم يكن عملاؤها يملكون ما يقدمونه فى مقابل ذلك اللهم الا الرقيق الذى كان أغلبه من السلافيين ٠ ولما كانت تجارة بيزنطة قد قامت على أسس وطيدة من الجمارك ، والرسوم ، وسيطرة الدولة ، فان الامبراطورية الشرقية ازدادت رخاء باطراد ، واستطاعت ان تكدس الذهب الذى كان يختفى سريعا من الغرب

نهضة ٠٠ قامت على المظاهر !

◆ على ان البريق كان أكثر من الحقيقة ٠٠ حتى فن العمارة الذى امتد من (البندقية) الى (كييف) ، امتاز بالأبهة أكثر مما امتاز بوضوح الخطوط الموضوعية ، فكان فنا زخرفيا أكثر منه فنا بنائيا ٠ وكذلك كان كل بنيان الدولة مظهرا فخما أكثر منه صرحا متين الأركان ٠ فقد كان على (بيزنطة) ان تكافح باستمرار ضد المساوىء التى كانت تستفحل فى الداخل وفى الخارج ٠

ففى الداخل ، قامت طبقة دنيا فى المدن ، لم تقنع بحرية توزيع الخبز والزيت والخمر ، فراحت تهدد بقلاقل خطيرة ٠ وأصبح اغتيال الذين يقبلون العرش قاعدة لا استثناء !٠٠ وكان خطر القبائل الهمجية ينعقد فوق أبواب (بيزنطة) بصورة مستمرة !

ومع ان الأتراك كانوا أبعد من ان يصبحوا مصدر خطر يتهدد الأمبراطورية ، الا انهم كانوا مبعث ذعر وارهاب فى آسيا الوسطى ، وكان الخوف الذى يثيره اسمهم يمتد الى الهند والى بحر قزوين ، وأصبح عاهلهم يسمى نفسه : « مولى الامم والكون » ! ٠٠ وكانوا فى خلال هجراتهم قد دفعوا المغول الى التقهقر حتى صار ضغطهم يزداد ثقلا على قبائل اللومبارد التى كانت تقطن سهل الدانوب ، فاضطرت الى أن تستقر نهائيا فى ايطاليا فى سنة ٥٧٢ ، أما المغول فظلوا مصدر قلق لبيزنطة ، فكان حكامها يشترون سلاحهم بالمال والأتاوات !

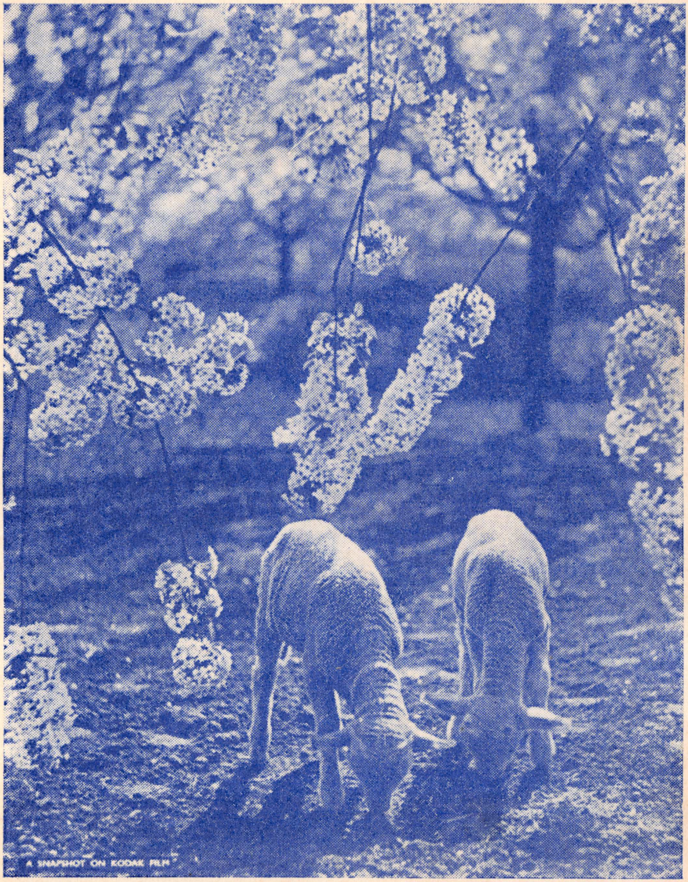
سرطان ٠٠ فى احشاء امبراطورية !

◆ ولكن بيزنطة لم تكد تطمئن الى ابتعاد خطر المغول ، حتى ظهر غزاة جدد جعلوها ترتعد فرقا ٠٠ وكان أهم هؤلاء الغزاة ، هم العرب والبلغار ٠ وقد أوشكت بيزنطة ان تقع أمام هؤلاء الغزاة أكثر من مرة ، لولا ذهبها ، وجنودها المرتزقة ، و « اللهب اليونانى » ٠٠ وهو سلاح سرى كان يساعدها على احراق سفن العدو ، بفضل موقعها الجغرافى بين البحر وبوغاز القرن الذهبى

كان ثمة سرطان ينهش احشاء بيزنطة ، ولكنها ورثت عن الرومان قوة الجلد ، فظلت تقاوم صامدة زهاء ألف عام !

ولكن ٠٠ أية دولة غربية كانت تستطيع فى تلك الأثناء أن تزعم انها جديرة بأن تخلف روما ؟٠٠ كان ليل الهمجية لا يزال مسيطرا : فأحرقت المكتبات ، وأغلقت المدارس ، ونسيت الشعوب علومها ، بل انها نسيت القراءة والكتابة ، وأدى انتشار العنف الى عرقلة التجارة حتى غدت مستحيلة ٠ وعادت أساليب البيع الى المقايضة ، اذ أهملت نظم النقد والمعملات ، وأصبحت كل مقاطعة كبيرة وحدة اقتصادية قائمة بذاتها ، منعزلة عن سواها ، تكفى نفسها بنفسها ٠ وأخذت المدن تنهار وتصبح اطلالا ، كما اقفرت المزارع من الانتاج ، واهملت الطرق فلم تعد سهلة ممهدة ٠٠ وباختفاء الضرائب المنظمة تلاشت فكرة «الدولة» كنظام !

(يتبع)



لقاء فى الظلال ..

وداعة الحملين ، ووداعة الطبيعة الحانية !



.. ولقاء بين أضواء المسرح

راقصان فى احدى رقصات الباليه التعبيرية



هل تذكر أيام شبابك ؟ .. كل إنسان
كانت له فى شبابه نزوات، وحماقات،
يشعلها الطيش فى دمائه الحارة ! .. وكل
منّا كان فى فترة من حياته - إلى حد ما -
"إبناً ضالاً" .. ولكن إلى أى مدى يمكن
أن يقودنا ضلال الشّباب ؟!
مطبوعات كتابى
يصدرها : حلمى مراد
تقدم لك فى منتصف نوفمبر الحالى
القصّة الخالدة من قصص الأدب الواقعى
الإبن الضّال
أعظم ما كتب الروائى العالمى "هنرى بوردو"
تحفة ستقرأها مرارًا، وتهديها لأولادك
MILLE FRANCS
شركة فن الطباعات ٥٨١٤٩